



الحجاز تحت حكم الشريف حسين

« ١٩٠٨-١٩٢٤ »

زياد تركي الخوالدة

الحجاز تحت حكم
الشريف حسين «١٩٠٨ - ١٩٢٤م»

إصدارات:

المفرق مدينة الثقافة الأردنية

2017

- الحجاز تحت حكم الشريف حسين «١٩٠٨ - ١٩٢٤م»
- دراسات
- زياد تركي عليان الخوالدة
- الناشر: وزارة الثقافة

عمان ـ الأردن
شارع وصفي التل
ص . ب 6140 ـ عمّان
تلفون : 5699054/5696218
فاكس : 5696598
info@culture.gov.jo:E.Mail

- الإخراج الفني: إحسان الناطور.
- الطباعة: مطبعة السفير.

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2017/7/3530)

رقم الردمك (3 – 323 – 94 –9957 – 978)

دراسات

زياد تركي عليان الخوالدة

الحجاز تحت حكم

الشريف حسين «١٩٠٨ـ ١٩٢٤م»

2017

قال تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم

آل عمران – الآية ٢٦

الإهداء

أهدي بحثي هذا إلى والدي العزيز، رمز العطاء والوفاء والعرفان،

وإلى أمي نبع الحنان والعطف،

وإلى مهجة قلبي، ودرة عيني وفؤادي ابنيَّ بهاء الدين والبراء،

وإلى رفيقه دربي زوجتي الغالية الوفية.

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

المقدمة

تناول الباحثون والأكاديميون الحجاز من جوانب مختلفة لا سيما علاقة الشريف حسين به، وبأشراف مكة فضلاً عن علاقته بالبريطانيين بالبحث والدراسة، في حين ركز فريق آخر على علاقة العثمانيين بأشراف مكة ضمن حلقة واحدة متشابهة هي أحداث الثورة العربية الكبرى ودورها في إبراز الحجاز في ظل حكم الشريف حسين وما رافقه من أحداث وتطورات جعلت منه محط أنظار كثير من المهتمين والمتابعين والدارسين، بينما مسألة الحجاز تفتقر تحت حكم الشريف حسين من عام ١٩٠٨م ولغاية ١٩٢٥م إلى دراسة علمية أكاديمية بحت تتناول الأحوال السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، وعلاقته بالقوى القبلية والسياسية المجاورة للحجاز، والدور البريطاني في ذلك، وأحداث الثورة العربية بكافة تفاصيلها، وإظهار مملكة الحجاز.

وثمة حافز آخر حبب إليَّ الحجاز وعلاقته بالشريف حسين وما تحلى به الأخير من خلق كريم ومن مزايا ومناقب تعيدنا إلى أيام الشموخ وإلى فجر الإسلام عندما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم العربي في مكة المكرمة الدعوة الإسلامية مؤذناً بميلاد عهد جديد اهتزت له الدنيا في مشرق الأرض ومغربها وكانت الثورة العربية الإسلامية في الحجاز هي الموحدة للشعوب العربية على يد الشريف وانجاله والعرب، ولذلك فلا عجب إذا استبشر العرب الخير كله في ثورته لأن الانطلاقة جاءت من مكان عزيز على قلوب العرب والمسلمين، ومن رجل حبيب إلى قلوب العرب يعود

بأصله العريق وممتده العظيم إلى الدوحة الهاشمية الشريفة إلى هاشم أول من ثرد الثريد وهشمه لأهل الحرم، وهذه دلالة قاطعة على الكرم، ورجل هذه سجيته لا يمكن إلا أن يحوز على كل المناقب التي تشكل القاسم المشترك للأخلاق العربية التي يعتبر الكرم في مقدمتها دونما شك.

والأمر الآخر الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع أن المكتبة العربية في حاجة ماسة إلى المزيد من الأبحاث العلمية المتخصصة التي تعالج تاريخ العالم العربي وتطوره في العصر الحديث، وإذ كانت بعض البلدان قد لقيت اهتماماً أكبر من عدد المفكرين والباحثين والدارسين، فإن الحجاز لم يكن أحدها لا سيما فترة حكم الشريف للحجاز بجوانبه المختلفة، ولذا ظلت الحاجة ملحة إلى الدراسات العلمية التي تكشف جوانب تاريخ الحجاز بتفاصيله الدقيقة إبان حكم الشريف في مطلع القرن العشرين، وهي فترة تحول هامة في تاريخ وحياة الشعوب العربية بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة، فضلاً عما تمتع به الحجاز من وضع خاص تميز به عن سائر أجزاء الولايات الأخرى بسبب وجود الأماكن المقدسة الإسلامية به، فكانت الامتيازات التي تمتع بها سكان الحجاز وحكامه، إذ أقامت الدولة العثمانية فيه نظاماً خاصاً هو عبارة عن سلطة ثنائية طرفاها الشريف والوالي، وقد تطرقنا في حديثنا إلى حدوث بعض التغيرات إبان صدور قانون الولايات الجديد فإن هذا القانون لم يصحبه تطبيق فعلي وحقيقي في ولاية الحجاز كما طبق في الأجزاء الأخرى من الدولة.

إن هذه العوامل الأساسية مجتمعة قد دفعتني لاختيار هذه الفترة (١٩٠٨ - ١٩٢٤م) موضوعاً للدراسة لاعتقادي أن الدراسات التاريخية الأكاديمية التي تناولت مثل هذه الدراسة تسير بشكل غير دقيق وببطء في جامعاتنا العربية رغم امتلاكها ثروة وثائقية كبيرة ومهمة ودقيقة.

ولقد قرأت الكثير من الكتب والدراسات والأبحاث التاريخية التي تناولت الحجاز منذ مطلع العشرينات بما فيه من أحداث وتطورات تاريخية مهمة على أرضه كالثورة العربية وإعلان مملكة الحجاز والتنافس الاستعماري للاستيلاء عليه لا سيما البريطانيين وكانت الغصة والمرارة تملأ صدري لسببين:

الأول: أن الدول الاستعمارية، ولا سيما انجلترا وفرنسا قد غدرت بالشريف حسين منذ الأيام الأولى لثورته ومفاوضاته معهم، وقامت بتنفيذ مخططاتها السرية التي كانت بالطبع تتناقض كلياً مع مصلحة الأمة العربية، وسعت الدولتان إلى تحجيم الشريف وثورته والحد من اندفاع قادتها عن طريق التقنين الشديد للسلاح وعدم الاعتراف بعروبة الثورة بالإضافة لعدم اعترافهم بالشريف ملكاً على العرب وإنما ملكاً على الحجاز فقط، والتأكيد على طابع الثورة الحجازي والبدوي والسعي بشتى الوسائل لقصر دور الثورة والشريف على حرب العصابات المحدودة وذلك بغية الحيلولة دون تحقيق انتصارات هامة تعزز ثقة العرب بأنفسهم وتبرز قدرتهم على تحقيق أمانيهم القومية، لذلك ما أوشك العرب أن يروا بصيص أمل يملأ نفس المرء في بداية الثورة وانتصاراتها الأولى حتى يتحول إلى ألم ممض وحقد عميق، عندما يلمس الإنسان العربي غدر الحلفاء بحليفهم فيما بعد.

الثاني: الجحود الذي لقيته هذه الثورة والشريف ودوره في الحجاز منذ العشرينات وحتى الوقت الحاضر، وما من حركة ثورية في التاريخ العربي لقيت تجنياً وظلماً وتبايناً وتناقضاً في الآراء والأحكام مثل ما لقيته هذه الثورة بالإضافة لما ألصق بالشريف من تهم بالخيانة والغدر والتعاون مع الأعداء كبريطانيا أحياناً والاتحاديين في بعض الأحيان.

فقد نفر منها اخواننا عرب الجناح الأفريقي الرازحون تحت نير الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي، ورفضوها عفوياً بتأثير ظروفهم دون أن يقدروا ظروف إخوانهم عرب الجناح الآسيوي الرازحين تحت السيطرة الاتحادية الطورانية الأخرى التي قاسوا منها الويلات، ونفرت منها الشعوب الإسلامية الرازحة كذلك تحت الاستعمار الفرنسي والبريطاني للأسباب نفسها السابقة، وكان تعاطف هؤلاء جميعاً مع تركيا كرهاً بالحلفاء لا حباً بها ولم يقدروا ظروف عرب المشرق ولا الحجاز أو ظروف الشريف حسين حين دفعه ظلم الاتراك وسعيهم للقضاء على الوجود العربي إلى التعاون مع الحلفاء وكان شأنه في ذلك شأن الغريق الذي يتعلق بقشة، وأساء أكثر من كتب عن الحجاز والشريف والثورة فهم الظروف الموضوعية التي رافقت كل الأحداث ولهذا اساؤوا في تقديرهم ومعطياتهم وإنصاف الحق.

فمن كتب عنهم من غير العرب إنما كتب متأثراً بمواقف بلده ومصالحه وتطلعاته وميوله، وفي ضوء ما عثر عليه مما يسمى (وثائق)، وللوثائق عامة ووثائق تهم الشريف حسين والثورة والحجاز بشكل خاص حديث ذو شجون، وسنتطرق إليها.

أما موقف الكتاب العرب فهو أكثر غرابة وتعقيداً وإيلاماً، فبدلاً من أن يفهموا - وهم أكثر قدرة على ذلك من غيرهم - الظروف الموضوعية التي عاشها الحجاز والشريف وثورته في تلك الفترة، وهي ظروف ندر مثيلها في التعقيد والصعوبة، وبدلاً من أن يأخذوا مصادرهم من مصادر مختلفة لا سيما من أفواه رجالات الثورة العربية وبعضهم كان مايزال حياً إلى وقت قريب، ودماء أبطالها وأبطال الحجاز وشهدائها لما تجف بعد، بدلاً من هذا كله تأثروا بقصد أو غير قصد بوثائق كتبها من كان يتآمر على الحجاز والشريف والثورة.

وأسقط كثير من الكتاب العرب ظروفهم وظروف عصرهم وانتماءاتهم الفكرية والسياسية على الحجاز ومعطياته والثورة وقائدها فحكموا عليهم من خلال مقاييس ومنطلقات لو طبقت على غيرهم وغير ثورة العرب التي عرفها عصرنا والعصر الذي سبقه لهزلت هذه الثورات ونبشت قبور زعمائها وحطمت تماثيلهم التي تمجدها شعوبهم، فعلى سبيل المثال لو درسنا مقاييس الماركسيين في حكمهم على الشريف حسين ورفاقه على لينين لخرجنا بنتيجة مفادها أن لينين ليس سوى عميل متآمر مع الألمان باع شعبه الروسي حين وقع على معاهدة بريست ليتوفسك التي تنازل فيها عن مساحات تبلغ في سعتها مساحة النمسا والمجر وتركيا معاً، في حين أن الشريف حسين لم يتنازل عن شبر واحد من الأراضي العربية إبان مراسلاته مع مكماهون واكتفى بإرجاء البحث في وضع بعض المناطق - التي كانت ما تزال خاضعة للاتراك - إلى ما بعد الحرب تاركاً بذلك للثوار حسم الموضوع.

وقصر الكثيرون في الكتابة عن الحجاز والثورة وقائدها أو إيفائها حقها متأثرين بما توهموه من فشل الشريف وثورته فلم يفشل كما توهم الكثيرون بل نجح ونجحت ثورته ورفرفت راياتهم المنتصرة على مكة المكرمة والمدينة ودمشق وبيروت وحلب، لقد هزمت اعداءها الظاهرين في ميادين القتال ولكن حلفاءها الظاهرين الحاقدين طعنوها في الظهر، لقد هزمت جيوش الثورة في معركة الغر لكن رايتها لم تنكس بل انتقلت من يد ثائر في جبال اللاذقية إلى يد ثائر في جبل الزاوية ثم جبل العرب والغوطة وعجلون والشوبك وها هي ما تزال مرفوعة في يد ثوار الأمة العربية من مشرقها إلى مغربها، ولقد حققت نجاحاً واضحاً وملموساً في تاريخ العرب الحديث وأسست أول مملكة حجازية على أرض الإسلام الأولى ثم الممالك الهاشمية في سوريا والعراق والأردن.

ولقد جاء كذلك الاختيار للفترة ١٩٠٨- ١٩٢٤م لأنها شهدت قدوم قوى جديدة للمنطقة وانهيار قوى كانت مسيطرة لفترة طويلة، الأمر الذي أدى إلى تغيير في

موازين القوى في العالم وتعقيد في زخم الحركة الوطنية وبلورة في الأفكار والتيارات السياسية في الوطن العربي والتي كان للشريف حسين بن علي الدور الفاعل والمؤثر فيها، وقد مثل عام ١٩٠٨م بداية لتلك الفترة التي ندرسها، حيث حصل على الفرمان السلطاني بتوليته إمارة مكة المكرمة وشرافتها، فضلاً عن إعلان الاتحاديين ثورتهم، بينما مثل عام ١٩٢٤م النهاية لتلك الفترة التي ندرسها، لأنه العام الذي سقطت فيه المملكة الحجازية وانهارت على يد ابن سعود.

تتألف الدراسة من مقدمة وفصل تمهيدي وستة فصول وخاتمة، الجانب الأول فصل تمهيدي لدراسة العلاقات بين أشراف مكة والعثمانيين منذ دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية عام ١٥١٧م إثر إرسال الشريف بركات بن محمد شريف مكة ابنه نمي إلى القاهرة، لتقديم كتاب البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول، وتناول الفصل اللمحات العامة حتى تولية الشريف حسين عليها عام ١٩٠٨م وتعرض إلى إقليم الحجاز وأشراف مكة المكرمة، من النواحي الجغرافية والتاريخية والدينية فضلاً عن التركيز على موقف العثمانيين من منصب الشرافة إبان الحقبة ١٥١٧ - ١٩٠٨م، مدى تأثير هذا الموقف في بلورة الوعي السياسي للأشراف من جهة وزيادة حدة التنافس لنيل منصب الشرافة بينهما من جهة أخرى.

ولأهمية الفترة التي تبدأ بتولي الشريف حسين منصب الإمارة عام ١٩٠٨م وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى فقد خصصنا لها الفصل الأول حيث أن هذه الفترة حافلة بالأحداث السياسية الهامة والدقيقة، الأمر الذي انعكس على طبيعة العلاقات المتبادلة والظروف والأحداث العديدة والخطيرة في مطالبة الشريف حسين بمنصب الشرافة والإمارة، وعلاقته بالاتحاديين وجاء هذا الفصل في جزءين، استعرضنا في الجزء الأول ظروف تسلم الشريف الإمارة وما رافقه من أحداث وتطورات ومراسلات متبادلة بينه وبين العثمانيين في فترة ما قبل تسلمه الإمارة ثم المراسلات المتبادلة بينه وبين

الاتحاديين عام ١٩٠٨م حتى سنحت الظروف والأحداث له لتسلّم منصب الإمارة عام ١٩٠٨م، ويدور الجزء الثاني حول علاقة الشريف بالاتحاديين، والذي تمثل أنه في مطلع العهد الدستوري في عام ١٩٠٨م تعرض الحكم العثماني في الولايات العربية بشكل عام والحجاز بشكل خاص لهزه عنيفة نتيجة للسياسة المركزية الاستبدادية التي أتبعتها حكومة الاتحاديين والأتراك وصعوبة انقياده وعدم تردده في مناقشتهم والمطالبة بحقوقه وحقوق إمارته.

وكان الأتراك مصممين على تطبيق سياستهم المركزية على الحجاز مهما كلفهم الأمر، كما كان للاتحاديين مفهوم خاص في طرائق تحقيقها التي تقوم على التنكر لحقوق القومية غير التركية ورفض كل نزوع لديها لأي نوع من الاستقلال، وربط الولايات وحكامها بالمركز التركي ربطاً وثيقاً لا يترك لأي حاكم تركي أو غير تركي أي قدر من حرية التصرف إلا بمقدار ما يخدم الأهداف والمصالح التي أعلن عنها الاتحاديون والتي عرفت باسم «التتريك»، ومع ذلك فقد تجنب الطرفان التسرع بالصدام المباشر وسلكا سياسة الترقب والحذر والمداراة ريثما تتوفر لكل منهما الوسيلة الكفيلة بتحقيق ما يسعيان إليه منذ تسلم الشريف حسين إمارة الحجاز وحتى قيام الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م، وتتالت جملة أحداث أكدت للشريف أنه لا سبيل لاستمرار التعاون مع الأتراك.

ثم أوضحنا أنه في أواخر عام ١٩٠٨م وصل خط سكة حديد الحجاز إلى المدينة المنورة واتجهت فيه الحكومة الاتحادية إلى مواصلة تمديده حتى يبلغ مكة عن طريق جدة لكن الشريف عارض ذلك محتجاً بأن تمديد الخط إلى مكة يقضي على أسباب المعيشة لعدد كبير من سكان الحجاز، بدوهم وحضرهم، الذين اعتادوا أن يؤجروا الجمال لنقل الحجاج وأمتعتهم بين المدينتين المقدستين في الذهاب والإياب، وأعلن أن قطع أسباب

معيشة أولئك الناس سوف يدفعهم إلى شق عصا الطاعة على الحكومة التي تقتضي مصلحتها العليا بأن يستتب الأمن في الحجاز.

كما تطرقنا إلى أنه في عام ١٩٠٩م تعاون الشريف وبشكل صريح وعلني مع الأتراك لمقاتلة كل من يخرج على الدولة الاتحادية وهذا ما حدث بالفعل عندما تعاون معهم ضد الإدريسي الذي كان ثائراً في عسير ضد السلطة العثمانية، وأوضحنا غزوة عسير للشريف، وتغلب العرب على الترك أمر ليس صعباً حيث تمكنت قوة صغيرة للإدريسي أقل عدة وعدداً من الأتراك من تكبيد الترك خسائر فادحة ولم يستطع التغلب على هذه القوة إلا بمساعدة الشريف ورجاله كما بينت هذه الغزوة ومن جهة أخرى مدى ما يكنه الترك من حقد على العرب والمسلمين.

وخلال هذه المرحلة الحساسة والمهمة أظهر الشريف حسين من قوة الشكيمة أكثر مما كانت تتوقعه منه السلطات التركية حين اختارته لهذا المنصب الرفيع فقد باشر فور عودته إلى الحجاز باسترداد حقوق منصب الشريف التي فرط بها أسلافه وفرض سلطته الإدارية وهيبة الحكم على ولاية الحجاز.

ثم أصدر الاتحاديون قانوناً جديداً للولايات يقضي من جملة ما يقضي، بتنفيذ أحكام التجنيد الإجباري، وقد عارضه الشريف بشدة وحزم ورفضه جملة وتفصيلاً معللاً ذلك بأن الحجاز بلد له هيبته الدينية المقدسة الخاصة به ولا يجوز تطبيقه عليه لأنه لا يناسب طبيعة الشعب الحجازي الذي عاش في كنف من الحرية والاستمرار وعزة النفس.

ويتناول الفصل الثاني النظام الإداري والاقتصادي للحجاز إبان حكم الأشراف بشكل عام والشريف حسين بشكل خاص وذلك في جزءين، الأول عن النظام الإداري للحجاز منذ تولي العثمانيين الحكم فيه، فقبل تولي الشريف حسين حكم

الحجاز قسمت الدولة العثمانية الحجاز إلى عدة ألويه وأقضيه ونواحي، وبعد توليه حكم الحجاز أبقى على التقسيمات الإدارية المعمول بها من قبل حيث عرضنا للتفاصيل الدقيقة لهذه التقسيمات من حيث المناصب الإدارية المعمول به واختصاصات كل وحدة إدارية وطبيعة أعمالها ووظائفها، وكذا الدوائر الرئيسية والفرعية كالدائرة الشرعية والعدلية والمالية والرسوم والطابو والمعارف والبرق والبريد ودائرة الشرطة فضلاً عن دائرة البلدية التي استحدثتها الحكومة الهاشمية وطورتها بموجب قانون خاص بها عام ١٩٢١م.

أما الجزء الثاني فقد ركزنا فيه على الجانب الاقتصادي للحجاز إبان حكم الشريف حسين من حيث التنظيمات الاقتصادية التي اهتم بها كالنقود وواردات الدولة المالية والقطاع الزراعي والصناعي والتجاري والنقل والمواصلات والاتصالات. وأيضا المساعدات المالية البريطانية للشريف والتي شكلت أداة ضغط عليه وعلى حكمه والتي انتهجتها بريطانيا في المنطقة لتثبيت سيطرتها وتنفيذ سياستها العامة ومخططاتها الاستعمارية فكانت سبباً حقيقياً في تردي الأوضاع الاقتصادية إبان حكمه (للمملكة الحجازية) وانهيار مؤسساتها الاقتصادية تدريجياً في سنواتها الأربع المتبقية (١٩٢٤م) وأوردنا بعض الجداول المالية للمقارنة بين واردات الحجاز لعامي ١٩١٧ و١٩١٨م، ثم إختتمنا الفصل بجدول توضيحي لميزانية الحجاز المالية لعامي ١٩١٦ - ١٩١٧م.

أما الفصل الثالث فتحدثنا فيه عن الأحوال الاجتماعية والثقافية والصحية وجاء في أربعة أجزاء رئيسة الجزء الأول القبائل ومكانة كل قبيلة حيث استعرضنا القبائل البدوية التي سكنت الحجاز وكذا القبائل البدوية جميعها في شبه الجزيرة العربية التي ترجع في أصولها إلى فخذين هما القحطانيون والعدنانيون، وللوقوف على التفاصيل الدقيقة للقبائل أوردنا جدولاً بأسمائهم وبطونهم وعددهم ومساكنهم لا سيما القبائل

الحجازية فقط وأشرنا الى الشريف حسين وإلى أية القبائل ينتمي وأوردنا بعض العبارات التي قيلت في الشريف حسين وأظهرت حُسن طيبته وتعامله واخلاصه للعرب والعروبة والإسلام.

أما الجزء الثاني فيتناول عموم سكان الحجاز ومكانتهم حسب أعمالهم حيث ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هم سكان البادية والحضر والمدن والقرى والواحات،وأشرنا إلى أن معظم سكانه هم قبائل بدوية متفرقة تعيش حياة البداوة كما تطرقنا إلى العناصر السكانية الأخرى التي عاشت في الحجاز وطبيعة العلاقة بينهم وبين السكان الأصليين وأوردنا الأسباب التي جعلت الأجناس المختلفة من وجودهم في الحجاز بكثرة.

أما الجزء الثالث فيتحدث عن الأحوال التعليمية والثقافية وتناولنا فيه المؤسسات التعليمية خلال الفترة مع مقارنة بسيطة بينها وبين فترة حكم العثمانيين والتي أكدت الدراسات على أن التعليم في العهد الحجازي أفضل مما هو عليه في العهد العثماني وأوضحنا أن الشريف عند تسلمه حكم الحجاز قسم المدارس إلى أنواع عديدة كالمدارس الحكومية والخاصة والعسكرية والدينية، وقد استعرضنا دور الحكومة الحجازية في اهتمامها بالتعليم بحيث وضعت له مجلساً خاصاً به وانشئت وزارة خاصة بالتعليم وسنحدد مراحل التعليم في المدارس الرئيسة في المدن الحجازية كمكة المكرمة وجده والطائف والمدينة وغيرها، وتطرقنا إلى المدرسة الصناعية ثم الزراعية.

ومن خلال دراسة الفصل وجدنا أن المملكة الهاشمية قد اهتمت بالتعليم اهتماماً واضحاً ومميزاً من خلال تعدد مدارسها وتنظيم إدارة التعليم والمناهج وقد تشكلت فيها أول وزارة للمعارف عام ١٩١٦م.

أما النواحي الثقافية في الحجاز فقد تطرقنا إليها من خلال الصحافة ومؤسساتها المختلفة لا سيما في العهد الحجازي بحيث نبحث في أربع جرائد مهمة أولاها جريدة

القبلة التي تعد جريدة الحكومة الرسمية والناطقة باسمها وقد صدرت عام ١٩١٦م وظلت عامله حتى سقوط الحكومة الحجازية وقد صدر عن القبلة ما يزيد على ثمانمائة وثلاثة وعشرين عدداً وتعد من أهم صحف العهد الهاشمي وأشدها تأثيراً في الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وأوضحنا أنها حققت من النجاح في الميدان الصحفي ما لم تحققه أية جريدة أو صحيفة من صحف العهدين العثماني والهاشمي وساهمت بشكل واضح ومميز في تطوير صحافة الحجاز أكثر مما ساهمت به الجرائد الأخرى.

والجريدة الثانية التي تطرقنا للحديث عنها هي جريدة الفلاح التي تأتي في المرتبة الثانية بعد القبلة وقد صدرت بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٢٠م وهي جريدة رسمية وسياسية واجتماعية وعلمية لها دور واضح في مساندة ومساعدة جريدة القبلة، صدر منها أعداد قليلة لم تزد على خمسين عدداً توقفت عن الإصدار عام ١٩٢٤م وأوضحنا في بحثنا الأسباب الحقيقية لتوقف صدورها ثم تطرقنا للجريدة الثالثة جريدة الحجاز التي صدرت بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٩١٦م كجريدة سياسية واجتماعية واقتصادية وأدبية وأوضحنا أعدادها ورئيس تحريرها وبينا سبب صدورها وأنه صدر منها ما يزيد على مائة عدد ثم سنذكر الأسباب التي أدت إلى توقف صدورها سنة ١٩١٩م.

والجريدة الأخيرة التي استعرضناها هي جريدة بريد الحجاز التي صدرت بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٤م زمن حكم الأمير علي على الحجاز بعد تنازل أبيه عن الحكم وأوضحنا أنها جريدة سياسية بحت ليس لها كتابات أدبية أو اجتماعية أو ثقافية ثم تطرقنا إلى مديرها المسؤول ورئيس تحريرها وبينا أنه صدر عنها تسعة وخمسون عدداً، وبحثنا أسباب توقف صدورها عام ١٩٢٥م.

ومن روافد المؤسسة الثقافية الأخرى المجلات واستعرضنا مجلة جرول الزراعية باعتبارها المجلة الوحيدة في العهد الحجازي وأوضحنا أنها مجلة زراعية فنية تجارية صناعية تصدر في أول أسبوع من كل شهر وتطرقنا إلى سبب تسميتها ورئيس تحريرها وأعدادها التي لم تزد على ثلاثة أعداد ولتوضيح المعلومات بشكل أدق تناولنا العدد الأول واوضحنا ما يحتويه من مقالات وبرامج وملخصات وكتابات.

ومن اهتمامات الحكومة الحجازية بالثقافة اهتمامها بالمكتبات وأشرنا في بحثنا هذا إلى أنواع المكتبات في العهد الهاشمي كالمكتبات العامة والخاصة وعرضنا كذلك لأمثلة على جميع أنواع المكتبات التي عرفت في تلك الفترة، وبينا في حديثنا عن المكتبات دورها الريادي في رفد الثقافة العربية بما تحتويه من كتب ومؤلفات ومخطوطات.

وإدراكاً منا لأهمية الثقافة فقد استعرضنا الأندية في العهد الهاشمي لا سيما دور نادي الصلاة الذي أقيم في جدة بحيث يجتمع فيه أعضاء ووجهاء أعيان جده للتباحث في المسائل السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية.

وعرجنا في بحثنا هذا على الحديث عن المطابع في العهد الهاشمي بحيث بينا أنواع المطابع المختلفة في تلك الفترة كالمطابع الحكومية والخاصة واستعرضنا الأمثلة على كل نوع وبينا أن للمطابع دوراً كبيراً ومهماً في ترسيخ الأدب والثقافة في المجتمع الحجازي فقد طبعت جريدة القبلة ومجلة جرول الزراعية في المطبعة الحكومية أما جريدة بريد الحجاز فقد طبعت في المطبعة الشرقية.

أما المبحث الرابع من هذا الفصل فقد تحدثنا فيه عن المؤسسات الصحية المختلفة في العهد الهاشمي وأوضحنا دور الحكومة في هذا المجال من خلال توفير المؤسسات الصحية المختلفة كالمراكز الصحية والمستشفيات بأنواعها المختلفة والمحاجر

الصحية، واستعرضنا كل مؤسسة صحية بشيء من الدقة مع التطرق بالأمثلة إلى كل نوع، وبينا دور الحكومة في إنشاء وزارة خاصة بالصحة عام ١٩١٦ م.

وقد تصدينا في الفصل الرابع إلى طبيعة العلاقة بين الشريف والقوى السياسية في شبه الجزيرة العربية بحيث جاءت العلاقة في خمسة أجزاء رئيسية أولها كانت تبحث علاقة الشريف مع أمير نجد، وأوضحنا في رسالتنا أن إمارة السعوديين في قلب نجد تعد أقوى الإمارات داخل الجزيرة العربية، ويتمتع إمامها عبد العزيز بن سعود بنفوذ وذكاء نادرين، ولقد كانت قوة السعوديين، هي القوة الوحيدة الكبرى في داخل نجد، التي يحسب الشريف حسين حسابها، فهو يعرف تاريخها القديم والحديث، ويعرف أن آل سعود، فتحوا الحجاز في منتصف القرن الثامن عشر، وأدخلوه في دائرة حكمهم، وأن محمد علي باشا هو الذي وضع اليد عليه بعد جلائهم، وعين جده محمد عون بن عبد المعين شريفاً على مكة، وهي الشرافة التي انتقلت إليه فيما بعد.

وبينا في بحثنا أن الشريف وضع منذ أن استقرت قدماه في مكة سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٥م)، نصب عينيه مقاومة النهضة الجديدة التي نهضتها نجد، بقيادة الأمام عبد العزيز، فلا تعيد معه سير آبائه واجداده.

وتناولنا المراسلات التي تمت بين الشريف والآستانة، والتي يذكر فيها الشريف خبر نهضة نجد الجديدة ويخوف العثمانيين من نتائجها ويذكر لهم نشاط دعاة التوحيد (الوهابيين) من النجديين، الذين انتشروا في مناطق الحدود بين نجد والحجاز، ويطلب بذل المساعدة لطردهم والقضاء على حركتهم، قبل أن تستفحل وتشتد، فاستجابت له الحكومة العثمانية، فقاد في سنة ١٣٢٨ هـ (١٩٠٧م) حملة تطرقنا لها في بحثنا إلى حدود الحجاز الشرقية (منطقة نجد) ضمت بعض كبار شيوخ قبائل المنطقة، اشترك فيها فيصل وعلي من أبنائه، ومحمد بن حميد شيخ قبيلة عتبة وأوضحنا أنه وصل بحملته إلى

منطقة القويعية، وتوجه منها إلى شقراء ووصل إلى القصيم، وبينا أنه هاجم الدواسر في أسفل وادي الخرما، حيث ركزنا في بحثنا على المعركة التي دارت بينهم، وتطرقنا إلى أسر الأمير سعد بن عبد الرحمن شقيق الأمام عبد العزيز مع بعض أنصاره.

وأوضحنا أنه دارت وساطات وبذلت جهود كبيرة للتوفيق بين الشريف وابن سعود وبينا أنه تم الصلح بوساطة خالد بن لؤي شيخ تربه، فعاد الحسين إلى مكة، بعد أن حصل على وثيقة من ابن سعود بأن يكف عن التعرض لقبائل سبيع والبقوم ومطير الضاربة في مناطق الحدود وللقبائل الداخلة في حدود الحجاز حتى شفا نجد.

ثم استعرضنا المراسلات التي دارت بين الدولة العثمانية وابن سعود، عقب إعلان الحرب العالمية الأولى فقد أرسل العثمانيون وفدين إلى الإمام عبد العزيز الوفد الأول برئاسة السيد طالب النقيب والثاني برئاسة محمود شكري الألوسي، يسألونه الدخول إلى جانبهم والتعاون معهم في الحرب لكنه اعتذر بسبب أوضاعه المادية السيئة التي لا تساعده على الاشتراك بالحرب، والاشتباك فيها وأنه سيلتزم الحياد.

وأوضحنا أن البريطانيين أرسلوا وفداً برئاسة شكسبير (مندوبهم في الكويت) للتفاوض مع ابن سعود واقناعه بدخول الحرب العالمية لصالحهم لكنه اعتذر، واستعرضنا المراسلات التي دارت بين الشريف وابن سعود عقب اتفاق العقير عام ١٩١٥م وبينا شروط الاتفاق الذي عقد بين الانكليز وابن سعود وتبدل الموقف على الحدود، بعد ختام الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٨م، تبدلاً خطيراً.

وفي الجزء الثاني تم توضيح طبيعة العلاقة بين الإدريسي والشريف وبينا أن الإدريسي خرج على الدولة واحتل مدينة القنفذة الحجازية واستولى على مدينة أبها قاعدتهم (الدولة العثمانية) الإدارية والعسكرية في عسير، وبسط نفوذه على كل المنطقة، وأوضحنا أن الدولة استنجدت بالشريف حسين لمقاتلة الإدريسي وتخليصها منه،

حيث بينا أن الشريف سار إليه بحملة عسكرية سنة ١٩١١م استطاعت أن تفك حصار أبها وتشتت قوة الإدريسي.

وتطرقنا إلى علاقة الشريف بالأمام يحيى وأوضحنا أن العلاقة التي كانت تربط الإمام بالشريف علاقة طيبة وودية تقوم على التفاهم والحب والإخلاص للعرب وبينا أن علاقة الإمام بالعثمانيين كانت عدائية حيث قام الإمام عام ١٩١٠م بثورة شديدة قادها بنفسه وأجبر العثمانيين على الاعتراف به، لكن الإمام زاد من منطقة نفوذه وأغضب العثمانيين منه وأوضحنا في بحثنا أن العثمانيين استشاروا الشريف بثورة الإمام، فنصحهم بالاتفاق معه سلماً، وتطرقنا إلى معاهدة دعان عام ١٩١١م بين الدولة و الإمام يحيى، وأوضحنا أنه بعد قيام المملكة الحجازية عام ١٩١٦م حدث تحالف مع الإمام يحيى عام ١٩٢٢م وتمثل ذلك من خلال إرسال الوفود بينهما حتى تم الاتفاق في حزيران ١٩٢٢م وبينا أهم بنوده.

أما المبحث الرابع فتدور أحداثه حول طبيعة العلاقة بين الشريف وابن رشيد الذي أعلن ولاءه وطاعته للدولة العثمانية وبينا أن ابن رشيد عند قيام الثورة العربية انحاز لجانب العثمانيين ضد العرب، وبينا أن العلاقة بين الشريف وابن رشيد كانت خاملة طول فترة الحرب العالمية الأولى، ولكن العداء المشترك ظل قائماً لسلطان نجد، واوضحنا أنه دارت مراسلات عديدة بين الشريف وابن رشيد للقضاء على عدوهما المشترك ابن سعود.

وبحثنا في الفصل الخامس أزمة الشريف مع الاتحاديين بحيث قسم الفصل إلى جزءين أحدهما يتحدث عن تدهور العلاقات مع الاتحاديين. ثم أوضحنا سياسة حكومة الاتحاديين المتغطرسة والحاقدة حين صممت على انتهاج سياسة الحزم والشدة في الحجاز فقررت الخلاص منه بأسرع وقت لأنه يشكل عائقاً حقيقياً أمام سياساتهم

التريكية، وكان بدء العمل بالسياسة الجديدة والحازمة من خلال تعيينهم والياً جديداً للحجاز يطبق سياستهم ويشدد الخناق على أميرهم الشريف حسين ألا وهو وهيب بك، وأشار الفصل إلى جهود الشريف حسين وأولاده في تحدي سياسة الاتحاديين الطورانية الحاقدة، كما تتبع الفصل المراسلات المتبادلة بين الشريف وقيادات الحكومة الاتحادية التي انتهت الى تخليص الحجاز ولو لفترة قصيرة منهم أمثال وهيب وجمال باشا وأنور وطلعت مع تحجيم سياستهم الطورانية. ثم أوضحنا الاتصالات الأولى التي تمت بين الشريف والبريطانيين والتي تمت عن طريق الأمير عبد الله، وقد عرفت فيما بعد بمراسلات الحسين - مكماهون.

أما الجزء الثاني من هذا الفصل فتم بحث موضوع الشريف وتزعمه الثورة ضد الاتراك، وتناولنا فيه المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين بشأن رغبة الأخيرة في دخول الحرب العالمية الأولى، وجهود الشريف حسين للحؤول دون دخول الدولة العثمانية الحرب، فضلاً عن الضغوط العثمانية الرامية لاستصدار فتوى الجهاد المقدس من أمير مكة المكرمة الشريف حسين مبينين ذكاء ودهاء الشريف في كيفية التخلص من هذا الموقف الحرج بالتلويح لهم بولائه للدولة العثمانية وإخلاصه في تنفيذ أهدافهم ومنها مشاركته المباشرة في حملة القناة الأولى مبينين غطرسة وجبروت الثالوث الاتحادي (أنور وطلعت وجمال) لا سيما الإعدامات التي قام بها الأخير في بيروت وسوريا، وأخيراً تطرقنا إلى طبيعة المراسلات مع البريطانيين (مراسلات الحسين- مكماهون).

وبحثنا في فصلنا الأخير ـ الفصل السادس ـ إعلان المملكة الهاشمية في الحجاز وعلى هذا قسم الفصل إلى جزءين رئيسيين الأول تحدثنا فيه عن الثورة العربية الكبرى من خلال الدوافع والأسباب لقيامها وظروف حدوثها والإعداد لها، ثم تناولنا مراحل ومجريات الثورة، ثم أشرنا إلى نتائجها، والتي تناولناها كنتيجة هامة في تاريخ العالم

العربي الحديث وهي تأسيس المملكة الهاشمية الحجازية فضلاً عن تأسيس المرافق الضرورية في الدولة الحديثة كالجيش العربي والشرطة وتشكيل هيئة الوزارة، ومجلس الشيوخ وعلم الدولة وشعارها، وردود الفعل العربية والعالمية والعثمانية على إعلان الثورة وقيام المملكة الجديدة، ومسألة إعلان الشريف حسين ملكاً على الحجاز، بالإضافة إلى الحديث عن المملكة الهاشمية في سنواتها الأخيرة، والظروف القاسية التي أحاطت بها، وتنكر الحلفاء لها لا سيما الانكليز لوعودهم التي قطعوها للشريف حسين، وتطرقنا إلى الخلافات التي حدثت بين الشريف حسين والأمير ابن سعود وكيف تطور هذا النزاع حتى أدى إلى تنازل الشريف عن الملك لابنه الأمير علي، وقد حاول الأخير حل النزاع بينه وبين ابن سعود بالطرق السلمية، فطلب مساعدة الإنجليز فتنكروا له، مما اضطره للتنازل عن عرش الحجاز ومغادرتها إلى البصرة في العراق، وأوضحنا كذلك مغادرة الشريف حسين الحجاز إلى قبرص عام ١٩٢٤م ثم بينا أن السعوديين بسطوا نفوذهم على الحجاز وانهوا بذلك الدولة الهاشمية سنة ١٩٢٥م.

ولخصنا في الخاتمة أهم ما توصلنا إليه من استنتاجات من خلال متابعة الأحداث والتطورات العديدة للحجاز والشريف حسين إبان الحقبة التي حددتها الدراسة ١٩٠٨ - ١٩٢٤م وهذا ما سنعرفه في خاتمة الرسالة.

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع متنوعة أبرزها، المصادر والمراجع العربية التي ستشكل العمود الفقري لمادة الرسالة، لتغطيتها الفترة الزمنية في موضوع البحث، وتأتي أهميتها لأنها كتبت من قبل أشخاص عاصروا الأحداث، وأهمها مؤلفات أمين سعيد «أسرار الثورة» و«ثورة العرب في العشرين»، وسيكون لمؤلفات سليمان موسى حضور ملموس في الرسالة لا سيما كتاب «الحركة العربية» و«الحسين بن علي والثورة» وغيرها. وللمذكرات الشخصية في هذه الرسالة أهميتها على الرغم من الخطورة في تناولها والتركيز عليها لأسباب قد تكون لدى كاتبيها في

حينها مما جعلنا ندقق فيما ورد فيها لكنها زودتنا بمعلومات غاية في الأهمية قد لا تتوفر في مصادر أخرى وأهمها مذكرات الملك عبدالله بوصفها سجلاً حافلاً بالتفصيلات الأساسية والدقيقة للأحداث العديدة، فضلاً عن مذكرات جمال باشا السفاح التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة كهذه وهناك مذكرات أحمد قدري وفائز الغصين، وتأتي أهميتها كونها مصادر أصلية صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث، حيث ستسهم بشكل واضح في إغناء الرسالة بالعديد من المعلومات المهمة.

كما اعتمدت الدراسة على المصادر الأجنبية المختلفة، التي ساعدتنا إلى حد ما في الكشف عن جوانب خفية للعديد من المعلومات المهمة والدقيقة في معالجة الكثير من الأحداث السياسية الكثيرة.

واعتمدت أيضاً على بعض الصحف لأنها تشكل سجلاً غنياً بالتفصيلات الدقيقة والهامة وتأتي في مقدمتها صحيفة القبلة باعتبارها لسان حال الثورة العربية والحكومة الحجازية أولاً فضلاً عن أنها صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث بالإضافة لكون مصادرها أصلية وموثقة وعلى ذلك فإن أية دراسة عن الثورة ومملكة الحجاز دون الاطلاع على القبلة، تعتبر أمرا ناقصا ليس متعسراً فحسب بل مثير للحرج.

أما الدوريات العربية فإنها شكلت مادة مهمة من مصادر الدراسة، وتأتي أهميتها لأن بعضها قد عالجت أحداثاً خاصة بالحجاز، أما المراجع الأجنبية لا سيما الوثائق البريطانية فإنها شكلت كذلك مادة مهمة من مصادر الرسالة، لأنها وفرت العديد من المعلومات الأساسية والمهمة.

وفي الختام لا بد أن أعترف بأن هذه الدراسة ما هي إلا محاولة لفهم حقبة تاريخية مهمة من تاريخ أمتنا العريقة لم يسلط عليها الضوء في الدراسات العربية المعاصرة ألا

وهي «الحجاز تحت حكم الشريف حسين (١٩٠٨ - ١٩٢٤م)» وإن بحثت من جوانب مختلفة وأهملت جوانب عديدة وكثيرة منها، ونرجو الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في اختيارنا وطرحنا لعل وعسى أن نكون قد ساهمنا من خلال هذه الدراسة بإضافة جديدة في حقل المعرفة لبعض التفاصيل عن تاريخ أمتنا الماجدة.

والله نسأل التوفيق

التمهيد

الحجاز من الناحية الجغرافية أرض قاحلة وجافة وصحراوية وتقع في قارة آسيا بين الفرات والخليج العربي شرقاً وجبال طوروس والبحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر غرباً والمحيط الهندي جنوباً، وجميع مناطق الحجاز تسقط عليها أمطار قليلة باستثناء مرتفعات الطائف.

ويقسم الحجاز تضاريسيا إلى ثلاثة أقسام هي :

- الشقة الساحلية لا سيما ساحل البحر الأحمر الممتدة من العقبة شمالا وحتى رأس تربة في اليمن، ويجاور سواحل البحر الأحمر عدد من الجزر المرجانية والبركانية ويوجد فيه عدد من الموانئ المهمة كالعقبة وجدة والحديدة[1].
- المنطقة الجبلية وهي امتداد لسلسلة جبال الشام وتُعرف بجبال الشراه ويطلق عليها جبال السراه في الحجاز، وهذه الجبال تمتد من مدين شمال الحجاز حتى جنوب اليمن وتسمى باسم المناطق المارة بها مثل سراه حجاز وعسير واليمن وجميعها جبال بركانية رسوبية وتنخفض الحرارة في هذه الجبال شتاء وترتفع

(١) سليمان الموسى، الثورة العربية الكبرى، الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م، عمان، ١٩٨٩، ص١٦ـ١٨.

صيفا، ويساعد البحر على تلطيف درجة الحرارة، أما الأمطار فتقل في جبال الحجاز وترتفع في جبال اليمن صيفا.

- بعض الهضاب التي ترتفع في الشمال وتنخفض في الجنوب. وتضيف بعض الدراسات قسما رابعا وهو المرتفعات الرئيسة[(١)].

وهذه التقسيمات تأتي على نحو رأسي مواز لقوافل الحجاج القادمة من عدة اتجاهات احداها قادمة من بلاد الشام والدولة العثمانية، والثانية من مصر وشمال أفريقيا والثالثة من العراق وبلاد الشام، أما الرابعة فانها تأتي من بلاد اليمن وجنوب شرق آسيا[(٢)].

وعلى مدى مئات السنين كانت قوافل التجارة العربية تمر بالحجاز كي تنقل البضائع من بخور وتوابل وبعض المنتجات الهندية من بلاد اليمن إلى موانئ البحر المتوسط، وكانت اشهر المحطات التجارية محطة ديدان (العلا). وفي منتصف القرن الثاني من الألف الأول قبل الميلاد نشأت في منطقة الحجاز الحضارة الآرامية القادمة من تيماء، وكان لها مع حضارات العرب في جنوب الجزيرة العربية تأثير واضح لدى «اللجيان» الذين خلفوا المعينيين في منطقة ديدان، ثم ظهرت حضارة الأنباط قبل الميلاد والتي امتدت منطقتهم من وادي الموجب في الأردن إلى مدائن صالح شمال الحجاز، وقد اتخذوا من البتراء عاصمة لهم، وفي عام ١٠٦ بعد الميلاد انتهت هذه الدولة عندما استولى الرومان عليها بقيادة الإمبراطور تراجان.

---

(١) كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨ـ ١٩١٨، عمان، ١٩٩٧م، ص١٨ـ١٩.

(٢) فائق بكر الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز في الفترة ١٨٧٦ـ ١٩١٦، مكة المكرمة، ١٩٩٨م، ص٤٨ – ٤٩.

وفي الجزء الجنوبي من الحجاز نهض قوم ثمود الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، واليهم تُنسب كتابات منقوشة ومحفورة على الصخور بأعداد كبيرة في المنطقة الممتدة من تبوك وحتى منطقة العلا، ومن ساحل البحر الأحمر حتى منطقة جبل شمر.

وقد خضعت الحياة في شبه الجزيرة العربية لحياة البداوة بما في ذلك المدن الحجازية وخاصة مكة التي أسسها العرب المهاجرون من جنوب الجزيرة العربية، وكانت تعيش حياة بدوية محض في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع.

وعندما قدمت قريش لأول مرة إلى مكة في القرن الثاني للميلاد جعلت منها مركزا دينياً وتجارياً مهما على يد هاشم بن عبد مناف الذي سن رحلة الشتاء والصيف، ودخل في عهود تجارية مع القبائل العربية المقيمة على طرق التجارة وازدادت أهميتها مع ظهور الإسلام حيث أصبحت العاصمة الإسلامية الدينية للعالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه[١].

وقد يكون من المفيد التعرف على القبائل التي سكنت الحجاز منذ القدم حتى نتعرف على تطور خريطة القبائل في المنطقة. ففي القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي وبالتحديد في شمال الحجاز سكنت قبيلتا لخم وجذام وهما من السكان الأصليين ويعود نسبهم الى عرب الجنوب الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية واستوطنوا في الشمال ومن القبائل الأخرى التي سكنت في الحجاز قبيلة قضاعة والتي تضم قبيلة بلي التي سكنت في منطقة وادي اضم (الحُمض) ثم عذرة وهذه سكنت منطقة الساحل(جدة)[٢]بين حرة عويرض وحرة خيبر ثم قبيلة جهينة وقد سكنت

---

(١) محمد بن عبد الله الأزرقي، تاريخ مكة، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٠ـ٣٧. انظر أيضاً: أحمد السباعي، تاريخ مكة، جـ١، مطابع قريش، مكة، ١٣٨٥هـ، ص١٠-١٣.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، تاريخ مدينة جدة، مجلد ١، ط٢، مطابع الاصفهاني، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٠م، ص١٠٩ ـ ١١٧.

المنطقة الواقعة من وادي أضم حتى خط «ينبع ـ المدينة»، وكذلك قبيلة غطفان الذين سكنوا وسط الجزيرة العربية ثم قبيلة مزينة وهذه سكنت في جنوب شرق المدينة (يثرب) إضافة لقبيلتي الأوس والخزرج الذين استوطنوا المدينة وكان بينهم عداء مستمر، وفي الجزء الجنوبي من مرابض قبيلة جهينة سكنت قبيلة خزاعة التي اختلطت مع كنانة القبيلة الأم لقريش.

وفي المنطقة الواقعة جنوب مكة كانت تسكن قبيلتان قيسيتان (فهم، وعدوان) الأولى جنوب السراه والثانية شمالها أما في أقصى شمال الحجاز فقد سكنت قبائل الحويطات وبني عطية، والى الشمال من مدائن صالح والعلا والوجه سكنت قبيلة المواهب في الداخل.

ومن أكبر القبائل التي استوطنت الحجاز قبيلة حرب التي سكنت في منطقة ينبع وجدة حتى نجد ورابغ والقضيمة ومستورة ووادي الصفراء، وتليها في المرتبة الثانية قبيلة عتيبة التي سكنت منطقة المدينة ومكة والطائف، وكان بينها وبين قبيلة حرب عداء واضح أما عشائر الأشراف الهاشميين فهي إحدى وعشرون فخذا أغلبهم يعيش في منطقة مكة وما جاورها.

أما من ناحية الوضع السياسي فقد كان الحجاز مفتوحا أمام المؤثرات الخارجية فقد كانت القبائل التي تسكن شماله تتبع للإمبراطورية البيزنطية التي كان اتباعها الغساسنة يسيطرون على المنطقة من خلال شن حملات وغزوات تصل الى منطقة خيبر.

ويضم الحجاز مدناً وقرى رئيسة أهمها:

- مكة المكرمة والتي تعد من أقدس المدن لوجود الأماكن المقدسة فيها، فقد ظهر الإسلام فيها فهي عاصمة الدولة الإسلامية قديماً، وقد استوطنتها قبيلة

قريش قديما [1] وقد عاش فيها الأشراف الهاشميون الذين تسلموا زعامة قريش قبل وبعد الإسلام منذ زمن قصي بن كلاب عام ٤٨٠م وتلاه أحفاده من بني هاشم وقد أصبحت مكة إمارة مستقلة يحكمها الهاشميون منذ القدم[2].

- المدينة المنورة وتأتي في المرتبة الثانية بعد مكة من حيث الأهمية، وهي مدينة مسورة سكنها الأوس والخزرج، ثم هاجر اليها الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ومنها بدأت الفتوحات الإسلامية، وتحيط بها الجبال من ثلاث جهات.

- مدينة جدة التي اكتسبت خلال فترة الإسلام الأولى أهمية لا سيما زمن الخليفة عثمان بن عفان الذي جعل منها مرفأ ومدينة ساحلية، وتعد مركزاً للتجارة الخارجية اعتمد عليها الشريف الحسين بن علي عند تأسيس المملكة الحجازية عام ١٩١٦م بعملية الاستيراد والتصدير، وتعود أهميتها لسببين: أولهما ديني متعلق بنقل الحجاج، والثاني اقتصادي متعلق بعملية التجارة[3].

- الطائف وتقع على هضبة مرتفعة أغلب قبائلها من عتبة وثقيف.

- العقبة وتقع على رأس البحر الأحمر، وفيها قلعة بناها السلطان المملوكي قانصوة الغوري سنة ١٥١٦م.

---

(١) محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، جـ١، مخطوط دار صدام للمخطوطات، برقم ٤٠ ١٤١. الصواف، المرجع السابق، ص٤٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد ١٣، الطبعة العربية، إمارة الشريف، ص٢٢٥ـ٢٧٠. انظر أيضاً: محمد طاهر العمري، مقدرات العراق السياسية، الطبعة العربية، بغداد، جـ١، ١٩٢٥م، ص١٠٣ـ١٠٥.

(٣) الانصاري، المرجع السابق، ص١٠٩.

- ومــن مــدن الحجــاز الأخــرى الليــث، ورابغ،وينبــع البحــر، والوجــه، واملج،وضــبا، وتبــوك، والعــلا، وينبــع النخــل، والحناكيــة، والحمــراء، والصفراء.

ولقد احتفظ الحجاز بمكانته الدينية بعد انتقـال مركـز الخلافـة الإسـلامية مـن المدينة إلى دمشق (الخلافة الأموية) ثم إلى بغداد (الخلافة العباسية) وظل وحدة مستقلة بعد انهيار الخلافة العباسية وانقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات تحكمها أسر صاحبة نفوذ. لكن علاقة الحجاز بالسلطة الحاكمة في مصر كانت لها خصوصيتها ربما حُكما او اضطرارا لأن مصر تشرف على طـرق قوافـل الحـج والتجـارة ويهـم أشراف الحجـاز وجود علاقة خاصة ومتميزة مع حكام مصر ابتداء مـن الفـاطميين ثـم الأيـوبيين ثـم المماليك إلى أن دخل العثمانيون[١] الشام ومصر (١٥١٦ ـ ١٥١٧م) بعد معركة سـابقة لهم مع المماليك في مرج دابق[٢] سنة ١٥١٦م شمال حلب، تلتها معركـة الريدانيـة عـام

(١) الدولة العثمانية: أسست الدولة العثمانية من قبل قبيلة تركية هاجرت من أواسط آسيا إلى الأناضول بضغط المغول في مطلع القرن الثالث عشر وكان يقودها شخص يسمى سليمان، وهو والد ارطغرل جد عثمان الذي سميت الدولة نسبة إليه وتذكر الروايات أن لعثمان مائتين وخمسين جداً ينتهون بنوح، ومنهم أوغزمان الذي عرف قومه بالأوغز أو الغز وهي قبائل تركية اشتهرت ببأسها وقوتها في غرب آسيا في القرن العاشر. وأن سليمان كان حاكم ماهان في بلاد المرو بين خراسان وتركستان وقد تركها بضغط المغول ويمم شطر بلاد الروم بلاد البيزنطيين لكنه تحول عنها واتجه صوب بلاد الشام وغرق في الفرات حين كان يعبره وعلى أية حال فالعثمانيون هم غزاة وامارة عثمان هي إمارة تتبع إمارة الغزاة في منطقة البيزنطيين ثم توسعت حتى وصلت المناطق العربية وغيرها من المناطق العالم. أنظر عاصم الدسوقي: تاريخ العرب الحديث المعاصر ق١٦ ـ ق٢٠ المشرق والمغرب، ط٢، مؤسسة ابن خلدون، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١ وما بعدها.

(٢) معارك العثمانيين في بلاد الشام ومصر: معركة جالديران: أولى معارك العثمانيين ضد الصفويين عام ١٥١٤، استطاع السلطان سليم الأول الانتصار على قائد الصفويين الشاه الصفوي. مرج دابق: اصطدم الجيشان العثماني والمملوكي في ٢٣ آب ١٥١٦، في مرج دابق، قرب حلب، وهزم المماليك وتوفي السلطان قانصوه الغوري أثناء المعركة. ويعزى انتصار العثمانيين إلى استخدامهم السلاح الناري اليدوي (سلاح الرصاص) بينما استخدم المماليك سلاح الفرسان القديم مع وجود خيانة في قيادة المماليك، حيث انتقل خايريك (والى حلب المملوكي) إلى جانب العثمانيين للقتال معهم وقد كوفئ =

١٥١٧م[1] شمال القاهرة، وهكذا دخلت جميع الأقطار العربية تحت وطأة الحكم التركي إما بشكل عسكري أو سلمي باستثناء مراكش. وبقي الحجاز حتى عام ٣٥٨هـ ولاية تابعة للخلافة العباسية في بغداد[2]، وعندما انتزع الفاطميون مصر من الدولة العثمانية وحكموها، اغتنم الأشراف[3] الفرصة واستقلوا بالحجاز استقلالا تاما يتصرفون فيه كيفما شاءوا، رغم وجود نزاع داخلي بينهم على إمارة الحجاز معتمدين في تسيير حكم الحجاز على الاستعانة بأمير الحج الشامي أو الحج المصري.

=بعد ذلك بأن منح ولاية الشام هديه له على خدماته الجليلة. معركة الريدانية (شمال القاهرة) ثاني معارك العثمانيين، وهزم المماليك فيها في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧ وقد حقق السلطان سليم الأول العثماني النصر على طومان باي قائد المماليك ودخل القاهرة وخطب له في جوامعها وقد لجأ طومان إلى شيخ بدو البحيرة حسن بن مرعي فسلمه للعثمانيين، فقتلوه وعلقوه في باب زويلة في القاهرة في ١٣ نيسان ١٥١٧، وسيطر العثمانيون على مصر وانتهت بذلك دولة المماليك. لمزيد من التفاصيل أنظر: الدسوقي، المرجع السابق ١٧ـ٢١. أنظر أيضاً : عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ ـ ١٩١٦، ط١، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧٤، ص ٦٠ـ ٦٥.

(١) ابن اياس أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥، مطبعة بولاق، مصر ١٣١١هـ ـ ١٣١٣هـ، ص١١٩. انظر أيضاً: عاصم الدسوقي، المرجع نفسه، ص١٩ـ٢٥. انظر أيضاً: عبد الكريم رافق، المرجع نفسه، ص٦١-٦٥.

(٢) أمين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص٤٣.

(٣) الأشراف: كلمة الشريف تدل في اللغة على الارتفاع والعلو وتطلق على الشخص الحر الذي له آباء متقدمون في الشرافة، وقد تطور مدلولها تاريخياً فكانت تطلق على أصحاب ورؤساء القبائل وزعماء القوم قبل الإسلام ثم صار الإنتساب إلى آل البيت النبي صلى الله عليه وسلم وأقربائه علامه مميزة لهذا اللقب. وقد اختلفت التفسيرات الصادرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمصادر التاريخية بين عدة مذاهب في أحقية أي الفروع من الأسرة النبوية في هذا اللقب، بيد أنه كان يدور في عائلة الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيرها، كالعباسيين والعلويين. أما في الحجاز بشكل خاص فكانت العادة أن يسمى أبناء (الحسين بن علي) بن أبي طالب بالشرافة وحدهم لأن أجدادهم كانوا حكام وزعماء مكة في حين يلقب أبناء (الحسن بن علي بن أبي طالب) بالسيدة فقط ومع ذلك يتكلمون عن الشريف الأكبر بقولهم سيدنا. لمزيد من التفاصيل أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، مادة شريف، المجلد الثالث، ص٢٦٦ـ٢٦٧.

وجـدير بالـذكر أن الأشراف الـذين تولـوا إمـارة الحجـاز بعـد انفصـالها عـن العباسيين ينقسمون إلى أربع طبقات هي[1]:

* الموسويون. * السليمانيون. * الهواشم.

وقد حكمت هذه الطبقات الثلاث من سنة ٣٥٨ ولغاية ٥٩٨هـ، أمـا الطبقـة الرابعة فهي التي بدأت من قتادة بن إدريس من سلالة موسى الجون الشهير وهو ابـن حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب، ومن هذه الطبقة ظهر محمد بن ابي نمي.

وحتى القرن الثاني عشر الهجري كان حق الانتخاب لشريف إمارة مكة محصورا ومقتصرا على بني بركات، وبني زيد الذين جرى تنـافس وعـداء شـديد بيـنهم، وقـد استمر حتى القرن التاسع عشر عندما ظهر فرع جديد للهاشميين الأشراف وهـم بنـي عون[2]، وجميع الفروع الثلاثة مـن بنـي بركـات وزيـد وعـون يرجعـون الى سلالـة الحسين بن ابي نمي من سلالة الحسن بن علي بن ابي طالب[3].

وكان الحكم في عائلة الأشراف ينتقل بشكل وراثي بعد موت الشريف إلى أقوى رجل في العائلة قوة ونفوذا[4]، ويكون انتقال الحكم من عائلة الى اخرى على نمط أسري أو ما يسمى (العترة الشريفة)[1].

---

(١) موسى، الثورة العربية، ص١٩، أنيس صايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ط١، منشورات دار الطليعة، بيروت، أيار ١٩٦٦، ص ٣٣.

(٢) الصايغ، المرجع السابق، ص٣٣.

(٣) شكيب ارسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى قدس المطاف، وهي الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادر الزمان، وقف على تصحيحها وعلق على بعض حواشيها السيد محمد رشيد رضا، منشئ مجلة المنار، ط١، مصر، القاهرة، ١٩٢٦م، ص١٢٦.

(٤) سيار، الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث من أجل بحث رؤية معاصر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص٤٧٥ ـ ٤٧٧، موسى: الحسين، ص١٩٥٩، قوة ونفوذاً، شهدت الحجاز أبان القرن السابع عشر حالات من الصراع على منصب أمير مكة المكرمة، فضلاً عن النزاعات الأسرية لطبقة الأشراف، وقد أدى ذلك الصراع إلى انقسامات اجتماعية، كما أدى في كثير من العهود=

وكان دخول الحجاز من قبل العثمانيين سلمياً، اذ لما دخل السلطان سليم الأول مصر وجد فيها بعض العلماء والفقهاء والقضاة من اهل الحجاز بسبب الاضطرابات والمظاهرات[٢] التي عمت إقليم الحجاز ضد حكم المماليك لأن الأشراف في إقليم الحجاز غضبوا من السلطان الغوري لفشله الذريع في هزيمة البرتغاليين وقصوره في وقف تحول التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح والذي حرم مدينة جدة من الموارد الجمركية فما كان من السلطان سليم الأول إلا أن أطلق سراحهم عند دخوله القاهرة سنة ١٥١٧م[٣].

=إلى ولادة شرافات مشتركة انقسم الشرفاء على أنفسهم في هذا القرن بين فئتين سياسيتين منهم شرفاء بني عبد المطلب وشرفاء بني محسن، وأدى هذا الانقسام إلى صراع دموي بين أصحاب المطامح والمنافع، والمصالح والسلطة، وفي عام ١٦٣١ دخل شرفاء مكة لأول مرة تحت قيادة الشريف زيد بن محسن في قتال ضد الجيش العثماني الذي قدم من اليمن إلى الحجاز، فذهب الشريف زيد ضحية الحرب بين الطرفين بعد شرافة دامت قرابة ستة أشهر، فضلاً عن ذلك فقد تعرضت الحجاز إبان القرن نفسه إلى مشكلات اقتصادية وسوء الظروف الطبيعية التي سببتها السيول الجارفة نحو مكة في كثير من السنين، واللافت أنه حتى في أشد حالات الحجاز تعاسة لم يكن التدخل العثماني لحل الأزمات بصورة مباشرة، بل بقي اعتماد البلاط العثماني على أشراف مكة قوياً في معالجة الأزمات، وعلى الرغم من أن العلاقات السياسية بين الأشراف والعثمانيين أخذت تنخفض أكثر من قرن كامل على ذلك التتابع السلطوي للباب العالي، إلا أن البلاط العثماني لم يغير من طبيعة العلاقة التاريخية التي ربطته بأشراف مكة ويصحح الأمر لكن العثمانيين لم يغيروا من اسلوب الحكم المحلي لأشراف الحجاز، وكثيراً ما نجد أبناء أولئك الأشراف يقيمون في العاصمة العثمانية تقرباً من السلطان، أو هرباً من أحوال الحجاز القاسية أو طلباً للامتيازات. لمزيد من التفاصيل، انظر: سيار، المرجع نفسه، ص ٤٧٧.

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٢٩.

(٢) كان سبب المظاهرات غضب الأشراف في إقليم الحجاز على السلطان الغوري لفشله في إيقاع الهزيمة بالبرتغاليين وإخفاقه في وقف تحول طريق التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وكان هذا التحول في طريق التجارة قد حرم جدة من مواردها الجمركية وقد عمل السلطان الغوري على نفي العلماء والقضاة والفقهاء إلى القاهرة وسجن كثير من زعماء وقادة الحجازيين واعتقالهم فلما دخل السلطان سليم الأول أطلق سراح جميع المعتقلين الحجازيين. للتفاصيل أنظر أيضاً: الصواف، المرجع السابق، ص٣٩.

(٣) الصواف، المرجع نفسه.

قام الأشراف بمباركة دخول السلطان سليم القاهرة[1]، ولهذا أرسل رسالة يدعو فيها الشريف بركات بن محمد (شريف مكة) إلى الدخول في طاعته، وقد استجاب الشريف وأرسل ابنه الشريف أبا نمي إلى مصر حاملا رسالة مباركة أعلن فيها الطاعة والمبايعة للسلطان مع تسليمه مفاتيح الحرمين الشريفين إعلاناً لولائه وانتمائه[2]، وأن يدعى له على المنابر في صلاة الجمعة والأعياد[3] وبهذا يمكننا القول إن أشراف مكة، هم أول من اعترف من البلاد العربية بالسلطان سليم الأول سلطاناً عليهم. وقد أبقى السلطان على نظام الشرافة، كما كان أيام المماليك واعترف بولاية الشريف بركات على مكة، كما عين ابنه أبا نمي شريكاً في الإمارة وعند وفاة بركات عام ١٥٢٥م، استقل أبو نمي بإمارة مكة، وبذلك استمر مبدأ الشراكة في الحكم فترة طويلة بين أشراف مكة[4]، وأنشئت في جدة متصرفية باسم متصرفية الجيش (سنجقية) حيث يقيم فيها وال في أغلب الأوقات، وباشا له ثلاثة أطواخ في أوقات أخرى[5].

---

(١) الدسوقي، المرجع السابق، ص٢٣.

Pandall Baker ،king Husain And The kingdom of Hejaz. The Oleander press Cambridge. 1979.P.2-3.

(٢) حمل أبو نمي معه مجموعة من آثار الرسول والصحابة عليهم السلام ليضيف عليه خادم الحرمين الشريفين، بل صار يخطب له بذلك في خطب الجمعة في مصر بقولهم «وانصر اللهم السلطان بني السلطان ملك البرين والبحرين كاسر الجيشين وسلطان العراقين، وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه اللهم انصره نصراً عزيزاً وافتح له فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة، يا رب العالمين..» الصواف المرجع نفسه، ص ٤١. أنظر أيضاً: أنيس الصايغ، المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) سيار، المرجع نفسه، ص٤٦٩. سليمان الموسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، ط٢، عمان لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٢م، ص١٨ـ ١٩. الصايغ، المرجع نفسه، ص٣٧ـ ٣٨. أحمد عزت عبد الكريم دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٧٠م، ص١١٢. الدسوقي، المرجع نفسه، ص٢٤.

(٤) أحمد بن عمر الزيلعي، نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة ٦٤٧ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٢٤٩ ـ ١٥١٧م، مجلة الدارة، ص٧٢.

(٥) أطواخ جمع طوخ وتكتب في بعض المراجع أطواغ وطوغ والطوخ مفهوم تاريخي يعني ذيل الحصان الأبيض المعقود على صعدة تعلوها أكسدة من ذهب ونحاس، وكان كبار رجال الدولة يتميزون بعدد الأطواخ التي ترفع أمامهم في الحفلات والمواكب والأفراح. إذ كان الباشا الذي يشغل منصب وزير=

وقد صرفت الدولة العثمانية أموالا كثيرة على الأماكن المقدسة، وكان كل إيـراد الحجاز يصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني تعـرف باسـم (حـرمين دولابي)[1]. وفي هذا الشأن ازدهرت مكة ازدهارا كبيرا بعد رجوع ابي نمي من القـاهرة، إذ أعطـاه السلطان العثماني تفويضا بحكم والده، وقرأ ابو نمي بيان التفويض على الملأ، وخطب باسم السلطان سليم الأول، ومن هنا يتضـح أن الحجـاز دخـل بشـكل سـلمي تحـت السيادة العثمانية.

ومما بعث على ازدهار الحجاز في ظل الإدارة الشريفية انفراده دون سائر الولايات العثمانية بعدة امتيازات كان في مقدمتها إعفاؤه من تقديم جزية سنوية للدولة العثمانية، مع العلم أنه كان يتلقى مردودات كبيرة من مصر، عبارة عن حصيلة الأوقاف الموقوفة على الحرمين الشريفين وفقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت الأوقاف عبارة عن الأرض الزراعية وغيرها من الأرض الثابتة التي أوقفها أهل البذل من المصريين زلفى إلى الله سبحانه وتعالى، كما أقرت الدولة اعتماد مبالغ مالية ثابتة سنوية مخصصة للحجاز أطلق عليها (أموال الحجاز الصرة) وهي الواجبات المالية المفروضة على مصر كالجزية المقررة عليها للسلطان أطلق عليها (الخزنة). لذلك كانت علاقة إقليم الحجاز بمصر أقوى من علاقتها بالولايات العثمانية الأخرى، بل إن الباشا العثماني في مصر كان يعتبر في كثير من الأحيان مسؤولاً عن الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ولاية الحجاز[2].

= أو وال في ولاية كبيرة يحمل له ثلاثة أطواخ أما السلطان فكانت تحمل أمامه سبعة أطواخ، أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص١١٢.

(١) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، جامعة الموصل، ١٩٨٣م، ص٤٠.

(٢) الصواف، المرجع السابق، ص٤٥.

ولم تكن الامتيازات وقفاً على الأماكن بها بل لقد شملت أهالي الحجاز حيث تم إعفاؤهم من التجنيد الإجباري، ومن جميع الضرائب العقارية والشخصية، غير أن الأشراف كانوا يفرضون ضرائب بسيطة على الأغنام أو المواشي وعلى الحجاج والقوافل التجارية وعلى المطوفين والجمالة وأصحاب المحفات وغيرهم(١)، وهذه الضرائب في محصلتها كانت كبيرة للغاية، لذا كان الأشراف يحتكرونها لأنفسهم أو يتقاسمونها مع الوالي العثماني الموجود في سنجقية جدة فازدادت أموالهم وثرواتهم بشكل لافت في ظل الوجود العثماني في الحجاز وما كان ليتم ذلك بطبيعة الحال لولا سيادتهم المطلقة على جميع الواردات والأموال التي تستخلصها مكة في كل عام، إضافة إلى الأعطيات الكبرى التي كان السلاطين يمنحونها لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة باسم الفقراء لتوزع عليهم أثناء موسم الحج. فضلاً عن ذلك فإن الدولة العثمانية لم تطبق على الحجاز نظام الزعامات والتيمارات والخاصات(٢) وهي من مظاهر النظام الإقطاعي العسكري الذي طبقته في العراق وبعض الأجزاء من بلاد الشام. ومن باب تمييز الحجاز عن سائر الولايات العثمانية لم يطبق فيه نظام الالتزام الذي طبق على مصر وأجزاء أخرى من بلاد الشام من الولايات أو الأجزاء التي لم تخضع للإقطاع العسكري(٣). ومن هنا وصفه تشايلدز بقوله إنه: «ذلك البلد الذي لا تضرب فيه ضربة ولا توقع عليه جزية ويعيش أهله على موسم الحج»(٤).

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٥٢.

(٢) رافق، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(٣) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ ـ ١٩١٤، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص ٦٤ ـ٦٧. لمزيد من التفاصيل انظر أيضاً، رافق، المرجع نفسه.

(٤) تشايلدز ارسكين، فيصل الأول ملك العراق، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤، ص٢٤.

وهكذا احتل أشراف مكة بحكم علاقاتهم بالعثمانيين مكانة متميزة في الحجاز بشكل خاص، كما ازدادوا سمعة وتقديراً في العالم الإسلامي بشكل عام، على الرغم من عدم استطاعتهم إعلان عدم تبعيتهم للسلطة العثمانية العليا. وكانت العلاقة بينهما أشبه بتحالف إقليمي، على ما يبدو، بين أشراف مكة والعثمانيين من أجل بناء مصالح مشتركة سليمة منذ عام ١٥١٧م، فإذا كان الأشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى، لفرض الأمن والاستقرار الإقليمي والمحلي فإن العثمانيين قد استفادوا من المكانة الدينية المقدسة لطبقة الأشراف لغرض الاستحواذ على ولاء العالم الإسلامي قاطبة.

لقد سار حكم الأشراف لمكة جنباً إلى جنب مع السلطة الروحية القديمة التي يمارسونها، والتي تعززت من خلال العثمانيين بـ«السلطة الزمنية المحلية» اعتماداً أساسياً في الحجاز، وبصورة خاصة في مكة منذ بداية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين. وكان الأشراف جزءاً مهما من بنية النظام العربي القديم الذي استطاع البلاط العثماني أن يوظفه لصالحه، وخصوصاً إذا كان ذلك يتصل بالأماكن الإسلامية المقدسة. وتكاد العلاقة تكون ثابتة بين الحكام العثمانيين كـ«سلاطين» و«أشراف مكة»، ما دام هؤلاء الأشراف لم يثيروا أي حقوق سلطوية عربية (كقرشيين عرب) بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطة في الإسلام[١].

لقد ترسخ حكم الأشراف سياسياً نتيجة لجهود الشريف بركات في القضاء على نائب جدة حسين الكردي[٢]، الذي أعلن العصيان والتمرد عقب عودة السلطان سليم

(١) سيار، المرجع السابق، ص٤٦٩.

(٢) كان السلطان المملوكي الغوري قد عين حسين الكردي حاكماً على مدينة جدة. لمزيد من التفاصيل أنظر أيضاً: محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، المطبعة الجمالية بمصر، القاهرة، ط٢، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ص٧٦.

الأول إلى استنبول، فما كان من السلطان إلا أن أمر الشريف بركات باستعادة الموقف والقضاء على العصيان والتمرد وأمره بقتل حسين، واستجاب الشريف بالولاء والطاعة للسلطان وأخمد العصيان وقبض على حسين وقتله (أغرقه في البحر)[1].

ولا شك أن ذلك يسلط الضوء على حقيقة نجاح السلطان سليم مع أشراف مكة واستغلاله القوى السياسية والدينية لصالح عمله وعمل الدولة العثمانية من خلال اتباعه الأساليب الإدارية الناجحة والمتمثله باللامركزية العثمانية. ويمكن القول إن صفة التحالف وتبادل المصالح والاحترام المتبادل الظاهر منها هي ما كانت تميز العلاقة القائمة بين العثمانيين واشراف مكة والتي استمرت، على ما يبدو، حتى القرن الثامن عشر على أن الدولة العثمانية لم تتدخل في مسألة الشرافة لاسيما في القرن الثامن عشر لأسباب كثيرة وعديدة بعضها يتعلق بالحروب الخارجية التي خاضتها وبعضها متعلق بالأوضاع الداخلية وحركات المعارضة في بعض الولايات[2] لكن السلطان العثماني كان يتحين الفرص في بعض الأوقات فيعزل من يشاء، ويعين من يشاء ويساعده الوالي العثماني في الشام، لا سيما أثناء ترؤس الوالي قافلة الحج الشامي.

أما الكيفية التي يتولى بها الشريف الإمارة فإنها كانت تتم ضمن أسس وفرمانات خاصة بهذا الموضوع فأولاً كان يتم انتخابه من الأشراف، ثم يعينه السلطان بناء على توصيات وتقارير تقدم من قبل قاضي الحرم الشريف، ووالي مصر وجدة والشام، بحيث يرسل إلى الأمير الجديد وثيقة تسمى (منشور الإمارة) أو (وثيقة الإمارة) متضمنةً كتاب التعيين، ووظائفه، وتوصيات خاصة بالحكم والولاء والطاعة

(1) David George Hogarth ،Hejaz before world war ،Falcon ،Oleander 1978. P42.

(٢) محمد رفعت رمضان، علي بيك الكبير، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١٣٣-١٣٥.

للدولة العثمانية[1]، وثانياً يتسلم شريف مكة براءة منصبه في كل عام ويقام لذلك احتفال كبير في الحرم الشريف حيث يتلقى فرمان السلطان، ويعترف الشريف بالقاضي الذي قام السلطان بتعيينه والمبعوث من العاصمة، وهذه الفرمانات[2] تصدر من السلطان عندما يتوفى الشريف أو يعزل أو يستقيل.

أما استقبال الشريف الجديد فيتم بمراسم معينة عند قدومه إلى مكة إذا كان خارج مكة وإن كان بالداخل فانه يخرج لاستقبال المنشور، حيث يلبس الخلعة[3] الخاصة بالإمارة، ويقرأ المنشور على الملأ بصوت مرتفع معلنا بدء الإمارة الجديدة،

---

(١) إسماعيل حقي أوزون جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمه عن التركية الدكتور خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦م، ص٣٢ ـ ٣٧.

(٢) الفرمانات كلمة فارسية معناها عهد بالولاية وتكون الفرمانات مسوغات سلطانية رسمية إذ كان أصحاب المراكز المهمة في الدولة العثمانية يولون بمراكزهم وفقاً لفرمانات تصدر عن الباب العالي وكان يرسل إلى أمير مكة المعين حديثاً وثيقة «براءة» أو ما يسمى «منشور الإمارة» المتضمن تعيينه في الإمارة وكان السلطان يكتب بخط يده في الطرف العلوي من الرسالة المرسلة إلى امراء مكة بضعة أسطر تتضمن بعض التوصيات أو التمنيات أو حسب ما يقتضيه الأمر وقد جاء فرمان السلطان عبد الحميد إلى الشريف حسين بتوليته الإمارة بقوله: «عواطف الملك الأعلى الشريف حسين باشا أدام الله تعالى إجلاله وأدام سعده وإقباله: علم لدينا أنه اتصف بالأوصاف الحسنة الممدوحة وأبرز روابط خالص وجد أنه لطرق خلافتنا واستحق لياقة للإمارة الشريفة المذكورة تلألأت أمواج بحر مكرمتنا الذي ليس له نهاية نحو ذاته الهاشمية فأصلنا وفوضنا الإمارة الشريفة المذكورة إلى عهدة أهليته وأعطيناه منشورنا فائض السدور المشتمل على كمال البهجة والحبور». أنظر أيضاً جارشلي، المرجع السابق، ص٣٣ـ٧٢. وانظر حسين محمد نصيف «ماضي الحجاز وحاضره ـ الحسين بن علي» مطبعة خضير، مصر، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ص١٠ـ١٦.

(٣) الخلعة التي تهدى إلى أمير مكة عبارة عن جُبة من الجوخ الأسود مطرزة الصدر بسلوك من الذهب الإبريز الحر تكون مزهرة بأشكال مطرزة باللؤلؤ الناضر في الصدر والظهر واليدين وفي مصك على هيئة نصف شمس فاضر الألماس يتلوها خلع للجهة مطرزة بسلوك الذهب في الزيق واليدين فقط، أنظر: عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة عبد الله بن الحسين، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٤٦٩ـ٥٢٠.

ويكون في مراسم التعيين الوالي وموظف الوالي وكبار موظفي الإمارة وجمع كبير من الناس.

أما المنشور فيكتب باللغة التركية، ولأن بعض الأمراء في مكة لا يعرفون هذه اللغة فان السلطان يبعث في موسم الحج كتابين أحدهما عربي اللغة، والأخر تركي اللغة وكان يعاون الأمير موظفون من الكتاب يشرفون على المراسلات تسمى (ديوان التركي)[1].

وهكذا يبدو أن المراسلات العثمانية - الشريفية وفرمانات تعيين أمراء مكة من الأشراف قد تركت بصماتها على حقيقة تمتع إقليم الحجاز بنفوذه وبقدر كبير من الاستقلال الذاتي تحت السيادة العثمانية، ولم يشعروا بوطأة النفوذ العثماني في هذه الفترة، ومن ثم ظل بعيداً كل البعد عن تطلعات القيادة العثمانية السياسية والعسكرية طالما كان الأشراف في مكة يدينون بالولاء للدولة العثمانية، ولذلك ازداد نظام الشرافة نفوذاً وقوة في أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر. وكانت هناك عوامل أخرى أسهمت في دعم نفوذ الشرافة في مكة خلال هذه الفترة، تمثلت في انحسار الحكم العثماني في اليمن عام ١٦٣٥م وانسحاب القوة العسكرية العثمانية من البحار الشرقية، وإقدام أمراء وأشراف مكة على فتح ميناء جدة للتجارة الأوروبية منذ أواخر القرن السابع عشر[2].

ومن الناحية الاقتصادية في إقليم الحجاز فان فترة أواخر القرن السابع عشر كانت مزدهرة ومنتعشة لعدة أسباب منها فتح ميناء جدة أمام التجارة الأوروبية كما ذكر، والاستقلال الذاتي وإعفاء السكان من الضرائب والرسوم، وكثرة الهبات والأعطيات والأموال و المساعدات من السلطان العثماني لأهالي الحجاز.

---

(١) جارشلي، المرجع نفسه، ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) الصواف، المرجع السابق، ص٥٤.

بعد عام ١٦٨٣م تبدلت الأحوال وأصبحت أوضاع الحجاز قاسية وصعبة حيث «عمت موجات الغلاء المفرط، وارتفاع أسعار المواد الغذائية في اليمن ومن ثم بلاد الشام أيضا، كما عانت مكة من غرق الحرم المكي لمرات عديدة إثر هطول الأمطار، وتدفق السيول»(١).

لا شك أن الظروف الاقتصادية وما يرافقها أثرت بشكل كبير على الأوضاع الاجتماعية القاسية للحجاز، حيث كان «من الطبيعي أن تؤدي هذه إلى ازدياد عدد الفقراء والمعدمين، وحدوث نزاعات بين السكان أو اعتداءات من طرف القبائل وبين بعضها البعض ومحاصرة التجارة في البر والبحر، إضافة إلى أعمال السطو والعنف»(٢)، لذلك كله حافظ الأشراف على سيادتهم المستقلة في إقليم الحجاز(٣).

أما في عهد الشريف سرور (١٧٧٢ ـ ١٧٨٨م) فقد انتعشت البلاد وازدهرت، ومن ثم ساد الأمن والاستقرار، والعدل والرخاء، ومع هذا فقد ساءت العلاقات بينه وبين السلطان العثماني لتلقب الشريف بلقب السلطان، كما قام الشريف بتعليق ألواح من الفضة في مكة لا سيما في الحرم تحمل اسم السلطان سرور، مما دفع بالدولة العثمانية إلى عزله، انطلاقاً من سياستها الرامية إلي عدم السماح لأحد من الأمراء الأشراف أن يعلن نفسه سلطاناً حتى ولو كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

وقد تولى الحكم بعد ذلك الشريف غالب بن مساعد (١٧٨٨ـ ١٨١٣م)(٤)، الذي في عهده امتد نفوذ السعوديين إلى الحجاز، ويبدو أن ذلك شكل حلقة جديدة من

---

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٣٢.

(٢) نفسه، ص٣٢.

(3) Mr- Abir ،The Arab Rebellion of Amir Ghalib of mecca 1788-1813 Middle Eastern studies Vo ،. 7. No.2 may 1971 ،P. 185.

(٤) منيرة عبد الله العوينات، علاقات نجد بالقوى المحيطة، ١٣١٩ ـ ١٣٣٢/ هـ ١٩٠٢ ـ ١٩١٤م، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٠، ص٩٩.

أحداث تاريخ هذه البلاد وطبيعة علاقتها بالعثمانيين، وفي سنة ١٨٠٣م دخلت الحجاز تحت حكم آل سعود بعد مقاومة غير ناجحة من قبل الحجازيين وشريفهم، وبقي الشريف أميرا على مكة في ظلها.

وفي هذه الظروف ابدى الشريف غالب تخوفه من ابن سعود، لذا بدا الاتصال مع محمد علي[١] والي مصر وفي نفس الوقت بدأ يراسل السلطان محمود الثاني يحذره من أطماع ابن سعود ويؤكد على خطورة الموقف الذي يبين تطلع ابن سعود لزيادة مساحة دولته لتصل بلاد الشام ومصر والعراق، فكان تخوف الشريف في محله لكن في الحجاز وليس في سوريا والعراق اذ قام ابن سعود بطرد الشريف عام ١٨٠٦م، وتعيين الشريف عبد المعين بن مساعد بدلاً منه، واعلن ابن سعود أن الحجاز ليس تابعا للدولة العثمانية ومن ثم محاولاته توحيد اماكن وضمها لدولته الجديدة وتوسيع رقعتها، فبدأ يشكل خطرا حقيقيا على منطقة بلاد الشام والعراق[٢].

---

(١) محمد علي: ولد عام ١٧٦٩م، في مدينة كافالة بإقليم مكدونيا وتقوم قصة حياته على أساطير وتناقضات، إلا أنه على ما يبدو، قد عاش طفولته يتيماً في أحضان أسرة غريبة وعمل في تجارة التبغ ولما بلغ الثلاثين من عمره التحق بالكتيبة العسكرية الألبانية وقد ظهرت شجاعته وذكاؤه ومواهبه في تلك الفترة وتم تعيينه قائداً عاماً للفرقة الألبانية المكلفة بدخول مصر. فتمكن من تثبيت قدميه فيها وتم تنصيبه والياً عليها في ١٣ آذار ١٨٠٥م. انظر عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، القاهرة ١٩٥٥، ص ١٣-١٤؛ وأنظر أيضاً محمد شفيق غربال: عصر محمد علي، القاهرة ١٩٥٤، ص ١٧. وأنظر أيضاً الدسوقي: المرجع السابق، ص ١٨٠- ١٩٠. وله إنجازات واضحة أثناء حكمه مصر تمثلت في قيامه بعملية الروك (مسح الأراضي) في مصر العليا (الصعيد) عام ١٨١٢ وتسجيل الأراضي باسم أصحابها وإقامة الصناعات المحلية لا سيما صناعة النسيج وإرسال العمال في بعثات خارجية لتعلّم فنون مختلف الصناعات وإنشاء شبكة جديدة من المواصلات وإيجاد نظام جديد في السوق، وافتتح عدداً من المدارس المهنية مع إرسال البعثات الطلابية لفرنسا وأقام مطبعة بولاق في ١٨٢٢، وتنظيم الإدارة والاهتمام بالشئون الداخلية والمالية والتجارية والعسكرية والتعليمية واهتم بالجيش من خلال تحديثه وتسليحه وبناء الأسطول العسكري واهتمامه بالقضاء وإنشاء جمعية الحقانية. انظر أيضاً رافق، المرجع السابق، ص ٣٩٠- ٣٩٩.

(٢) العوينات، المرجع السابق، ص٩٩.

أدركت الدولة العثمانية الخطر المحدق بها والذي يشكل خطراً يهدد سلطتها ويهز من مركز السلطان الروحي بصفته خليفة للمسلمين وخادم الحرمين الشريفين، ولذلك كانت الدولة العثمانية حريصة كل الحرص على استعادة سيادتها على إقليم الحجاز فعزمت بعد أن أدركت أنها غير قادرة على إخراج ابن سعود من الحجاز على الاستعانة بمحمد علي والي مصر للقيام بالمهمة بعد أن فشل واليا دمشق وبغداد بهذا الأمر(١).

ويبدو أن الأسباب التي دفعت بالدولة العثمانية للاستعانة بمحمد علي تعود إلى عدم قدرة الدولة على تجهيز جيش قوي لمواجهة ابن سعود والتخلص منه من جهة، وتفاقم قوة الحركة السعودية على المدن والمراكز الاقتصادية المهمة من جهة ثانية، وبسبب المشكلات الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية من جهة ثالثة، وكانت هذه جميعها وراء العجز العسكري للدولة العثمانية في فشلها وعدم قدرتها على مواجهة ابن سعود.

من ناحية أخرى رأى محمد علي أنه في حالة نجاحه في القضاء على ابن سعود واستعادة الأراضي المقدسة منه، فإنه يوطد مركزه ويثبته حيال الدولة العثمانية، وبالتالي لا تعود الأخيرة تفكر في عزله أو الإضرار به ولا تقدم على أن تعامله معاملة سائر الولاة الآخرين. أما إذا تقاعس عن الحملة فيكون لدى الدولة العثمانية مبرر قوي لعزله عن مصر، إذ كان من أهدافها إعادة سيادة الدولة العثمانية إلى إقليم الحجاز وما يتبع ذلك من استئناف إرسال قوافل الحج إلى مكة وزيارة مسجد الرسول صلى الله

---

(١) عجز ولاة بغداد والموصل ودمشق عن مواجهة ابن سعود وأتباعه الذين بدأوا بمهاجمة القوافل والمدن على أطراف الصحارى العراقية ـ السورية، ورغم أن باشوات بغداد ودمشق قاموا بعدة هجمات إلا أنهم لم يتمكنوا من القيام بمهاجمة مضادة وعكسية. لمزيد من التفاصيل انظر: صادق حسن السوداني، العلاقات العراقية السعودية ١٩٢٠-١٩٣١، دراسة في العلاقات السياسية، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٣ـ٣٩.

عليه وسلم وكانت هذه الشعائر قد توقفت، فإذا حقق والي مصر النجـــاح في ذلــك ـ وهي أهداف عثمانيــة ـ فإن العالم الإسلامي سيعزو النجاح والفضل لمحمد علي في أداء الشعائر الإسلامية المقدسة في منطقة الحجاز[1].

عهد السلطان محمود الثاني إلى والي مصر محمد علي باشا تجهيز حملة عسكرية لمقاتلة ابن سعود في نجد والحجاز عام ١٨١١م، بحيث يكون والياً عليهما فيما بعد[2]، وأمدت الدولة العثمانية الحملة المصرية بالمعدات العسكرية والذخائر والأموال[3]، كما أمرت أمير مكة الشريف غالب بمناصرة الحملة، وتحريك الثورات في منطقة الحجاز ضد ابن سعود[4]، وابتدأت الحملة المصرية عام ١٨١١م حيث احتلت في تشرين الأول ميناء ينبع الذي اتُخذ منه قاعدة هجومية وقيادة للعمليات الحربية الواسعة ضد ابن سعود، ثم تقدمت نحو الحجاز واستولت عليه بالكامل بعد حصار دام سنتين[5]، ومن ثم نجد حيث الدرعية عاصمة ابن سعود، وكان ذلك في ١٥ أيلول ١٨١٢ م.

ومن أهم أعمال محمد علي باشا أثناء وجوده في الحجاز أنه لم يكـن يـأمن جانـب الشريف غالب، فأجبره على الاعتزال من الإمارة، ونفاه إلى سالونيك، وعين ابن أخيـه يحيى بن سرور أمـيراً عـلى الحجـاز حتـى عـام ١٨٢٧م[6]، إذ كـان محمـد عـلي يقـدم اقتراحاته للدولة العثمانية ينصحها بنقل إمارة الحجاز من بني زيد إلى بني عون. ويبدو أن بوادر الوفاق بينه وبين بني زيد أخذت تلوح في الأفـق بعـد طـرد الشريـف غالـب وأسرته من الحجاز.

---

(١) الصواف، المرجع السابق، ص٦٠.

(٢) الفواز، المرجع السابق، ص٣٤.

(٣) الصواف، المرجع نفسه.

(٤) العوينات، المرجع السابق، ص٩٩.

(٥) أرسلان، المرجع السابق، ص١٢٦.

(٦) موسى، الحسين، ص١٩. وأيضا الصواف: المرجع نفسه، ص٥٩-٦٧.

وقد أثمرت جهود محمد علي في نقل الشرافة في بني عون فقد تولى محمد بن عون إمارة مكة، وبذلك انتقل الحكم إلى الفرع الثالث من نسل أبي نمي (بن عون). وسبب تعيينه أنه كان ينافس غالب ويحيى على الزعامة في مكة، وكان الأمير محمد بن عون قد انضم إلى جيش محمد علي إبان الحملة، وساعده مساعدة حقيقية وفعالة فحفظ له محمد علي ذلك وكافأه بمنحه خمسة آلاف فدان في مصر[1].

وعمل محمد علي على إدخال نظام جديد في حكم الحجاز تضمن تعيين ضابط عسكري مشاركاً ومساعداً للشريف في الحكم، وكان لوجود قوات محمد علي في الحجاز، تأثيراته على هذه الولاية وهي تأثيرات شابهت فيما بعد، وإلى حد كبير، تأثيرات الحكم والإدارة المصرية في بلاد الشام، بحيث سمح لعدد من الرحالة الأوروبيين بالتجول في إقليم الحجاز والإقامة فيه لبعض الوقت، ودونوا ملاحظاتهم وبهذا أسهم محمد علي في تقريب الحجاز للمعرفة الأوروبية. وفضلاً عن ذلك فإن قوات محمد علي كسرت شوكة القبائل العربية واستفادت الدولة العثمانية من الوضع الجديد، عندما اتجهت سياستها إلى دعم قبضتها وسيطرتها لا على الحجاز فحسب بل على معظم شبه جزيرة العرب.

ولقد أقام محمد علي باشا على الحجاز مدة ثمانية وعشرين عاماً، ثم انسحب منه في عام ١٨٤١م (معاهدة لندن)، حيث حلت القوة العثمانية في المواقع الرئيسية محل القوة المصرية، وأصبح أمر شرافة مكة منوطاً بالسلطان العثماني[2] وهكذا سار العثمانيون على نهج محمد علي في إقامة والٍ بجانب الأمير (الشريف) في مكة المكرمة.

ولا شك أن الحياة السياسية في الحجاز قد أشرفت على مرحلة جديدة أخرى أتسمت بالتنافس والعداء العشائري بين الأشراف (بني عون وبني زيد) بهدف

---

(١) موسى، المرجع نفسه، ص٢٠.

(٢) موسى، الحسين، ص٢٠.

الحصول على إمارة مكة من جانب، ومحاولات العثمانيين إقامة حكم مباشر في الحجاز من خلال تعيينهم الولاة والحكام والمسؤولين فيه. ومن جانب آخر فالوالي كان يمثل المصالح العثمانية ويحافظ عليها وهو من يقود الجند، أما الشريف فكان يسعى للاحتفاظ بسلطته في المدن وحكم القبائل البدوية، فضلاً عن الإشراف على الأماكن المقدسة وشؤون الحج والحجاج.

هذا الأمر جعل الدولة تتدخل بصورة مباشرة لا سيما عندما يشتد الخلاف بين الوالي والشريف، والذي يحسم في النهاية لصالح الوالي، ويعزل على إثره الشريف[1]، وتعيين أمير بدلا منه، وفي بعض الأوقات تكون النصرة للشريف ويعزل على إثرها الوالي، وفي هذا الأمر يبدو أن الشريف مجرد تابع ومنقاد للأوامر العثمانية[2]. ومن ذلك أن نزاعا حدث بين الوالي العثماني ناشد باشا وشريف مكة محمد بن عون، وعلى إثره تدخلت الدولة وسارعت بعزل الشريف ونفيه إلى الآستانة عام ١٨٥١م، وعينت الشريف عبد المطلب بن غالب من بني زيد خلفاً له، لكنه عزل إثر الفتنة التي حدثت في إقليم الحجاز عام ١٨٥٦م[3]، ثم أعادت الدولة الشريف محمد بن عون ليكون شريفا وأميرا على مكة حتى توفي في عام ١٨٧٧م، وتسلم الحكم بعده أخوه الشريف حسين لكنه لقي حتفه ومات مقتولا في جدة عام ١٨٨٠م، واطلق عليه لقب الشهيد الشريف محمد بن عون. وحاول السلطان عبد الحميد الثاني استغلال هذا الحادث لإشعال حدة التنافس على منصب الشرافه وفي هذا الخصوص اقترح المندوب العثماني

---

(١) محمد عزة دروزة، نشأة الحركة القومية الحديثة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧١، ص٢٤٧.

(٢) فلاديمير بود يو فتش لوتسكي، تاريخ الاقطار الحديثة، ترجمة الدكتور عفيف البستاني، دار التقدم، موسكو- بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٣٣. فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ١٩٣٣م، المطبعة السلفية، ط١، لصاحبها محب الدين الخطيب، ص٣٤١. سعيد، أسرار الثورة، ص٤٤.

(٣) كان الشريف عبد المطلب بن غالب قد نفي إلى الآستانة بعد عزله عام ١٨٥٦م نتيجة فتنة وقعت بين أهل مكة والعثمانيين وكان سببها تحريم الدولة العثمانية بيع الرقيق في مكة المكرمة. الصواف، المرجع السابق، ص٧٩-٨٠.

في مصر مطر باشا على السلطان، تحويل الشرافه من مكة إلى استنبول ونقل إدارة إقليم الحجاز بالكامل تحت إدارة ومسؤولية الوالي العثماني في جدة وبين له أن الشرافة مصدر قلق ومتاعب للدولة العثمانية.

لكن السلطان عبد الحميد الذي كان رجل دولة ذا بصيرة ثاقبة وأكثر حذراً وإدراكاً من مندوبه، رأى أن نقل الشرافة لن يكون عملاً سهلاً وإنما يشكل خطورة عظيمة على دولته فضلاً عن أنه ربما يصبح نقطة استقطاب للرأي العام الساخط على الإدارة العثمانية، فضلاً عن إنه سوف يفسر بأنه خطوة أولية نحو إلغاء الشرافة، الأمر الذي سيثير إزعاجاً وقلقاً لدى فئات كثيرة من رعايا الدولة في العالم الإسلامي. وهكذا فقد فضل السلطان الإبقاء على منصب الشرافة في مكة، لكنه مع ذلك قرر التعامل مع المسألة بأسلوب مختلف عن أسلوب فترة التنظيمات في عهد السلاطين السابقين. وهكذا كان موقف السلطان عبد الحميد من الشرافة يسلط الضوء على حقيقة واضحة ومدركة منه للمكانة المتميزة التي يحتلها الأشراف في العالم الإسلامي، ولا شك إن لهذه الميزة والمكانة تأثيراً مهماً وخطيراً عليه بصفته خليفة للمسلمين وخادماً للحرمين الشريفين ومن هنا يتضح بأن السلطان عبد الحميد كان حساساً وذكياً في مسألة التعامل مع منصب الشرافة[1].

على كل حال بعد مقتل الشريف حسين عام ١٨٨٠م قرر السلطان عبد الحميد أن يعيد الإمارة إلى بني زيد، بتعيين الشريف عبد المطلب بن غالب الذي سافر من الآستانة إلى الحجاز بباخرة خاصة بالسلطان وزود بنفقات السفر وقيمتها ألفا جنيه عثماني، رغم ان السلطان في ذلك الوقت كان حذراً من تعيين الشريف عبد المطلب حيث حذره من ذلك الصدر الأعظم محمود نديم باشا الذي يتمتع بثقة عالية لدى

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٣٩ ـ ٤٢.

السلطان لما عُرف عن عبد المطلب أثناء وجوده في الحجاز من أنه اتفق مع حسين عوني باشا ومدحت باشا على عزل السلطان عبد العزيز عام ١٨٥٥م، مما أثار ضجة كبيرة في مكة ضد السلطان عبد العزيز بمساعدة مؤيديه وطالب بأن تكون الخلافة في قريش وأن العثمانيين هم غزاة ونصرانيون ويجب مقاتلتهم وإخراجهم من البلاد. لقد كان السلطان عبد الحميد يعرف ذلك لكنه أدرك، على ما يبدو أن مصلحته تكمن في إزاحة عبد المطلب من استنبول لأن وجوده فيها يشكل خطراً حقيقياً ولأنه من فرع بني زيد فسيؤدي إلى إثارة التنافس والحقد مع عشيرة بني عون وأن تواجه إحداهما الأخرى وبهذا تكون الدولة العثمانية الفائز الوحيد في نهاية المطاف(١).

ومما يؤكد ذلك أن السلطان عبد الحميد قد أمر الشريف عبد المطلب بأن يعمل على متابعة وإذلال وإخضاع بني عون للملاحظة، والتضييق عليهم. وفي ٢٨ حزيران ١٨٨٠م وصل الشريف عبد المطلب إلى مكة ترافقه قوات عسكرية تعزيزيه له، وفور وصوله أسرع بإزالة مؤيدي عشيرة عون من مناصبهم وعمل على نفيهم وسجن بعضهم وصادر أملاكهم وآثر أقاربه وبعض المقربين إليه بالمنافع العامة فخصهم دون غيرهم باحتكار تجارة الخضر والفاكهة(٢).

وهذه التصرفات من الشريف عبد المطلب أضرت بمصالح الحجازيين فأدت إلى تذمرهم وحقدهم على الإمارة والدولة، وقد تأزمت العلاقات بين الشريف عبد المطلب والوالي العثماني ناشد باشا، فما كان من السلطان إلا أن عمل على عزل الوالي وتعيين صفوت باشا بدلاً منه في ٣ تشرين الأول ١٨٨٠م وأمره السلطان بأن يلغي كل التقارير التي أصدرها الشريف عبد المطلب ويسمح للتجار بممارسة نشاطهم التجاري بحرية، الأمر الذي أثار استياء الشريف عبد المطلب وسرعان ما نشب الصراع بينهما

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٣٩ ـ ٤٢

(٢) الفواز، المرجع نفسه.

فوصلت الأنباء للسلطان عن الخلاف الدائر بين الوالي والشريف، فأصدر فرماناً بعزل صفوت باشا وتعيين أحمد عزت باشا والياً على مكة في ٢٢ تشرين الأول ١٨٨١م[١].

ويبدو أن تعيين الشريف عبد المطلب في منصب الإمارة، فضلاً عن التصرفات التي قام بها، أدت إلى غضب وإثارة تخوف بني عون الذين استاءوا من تصرفاته وأرسلوا للسلطان يطالبونه بعزله وإنصافهم بإعادة الإمارة إليهم لأحقيتهم بها. وفضلاً عن ذلك فقد وردت للسلطان إشاعات مفادها أن البريطانيين كانوا يخططون لإثارة الفتن والمظاهرات والاضطرابات في الحجاز بتقديمهم الأموال والرشاوى لشيوخ القبائل البدوية بالتعاون مع الشريف عبد المطلب. وهنالك شائعة أخرى تقول إن محمد المهدي الزعيم السنوسي في سيريلانكا على علاقة قوية وصداقة حميمة مع الشريف عبد المطلب وإنه قادم بقوة عسكرية قوامها عشرة الاف مقاتل في طريقهم لاحتلال الحجاز الأمر الذي أخاف الوالي العثماني صفوت باشا فأبرق للسلطان يخبره بأن الشريف عبد المطلب بن غالب له علاقة قوية مع الانجليز والسنوسي[٢].

وبعد أشهر من ظهور تلك الشائعات أرسل السلطان عبد الحميد مسؤولاً عثمانياً موثوقاً به للتحقيق بالأمر وأرسل معه قوة عسكرية لتعزيز قوته ونفوذه في الحجاز، بقيادة عثمان نوري باشا الذي ما ان وصل حتى عمل على تقليص نفوذ الشريف لا سيما في الأمور القضائية وتقليل حرسه الخاص، ومنعه من الإشراف على شؤون المسجد الحرام ولم يعد له الحق في تعيين موظفيه ومنح الأعطيات في الحجاز، وأن لا يكون له الحق في تعيين نقيب الأشراف وغير ذلك وأرسل للسلطان بذلك فما كان من الباب العالي إلا أن أصدر أوامره بأن الشروط والتحذيرات التي افترضها الوالي عثمان نوري سيعمل بها، وقد أكدها السلطان بفرمان تقليد للأشراف في المستقبل

---

(١) الصواف، المرجع السابق، ص٧٥-٩٥.

(٢) صايغ، المرجع السابق، ص٣٥. انظر أيضاً: الصواف، المرجع السابق، ص٨٤-٨٥.

من أجل العمل في ضوئها وهكذا تولى الوالي الجديد كل السلطة والمسؤوليات في الحجاز[١].

وأمام هذه التطورات يمكننا التأكيد بأنه نهاية الشريف عبد المطلب لم تكن بعيدة ومما زاد الأمر صعوبة أنه عثر عام ١٨٨٢م بيد أحد رجال البلاط على خمس رسائل تحمل ختم الشريف مؤرخة في ٢٠ آب ١٨٨٢م، إحداها مرسلة للقنصل البريطاني في جدة وأخرى لمحمد بن رشيد حاكم حائل والثالثة لشيخ قبيلة حرب واثنتان إلى الشريفين القائدين «لحزب زيد» ومحتوى هذه الرسائل يؤكد على قيام ثورة في الحجاز بزعامة الشريف عبد المطلب ضد الدولة العثمانية فما كان من الوالي عثمان إلا أن ألقى القبض على الشريف وأعلن عزله وقد تم ذلك بالفعل عام ١٨٨٢م[٢]وتلاه في الحكم الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون أميرا على مكة عام ١٨٨٢م[٣] وخلال فترة حكم عون الرفيق للحجاز سادت في البلاد أوضاع اقتصادية واجتماعية صعبة تمثلت في «سوء الإدارة، وفقدان الأمن، وانتشار الفوضى والفتن، وتفشي الرشوة، وعانى الناس من كثرة الجور والظلم» [٤]. وكان موقف الشريف الحسين موقفا معارضا من سوء معاملة عمه للناس، مما أدى إلى نفيه للآستانة عام ١٨٩٣م.

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات «الشريفية - العثمانية شهدت مرحلة جديدة على يد الوالي عثمان نوري، والذي عمل على تقليص امتيازات الشريف بل وتحديدها، والواقع أن الوالي عثمان كان شديداً وقوياً استند إلى قوة شخصيته وإرادته، فضلاً عن القوة العسكرية التي كانت تحت تصرفه، بهذا تمكن من اتباع وانتهاج حكم استبدادي

---

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٤٥-٤٦.

(٢) الصواف، المرجع نفسه، ص٨٦.

(٣) نضال المومني، الشريف الحسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٦م، ص١٦.

(٤) موسى، الحسين، ص٢٠.

عثماني جديد قائم على الشدة والحزم في الحجاز يقضي بحكمه مباشرة من قبل الدولة العثمانية ونال كما اتضح، تأييد وتشجيع السلطان عبد الحميد.

وقد أدرك الشريف الجديد (عون الرفيق) ضعف موقفه منذ تعيينه في أيلول ١٨٨٢م أميراً على مكة المكرمة وشريفها[١]. وحاول أن يبحث عن دعم طبيعي عن طريق مصر، لكن بعد عزل الخديوي إسماعيل وسيطرة البريطانيين على مصر في عهد الخديوي توفيق لن يستطيع الخديوي أن يلعب دور الحامي للشريف وإمارته[٢]، الأمر الذي دفع بأمير مكة المكرمة وشريفها، على ما يبدو، إلى الابتعاد عن تحدي الوالي عثمان نوري ومجاملته ومسايرته نحو تحقيق أهدافهما المشتركة.

ومن مظاهر سوء الإدارة وإيقاع الظلم على السكان في الحجاز من قبل الوالي العثماني عثمان نوري عام ١٨٨٢م ما يلي[٣]:

- قراره إلغاء نظام الشيخ الواحد، عندما كانت مكة مقسمة إلى قطاعات لكل منها شيخ يعينه الشريف، لأنه أدرك أن الشريف يعتمد اعتمادا كاملا على هذه القطاعات سندا له وعضدا.
- فرض الضرائب والتجنيد الإجباري على الأهالي مما أدى إلى نقمتهم عليه وازدياد العداء بينه وبينهم، لذلك كتبت الإعلانات والمقامات وألصقت على بوابات الحرم الشريف، وفيها تهجم على سياسة الوالي، ومن ذلك القول إنه «ينوي تنفيذ التنظيمات في الأراضي المقدسة، وإن نوايا عثمان باشا

---

(١) البتنوني، المرجع السابق، ص٧٩.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ط٢، جـ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٠١٣.

(٣) الفواز، المرجع السابق، ص٤٩-٥٥.

لتعيين ثلاثة أشخاص لكل قطاع كانت لتنفيذ إحصاء السكان لفرض جمع الضرائب، وتطبيق التجنيد الإلزامي»[1].

- سجن عدد كبير من أهل الحجاز، وتعذيبهم واتهامهم بتهم باطلة.
- تقليص نفوذ الشريف، وتعيين نفسه حاميا للمسجد الكبير مما أعطاه سيطرة مباشرة على مكة من الناحية الدينية، الأمر الذي زاد من فجوة العداء لذلك قام سبعة وعشرون من شرفاء مكة وعلمائها وقضاتها برفع وثيقة إلى السلطان العثماني في عام ١٨٨٦م، تضمنت طلب العدل والمساواة من مظالم الوالي الكبيرة، ذاكرين أن السبيل الوحيد للتخلص من هذه المظالم هو الهجرة.

وفضلاً عن ذلك فقد سعى الأهالي للإطاحة بالوالي (عثمان نوري) عن طريق[2]: تأسيس جمعيات إسلامية، وعقد المؤتمرات، وإلصاق الإعلانات على أبواب الحرم الشريف وفيها سرد لمظالمه، والدعوة إلى الإطاحة به، وإرسال البرقيات والرسائل من قبل العلماء والفقهاء والوجهاء إلى السلطان لا سيما من الشريف عون الرفيق من أجل عزل الوالي، وفي هذا الإطار غادر الشريف عون الرفيق مكة عام ١٨٨٦م مع أهل بيته إلى اسطنبول وطلب من السلطان إعفاءه من منصبه، أو عزل الوالي، مشترطاً عدم العودة لمكة إلا إذا تم عزل الوالي ونتيجة لذلك كله استجاب السلطان عبد الحميد لمطالب الشريف والأهالي فعزل الوالي وعين بدلا منه حسين جميل عام ١٨٨٦م.

---

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٥٠.

(٢) انظر: عارف عبد الغني، تاريخ أمراء مكة من ٨هـ ـ ١٣٤٤هـ، دار البشاير، ١٩٩٢م، القاهرة، ص٨٢٠ ـ ٨٦٠. وأيضا انظر: محمد عمر رفيع، مكة في القرن الرابع عشر الهجري: في المنتقى في أخبار أم القرى، تحقيق وتعليق محمد عبد الله مليباري، ط١، ١٩٨١م، ص٢٠١ ـ ٢١٥.

لكن أزمة جديدة كانت تلوح في الأفق بين الشريف عون الرفيق والوالي الجديد حسين جميل، الأمر الذي دفع بالشريف إلى معاقبة وحبس وتعذيب أي فرد له علاقة أو اتصال بالوالي، وقد تدخل في هذه الأزمة السلطان العثماني، الذي أمر بإطلاق سراح الأهالي ممن أوقفهم الشريف في السجون، وترك المعتقلين ليعودوا إلى ديارهم.

وعلى ما يبدو فإن السلطان عبد الحميد أرسل لجنة لتقصي الحقائق في الحجاز وقد جاءت نتائجها لصالح الشريف، وتحميل الوالي حسين جميل كل ما حدث، الأمر الذي قرر فيه السلطان إصدار فرمان لعزله، وتعيين أحمد راتب باشا واليا على الحجاز عام ١٨٩٤م، مع الإبقاء على الشريف عون الرفيق أميرا على مكة[١].

وقد استطاع الشريف عون الرفيق بدهائه السياسي أن يوطد علاقاته بأحمد راتب باشا الوالي العثماني، ويضع نهاية للمنازعات التي كانت تحدث في معظم العهود إن لم يكن في جميعها بين أمير مكة وشريفها وبين الوالي العثماني وكان هذا التقارب والتواد قد بني على أساس التفاهم المسبق ولقاء المصالح الشخصية بينهما على حساب مصالح أهل الحجاز[٢]. وهذا ما يعطينا التفسيرات المنطقية والمؤكدة وراء أسباب طول فترة الوالي أحمد راتب باشا في منصبه لمدة أربعة عشر عاماً (١٨٩٤ - ١٩٠٨م)، فضلاً عن ضعفه مقارنة بمن سبقه من الولاة[٣].

وبسبب العلاقات الجيدة بين الوالي والشريف عانى أهالي الحجاز[٤] حكما استبداديا شديدا بهدف حصولهما معا على الأموال، ولقد وصف أحد أعداء الشريف سياسته بأنه «طاغ مستبد في سلوكه وفاسد ويسيطر عليه الجشع» [٥]. وكذلك «يفتقد

(١) الشناوي، المرجع السابق، جـ٢، ص١٠١٥.
(٢) الصواف، المرجع السابق، ص٩٠.
(٣) نفسه، انظر ايضا حمزة، المرجع السابق، ص٣١٥.
(٤) حمزة، المرجع نفسه.
(٥) الفواز، المرجع السابق، ص٥٢.

للذوق والقدرة الإدارية»[1]، وهناك من اتهم السلطان بالتآمر مع الشريف والوالي لـ«فرض السيطرة المركزية، وجباية الأموال »[2].

ويبدو من تتبع الأحداث أن السلطان عبد الحميد كان على دراية تامة بأعمال الشريف لكنه كان يغض عنه البصر لعدة أسباب، لأنه كان يرى في ذلك تقليلا من شأن وسمعة العائلة الشريفية التي كانت تنافسه في سلطته الروحية سواء في الحجاز أو في الدولة العثمانية أو في العالم الإسلامي كافة، إذ كان الأشراف يحظون ويتمتعون بالتعاطف والدعم منهم، إلا أن سلوك الشريف قد أساء إلى موقعه وأدى إلى البدء في فقدان ذلك التعاطف والدعم والتأييد. ويبدو أن السلطان عبد الحميد قد وجد في سياسة وسلوك الشريف عون الرفيق ما يحقق مطامحه في توضيح شرعية خلافته أمام الكثير من المسلمين وبخاصة العرب الذين كانوا على اقتناع تام بعدم شرعية عبد الحميد الثاني للخلافة، اعتقادا منهم بأن الخليفة يجب أن يكون من قريش.

وهكذا تتضح لنا سياسة ودهاء السلطان عبد الحميد في إبقاء الشريف (عون الرفيق) في منصب شرافة وإمارة مكة المكرمة، لأنه وجد فيه الجواب الواضح والصريح في الرد على المسلمين العرب الذين يرون أن تكون الخلافة (عربية - قريشية) لينظروا كيف يتصرف هؤلاء الأشراف المرشحون، بنظرهم، لمنصب الخلافة العربية، وفي المقابل عمل السلطان الكثير من الأعمال الخيرية والمفيدة لأهالي الحجاز من حيث إرسال الأموال في موسم الحج لتوزيعها على الفقراء والمساكين، وتنفيذ خط سكة حديد الحجاز عام ١٩٠٠م[3] وفي الوقت نفسه أخذ التنافس والقتل والتشهير والشتم

---

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٥٢.

(٢) حمزة، المرجع السابق، ص٣١٥.

(٣) العوينات، المرجع السابق، ص١٤٦. محمد عبد الباقي عشماوي، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية وعربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٥١.

بين الأشراف على الحكم يشتد لا سيما بعد وفاة الشريف عون عام ١٩٠٥م حتى لقد ذكر الأمير عبد الله بن الحسين في مذكراته تلك المرحلة الشعر الحماسي الذي حفظه، والذي وضح طبيعة الخلاف بين الأشراف، والتي بالتأكيد كان السلطان عبد الحميد الثاني يغذي ويشجع على هذا الصراع ويوظفه لخدمة مصالحه المختلفة.

أما الشريف علي بن عبدالله فقد تم تعيينه أميراً على مكة ثم عزل بعد استيلاء جماعة الاتحاد والترقي على السلطة في استنبول عام ١٩٠٨م بسبب معارضته الانقلاب وعين خلفا له عمه عبد الإله أميرا على الحجاز، ومن ثم تولى الإمارة بعده ابن أخيه الحسين بن علي(١) عام ١٩٠٨م.

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عند تولي الشريف الحسين

أما الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عشية تولي الشريف الحسين بن علي الحكم في مكة، فقد كانت «قاسية سادها التخلف الشديد حيث ترك الأتراك، في حالة من التخلف الشديد لدى كل دولة وارض احتلها لم يكن ليترك منطقة ما دون إحداث هذا التخلف بسبب القوانين المختلفة وبسبب الممارسات المتعصبة الحاقدة التي أبقت الشعب ضمن دائرة التخلف ولكن التاريخ لم يتحدث عن حجم الدمار والآثار السلبية الشديدة التي تركها العثمانيون على الحجاز كما كان في مناطق عربية أخرى لكن الحجاز في زمن ما قبل الإمارة الهاشمية كانت تفتقر إلى الكثير من الخدمة التحتية بلا مواصلات ولا مدارس أو اتصالات أو صناعات أو زراعة بالمفهوم العلمي» (٢).

---

(١) موسى، الحسين، ص٢٠-٢١.

(٢) جلال زواد فاخوري، الثورة العربية الكبرى في الميزان الاقتصادي، ١٩١٦ ـ ١٩٢٤، عمان، ١٩٩٦م، ص٥٢.

وقد ذكرت جريدة القبلة أن «الحكومة الطورانية قامت بتخريب سكة الحديد بين حمص وطرابلس الشام وبين بيت المقدس ويافا ونقلت حديدها إلى سكة الحديد بين رأس العين وديار بكر واقتلعوا أشجار الغابات واحرقوها وأخذوا يحرقون الحرز الحريز في مساكنهم فقطعت أشجار النخيل في المدينة المنورة لوقود مستشفياتها ومعسكراتها وفرضت الضرائب على قطع الأشجار المثمرة مع حق قطع قسم منها للحكومة التركية »[١].

وهكذا فقد إقليم الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني استقلاله الذاتي الذي كان متمتعاً به، كما فقد منصب الشرافة في مكة المكرمة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الكثير من نفوذه المقدس في نفوس المسلمين عامة والعرب خاصة بسبب سلوك الشريف عون الرفيق. وأصبحت الأمور في إقليم الحجاز تسير وفق فرمانات وأوامر السلطان العثماني عبد الحميد من جهة وإرادة الوالي العثماني في الحجاز من جهة أخرى، التي كانت تهدف إلى تجريد منصب الشرافة من مكانته وسمعته ووضعه في إقليم الحجاز بخاصة والعالم الإسلامي والعربي بعامة بل أن هذه المرحلة قادت إلى زيادة التنافس والتناحر والعداء لنيل منصب إمارة مكة وشريفها بين أحفاد أبي نمي من قتادة مجتمعة على الرغم من أنه كان على أشده في هذه المرحلة بين السلطتين القياديتين في إقليم الحجاز (بني زيد وبني عون).

(١) القبلة، عدد ٤١، الصفحة الأولى، ١٩١٦.

الفصل الأول

الشريف حسين بن علي
أميراً على الحجاز

الفصل الأول

الشريف حسين بن علي أميراً على الحجاز

اختلف الذين عرفوا الحسين في تقديرهم شخصيته فقال بعضهم إنه كان يحمل قلباً خفاقاً وهو رجل لطيف ونبيل مهذب، حسن المعشر بهيج الطلعة، رقيق المحيا رفيع السلوك في أدائه، وعادته نفيسة، يعمل بإخلاص وبدون تصنع، بينما قال آخرون إنه غامض عميق الغور شديد التكتم والحذر قليل البوح بآرائه الشخصية.

ومع ذلك فقد انتقد من الآخرين فوصفوه بالمستبد بالأمور والإمعان في القسوة والإهمال وحب الذات والتآمر مع الاعداء في سبيل تحقيق غاياته، لكنه عاصر الحجاز منذ صغره، وعاش أوضاعه الداخلية بل أنه عارض سياسة عمه عون الرفيق، الامر الذي أدى لنفيه الى الآستانة مع عائلته حيث أمضى فيها خمس عشرة سنة وعين فيها عضواً في مجلس شورى الدولة ورقي الى رتبة وزير، بل أن منزله في المنفى كان ملجأً لأحرار العثمانيين ومتظلمي العرب يعمل على مساعدتهم ويحل مشاكلهم.

اغتنم الحسين وفاة ابن عمه عبد الإله أمير مكة وطالب السلطان بتعيينه أميراً عليها لكونه أكبر أفراد العائلة الهاشمية سناً وأحقيته بمقام آبائه مع وجود ظروف كثيرة ساعدت على تعيينه في ذلك المنصب عام ١٩٠٨م، تمهيداً لمواصلة علاقته بالاتحاديين إذ كانوا أصحاب السلطة الفعلية في الدولة العثمانية، وكان الشريف قد استاء من

تصرفاتهم وأعمالهم الاستبدادية القائمة على العداء للإسلام والمسلمين والعرب، لهذا أظهر منذ وصوله الحجاز نزعته المعارضة للسياسة المركزية التي اتبعها الاتحاديون وكانت تهدف الى تطبيقها في الحجاز، وبدأ يعمل بكل اخلاص لوضع حد لتدخلهم في شئون حكم مكة وتآمرهم عليها وكان من الطبيعي ان تترك هذه السياسة بصماتها على تدهور العلاقات وتطورها من سيئ الى اسوأ نتيجة لتدهور الأمور، حتى لقد تلبدت الاجواء بين الطرفين بالغيوم طوال فترة حكمهم لا سيما قبيل الحرب العالمية الاولى، لذلك رغب الاتحاديون في الاستفادة من الشريف كورقة رابحة تساندهم في دخولهم الحرب، بإعلانه الجهاد لتعبئة الشعور الاسلامي بجانبها نظراً لما للشريف من مكانة مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين لكنهم في الوقت نفسه انتظروا على مضض حتى تحين لهم الفرصة المناسبة لعزله عن الشرافة وتولية غيره، لكن شيخاً مثل الشريف حسين لم تغب عنه أسرار سياسة المهادنة الوقتية التي لجأ اليها الاتحاديون، بل بات أشد حذراً وأكثر يقظةً في ترقب ومتابعة أي محاولة يقومون بها حيث وصفهم في أكثر من موقف بأنهم ألد أعداء العرب منذ أن رأى بعينيه جرائمهم ضد أبناء عسير.

وهكذا تعد التطورات التي حصلت بين العثمانيين والشريف على درجة كبيرة من الاهمية لا لكون العلاقات بين الطرفين قد ساءت بعد استيلاء الاتحاديين على الحكم في تموز عام ١٩٠٨م وسيطرتهم في عام ١٩٠٩م، لكن لأن كثيرا من التطورات قد حدثت خلال هذه الفترة وانعكست آثارها على طبيعة العلاقة بين الطرفين حتى عام ١٩١٤م.

وعلى هذا سوف نتناول في هذا الفصل ظروف تسلم الشريف الإمارة، ثم علاقته بالاتحاديين.

ظروف تسلم الحسين بن علي الإمارة

الشريف الحسين بن علي[1] بن عبد المعين بن عون الذي يرتبط نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب[2]، وقد تفرع من عون ثلاثة فروع: فرع محمد (أصحاب الإمارة)، وهزاع، وناصر[3]. وقد ولد في الآستانة[4] عام ١٨٥٣م، في فترة إمارة عبد المطلب بن غالب للحجاز حيث كان جده ووالده يقيمان هناك، وانتقل مع عائلته الى مكة وهو في الثالثة عشرة من عمره عندما عين جده محمد بن عون أميرا لمكة للمرة الثانية عام ١٨٥٦م ثم سافر إلى الآستانة عام ١٨٥٨م [5] اثر وفاة جده لوالده محمد بن عون

(١) وقد تسلم إمارة مكة عام ١٩٠٨ زمن العثمانيين وبقي أميرا عليها حتى عام ١٩١٦ ثم قام بالنهضة العربية في نفس العام ضدهم وأسس أول مملكة عربية هاشمية في التاريخ الحديث وفي الحجاز بالذات ثم تلقب عام ١٩٢٤ بخليفة للمسلمين إثر انتهاء الخلافة العثمانية ثم تنازل عن عرشه لنجله الأمير علي عام ١٩٢٤ لظروف سياسية عديدة فغادر الحجاز إلى قبرص في نفس العام ثم عاد لعمان إثر مرضه وتوفي ودفن في القدس عام ١٩٣١.انظر: وهبه، المرجع السابق، ص ١٥١. وأيضا: ناصيف، المرجع السابق، ص٢٥٤.

(٢) محمد طاهر الموصلي، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ٣ مجلدات، المجلدان الأول والثاني، مطبعة المكتبة العصرية والفلاح، بغداد، ١٩٢٥م، ج١، ص ١٩٣-١٩٤. قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٤٠.

(٣) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، ط٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٤٠، إسماعيل حقي أوزون، المرجع السابق، ص١٧٥ - ١٨٥.

(٤) سعيد عوض باوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط١، توزيع مكتبة الثقافة بباب السلام، مكة المكرمة، مطابع دار الكتاب العربي، مصر. محمد حلمي المنباوي، ١٩٥٤م، ص ١١٨. احمد ابن زيني دحلان، أمراء البلد الحرام، ط٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٥٩ - ٣٧٣. خير الدين الزركلي، الإعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٤٩. أمين الريحاني، ملوك العرب ج١، بيروت، ١٩٢٩، ص٤٥ - ٦٥. خير الدين الزركلي، ما رأيت وما سمعت، المطبعة العربية، مصر، ١٩٢٣م، ص ١٠٥-١١٥. عارف عبد الغني، المرجع السابق، ص٨٢٠ - ٨٣٦.

(٥) حسين نصيف، المرجع السابق، ص٣. سليمان الموسى، غربيون في بلاد العرب، منشورات دار الثقافة والفنون الاردنية، المطبعة الوطنية، ط١، عمان ١٩٦٩، ص١٦٣. انيس صايغ، المرجع السابق، ص ٣٤.

وكان والده علي بن عبد المعين في مكة لتلقي التعليم في المـدارس الخاصـة بـالأشراف والتفقه في الدين وحفظ القرآن، ثم سافر إلى الآستانة عند علمه بمـرض والـده وبقـي فيها حتى توفي والده عام ١٨٧٠م (١).

عاش الحسين بعد ذلك في كنف عمه الشريف عبـدالله بـن محمـد الـذي تسـلم مقاليد الإمارة في مكة عام ١٨٥٨م، وبدأ عمه في تعليمـه وتدريبـه عـلى أمـور الحكـم والسياسة، حيث أوكل له بعض المهام والمسؤوليات في الحجـاز، ومنهـا أنـه سـافر إلى نجد وتعرف عليها، وذهب إلى شرق الحجاز لمعرفة أخبار القبائل فيها، والتعـرف عـلى حياتهم فغدا سفيرا للهاشميين عندهم (٢)، وقد بلغ إعجاب عمـه بـه وحبـه لـه أن قـام بتزويجه إحدى بناته «عابديه هانم» عام ١٨٧٥م التي أنجبت له ثلاثة من الأبنـاء هـم علي (٣) وعبد الله وفيصل.

ولقد تناقضت وتضاربت الآراء حول شخصية الشريف الحسين، فهناك من وصفه بأنه: «يحمل قلبا خفاقاً وهو رجل لطيف ونبيل ومهذب حسن المعشر بهيج الطلعة رقيق المحيا وآدابه في السلوك رفيعة وعاداته نفيسة يعمل بإخـلاص وبـلا

---

(١) سليمان موسى، الحسين، ص ١٧. الفواز، المرجع السابق، ص ٦٠. المومني، المرجع السابق، ص١٩.

(٢) موسى، المرجع السابق، ص١٧.حكمت فريحات، الثورة العربية الكبرى، وقضايا العرب المعاصرة، مكتبة دار الثقافة، ط١، عمان ١٩٩٠، ص ٥٦.

(٣) علي بن الحسين بن علي محمد بن عبد المعين بن عون الهاشمي الحسني (١٨٨١ ـ ١٩٣٥) كان أكبر أولاد الحسين وآخر من سمي ملكاً على الحجاز من الهاشمين، ولد بمكة وأقام زمناً في الآستانة مع والده، عاد إلى مكة عام ١٩٠٨ عندما عين الشريف حسين والده شريفاً على مكة، شارك بنشاط في الأعمال العسكرية في الثورة العربية الكبرى، عينه والده رئيساً لمجلس الوكلاء بمكة وشؤون القبائل، بويع بعده والده ملكاً على الحجاز لا سيما نجد عام ١٩٢٤ لكنه تنازل عن العرش عام ١٩٢٥ وانصرف لبغداد وبقي في ضيافة أخيه فيصل إلى أن وافته منيته. انظر: مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، مجلة الفكر العسكري، دمشق، ١٩٧٨، ص١٨٩، الهامش.

تصنع». [١]، في حين ذكر آخرون بأنه: «عنيد جسور غامض عميق الغور شديد التكتم والحذر قليل البوح بآرائه الشخصية». [٢]، وآخرون وصفوه بأنه «صاحب إرادة طموحة». [٣].

أما رونالد ستورس وهو الحاكم الأول للقدس بعد الانتداب الانجليزي فقد وصف الشريف بأنه: «بلا شك الرجل الوحيد الذي باستطاعته أن يهز مجتمع لندن من أقصاه الى ادناه». [٤]. وقد قيل في الشريف الحسين أروع المعاني فقد كان عند البريطانيين «سيد اللغة الدبلوماسية الملتوية» [٥]. وعند العثمانيين «لغزاً لا يحل» [٦]، أما أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب فقد قال: «في محيا الملك حسين سيماء جلال طبيعي لم أشاهد مثله في غيره من ملوك العرب، بل فيه تتجلى روحانية شرقية قرنت بالتأدب العربي، إن في حديثه عنصرين من الأنس والكياسة، الأولى أخلاقي نبوي، والثاني اجتماعي اكتسابي، فهو رفيق الأديم صافيه، عدلُ الأنف دقيق له جبين رفيع وضاح، يظهر بكمال بهائه عندما يرفع العقال ويلبس العمامة، وفي ناظريه نور يشع في حدقتين عسليتين تحيط بهما هالة زرقاء، وله فوق ذلك ابتسامة ما عرفت أجذب منها للقلوب، وقد كبرت هذه المحاسن في نظري لأنها عارية من مظاهر الابهة والجلال» [٧]، وقد أضاف خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» عن شخصية الشريف الحسين قوله:

---

(١) هارولد.ف يعقوب، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة احمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، ١٩٨٣، ص٣٠٧.

(٢) ستورث ارسكين، فيصل الأول ملك العراق، ترجمة عمر ابو النصر، المكتبة الاهلية، بيروت،١٩٣٤م، ص٢٩.

(٣) الفواز، المرجع السابق، ص٦٢.

(٤) نفسه.

(٥) جيمس مورس، الملوك الهاشميون، منشورات المكتب العالمي للترجمة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٢١ـ٢٢.

(٦) نفسه .

(٧) أمين الريحاني، ملوك العرب، ص ٢٧.

«فرباه عمه في بيته وخالف فيه سنة غيره من الأشراف، فلم يبعث به الى أحد القبائل المجاورة لمكة، ولم يربه تربية بدوية خاصة، يتلقى فيها أخلاق البداوة في معايشهم ويتمرن على ركوب الخيل، واحتمال المشاق فنشأ حضريا مدنيا، وأولع بالدرس والمطالعة، فحفظ مبادىء العربية، وتفقه في شيء من أصول الدين وفروعه.... حفظ القران الكريم قبل ان يتجاوز العشرين من سنه»[1].

وقد وصفه آخرون بأنه: «كاتم لا يصرح بما يجول في ذهنه الا نادراً فإذا فعل تبنى افكاراً خطيرة ومبتكرة»[2]. وجاءت التقارير الى السلطان عبد الحميد[3] عن الشريف بأنه «رجل عميق التدين على حظ موفور من قوة الإرادة والصلابة والتفكير المستقل، وأنه شخص صامت لا يتكلم الا نادراً وإذا تكلم افصح عن آراء حصيفة مرتبة»[4]. لكن بعض الدارسين يرى ان الشريف متعصب برأيه ويصر عليه ولو كان كان فيه خطأ بقولهم «والدارس لشخصية الحسين يرى أنه متصلب الرأي، عنيد يصر على رأيه بصورة تجعل من الصعب تحويله عنه إلى غيره»[5].

ولا شك أن تلك الأوصاف التي بدت متضاربة ومتحيزة ومتناقضة تعود الى اسلوب التعامل أو حسب مقتضى التعامل مع الشريف فالسياسيون الانجليز

---

(١) الزركلي، الأعلام، ص ٢٤٠-٢٤٩ .

(٢) أحمد طربين، الوحدة العربية (١٩١٦-١٩٥٨)، دمشق، ١٩٦٦، ص ١٢٣.

(٣) السلطان عبد الحميد الثاني: هو السلطان الرابع والثلاثون، والده السلطان عبد الحميد، ووالدته (تيري (تيري موجكان) ولد في ٢٢ أيلول ١٨٤٢، قضى شبابه في استنبول في بيته الصيفي في طرابيا وتنقل مع عمه السلطان عبد العزيز بين فرنسا وإنجلترا، تولى العرش العثماني بعد أخيه السلطان مراد عام ١٨٧٦، وبقي حاكماً حتى عام ١٩٠٨ إثر استيلاء الاتحاديين على الحكم. انظر أيضا: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عصره، بغداد، ١٩٨٧، ص ٨٠-٨٦.

(٤) الصواف، المرجع السابق، ص ٩٦-٩٩.

(٥) محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، دار الحرية الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩، ص٥٧.

والعثمانيون لهم رأي يختلف بالضرورة عن المقربين من الحسين من الأهل والذين يعملون معه، ومع كل هذا وذاك فالشريف ليس المنقذ الأعظم الوحيد للأمة العربية في تلك الفترة فقد اجتهد وعمل وتحمل من أجل أمته الكثير وبدأ يبحث عن مخرج لإنقاذها من الخطر المحدق بها قد يكون اصاب في ذلك أو أخطأ في تقديره وتعاونه مع الآخرين لمساعدته وإخراج امته من خطر الاتحاديين الماسونيين(١) المتآمرين على الأمة في تلك الفترة.

ولقد تأثر الحسين بن علي بعدد من العلماء منهم العلامة الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، والمؤرخ الشيخ احمد بن دحلان، وفي كتاب الأعلام للزركلي وصف الحسين بأنه «تأدب وتفقه ونظم الشعر الملحون «الحميني» ومارس ركوب الخيل وصيد الضواري »(٢).

على كل حال لقد عاش الحسين الأوضاع الداخلية التي أحاطت بالحجاز ذات الصلة بالعلاقة الأسرية للأشراف، والمتمثلة بالصراع والتنافس على منصب الشرافة

---

(١) جمعية الاتحاد والترقي: جمعية تركية عنصرية تعود أصولها إلى الجمعية العثمانية الفتاة التي تشكلت عام ١٨٦٥، وبسبب الخلافات الشخصية والعقائدية بين أفرادها ضعفت جمعيتهم، وفي عام ١٨٨٩ ظهرت الجمعية التركية الفتاة التي حلت محل الجمعية العثمانية ونواتها طلاب المدرسة الحربية الذين طالبوا بالانقلاب على السلطان العثماني، فأدى ذلك إلى اضطهادهم ومحاربتهم عام ١٨٩٦ فهرب بعض أعضائها إلى أوروبا واتخذوا من سالونيك (عاصمة مقدونيا) وقد اتخذ أعضاؤها من الماسونية ستاراً لنشاطهم وبسبب وجود اليهود السفرديم (الاسبان) في تلك المنطقة، فقد وجدوا في جمعية الاتحاد والترقي مرتعاً خصباً للقيام بنشاطهم الثوري والماسوني، وبذلك أصبحت جمعية الاتحاد والترقي تضم في عضويتها كثيراً من اليهود والعثمانيين المتشددين والمتعنصرين لقوميتهم والمطالبين بالطورانية والحقد على الإسلام والعرب بالدرجة الأولى، واستطاعوا عام ١٩٠٨ الاستيلاء على الحكم العثماني ومن أقطابهم أنور وطلعت وجمال باشا. انظرأيضا: رافق: المرجع السابق، ص٣٨٣- ٣٨٤، الدسوقي. المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٢٤٩.

والحكم مع الفرع الهاشمي الآخر آل زيد بعد مقتل عمه عام١٨٨٠م[1]، حيث كان الشريف يمثل فرع آل عون في الآستانة عام ١٨٨١م، للمطالبة بأحقيتهم في الشرافة الخاصة بهم مع الحكومة العثمانية وحينها لم تبد الدولة استجابة الا بعد عام حين قامت بعزل الشريف عبد المطلب[2]من آل زيد ونقلت الشرافة إلى آل عون ليتسلمها عم الحسين الشريف عون الرفيق[3] من عام ١٨٨٢ ـ ١٩٠٥م.[4]

---

(١) مقتل الشريف حسين بن محمد: قتل الشريف حسين بطعنة سكين في جدة على يد رجل يقال إنه أفغاني كان قد تعرض لموكب الشريف أثناء دخوله جدة ورغم عمليات التعذيب، إلا أن الأفغاني لم يتحدث بشيء عن بواعث جريمته، أو المخططين ويقال إن اسمه فخر الدين وقد ادعى أنه من خراسان لكنه عدل عن ذلك وأكد أنه أفغاني. وعندما سئل عن أسباب قتله الشريف لم يصرح بشيء على الإطلاق لكنه قال «ما أنا إلا نملة قاتلت فيلاً ضخماً ومثل هذا الأمر خارج نطاق العقل، فلا تحاولوا الحصول على اعتراف مني فلن أعترف بشيء. وإن شئتم فاسألوا جبريل وعزرائيل عليهما السلام عن الحقيقة، أما أنا فلن يمكنكم الحصول على اعتراف مني في هذا الشأن مهما عملتم وحاولتم». انظر: وثائق الأرشيف العثماني باستنبول من كتاب الفواز، المرجع السابق، ص ٣٩-٤٠.

(٢) عزل الشريف عبد المطلب: بعد مقتل الشريف حسين بن محمد قرر السلطان عبد الحميد تعيين عبد المطلب أميراً على مكة كونه من عشيرة زيد، ويعني ذلك أن السلطان كان يخطط لإثارة التنافس مع عشيرة عون، وأن تواجه إحداهما الأخرى وبهذا تكون الدولة العثمانية الفائز الوحيد في النهاية، وعندما تسلم الإمارة عمل على إزالة مؤيدي عشيرة عون من مناصبهم وأصدر الأوامر بنفي الأشخاص من ذوي النفوذ والذين توجس خيفة منهم على مركزه، وآثر بالمنافع أقاربه فخصهم دون غيرهم باحتكار تجارة الفاكهة والخضر. والأنكى من ذلك كِبَر سنه جعله غير قادر على الإشراف الكامل على الشئون اليومية للإمارة بل تركت إدارتها في أيد غير مسئولة، إذ تولاها أحد أبنائه الكبار وسكرتيره، وقد تأزمت المشاكل بينه وبين الوالي العثماني ناشد باشا، وتآمر على الدولة العثمانية وأرسل بني عون التماساً إلى السلطان موقعاً من أربعمائة منهم يطالبون بعزله وإعادة الإمارة لبني عون وقد وافق السلطان على عزله وتعيين عون الرفيق أميراً على مكة ١٨٨٢. انظر: الصواف، المرجع السابق ٨٠-٨٥، أنيس صايغ، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) عون الرفيق: الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون هو الابن الأصغر من حسين باشا للشريف محمد بن عون وقد تولى إمارة مكة بالوكالة لحين وصول أخيه حسين باشا الذي عين من قبل الحكومة أميراً على مكة في آب ١٨٧٧م وفي شهر أيلول عام ١٨٧٧ أرسل الشريف عون الرفيق إلى استنبول ليكون عضواً في مجلس شورى الدولة برتبة وزير ثم عين بعد ذلك أميراً على مكة عام ١٩١٢م. وبلغت الإمارة في عهده غاية من الضعف وأهمل البادية واضطرب حبل الأمن وانتشرت الفتن ولم=

ومن مظاهر المنافسة على موضوع الشرافة نزاع آل عون مع بعضهم البعض[1] ففي أثناء تسلم الشريف عون الرفيق الإمارة كان مقداما، طموحا، تقيا، قليل الاكتراث لألوان الحياة الضاحكة[2]. وقد كانت فترة حكمه الإمارة غاية في الضعف والاستبداد والظلم[3]، تمثلت في إهمال البادية، وعدم الاهتمام بالقبائل، واضطراب الأمن في الحجاز وانتشار الفتن والتظاهر بالجنون والسحر والشعوذة، فضلاً عن ميوله للوهابية والشيعية في بعض الأوقات[4] واتفاقه مع الموظفين الأتراك على إيقاع الظلم على الاهالي[5]، وفرض الضرائب والرسوم، وابتزاز أموال الحجاج. وكان عون الرفيق آلة في أيدي الولاة العثمانيين الأتراك، حيث «اتفقت مصلحته مع مصلحة الوالي فتقاسما المصالح، وتقارضا المنافع وأنَّت الناس من الجور والظلم»[6].

=يملك من الحكم شيئاً وإنما كانت القوة في يد حكم العثمانيين.انظر: جارشلي، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٤) احمد بن زيني دحلان ، تاريخ الدولة الإسلامية في الجداول المرضية، المطبعة البهية، القاهرة ١٨٨٩م ص١٦٤. السيد رجب حراز ،الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠ـ ١٩٠٩م، معهد البحوث والدرسات العربية ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص١٠٤.سليمان الموسى ، الحركة العربية ،المرحلة الاولى للنهضة العربية ، ١٩٠٨ ـ ١٩٢٤م ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٦ ص٤٥

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٦٣.

(٢) ستورث، المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) موسى، الحركة العربية، ص ٤٥ ـ ٤٦. الفواز، المرجع نفسه ص ٦٣ـ٦٥. عبدالله بن الحسي، مذكراتي، ص١٩. موسى، الثورة العربية، ص٦٠. الشناوي، المرجع السابق، ص ١٠٥١. أنيس صايغ: المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) فريحات، المرجع السابق، ص ٥٧. فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ٣٠٥. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ملحق الجزء السادس، قصة الاشراف وابن سعود، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٩م، ص٤٤.

(٥) موسى، الحركة العربية، ص٤٥.

(٦) فؤاد حمزة، المرجع نفسه، ص ٣٠٥ .

أما الشريف حسين فكان يعارض إدارة عمه لشئون الحجاز، وإيقاعه الظلم على الناس الذين لا حول لهم ولا قوة [1]، ومن ثم أصر على ضرورة معاملة الناس معاملة حسنة وطيبة، وعلى ضرورة تغيير هذا النهج المستبد، لكن عمه لم يقبل منه التدخل في شؤون حكم الحجاز، واتهمه بتأليب الناس عليه والكيد له، لذلك بعث تقارير سرية الى السلطان العثماني عبد الحميد طالبا منه إبعاد الحسين عن الحجاز [2] لأنه «قوي الإرادة، صلب عنيد» وأنه يخفي آراءه ولا يفصح عنها إلا نادرا، وان هذه الآراء ـ تدل حين يفصح عنها ـ على أنه ذو تفكير أصيل مستقل وهو أمر خطر » [3].

وعلى هذا أبرق السلطان عام ١٨٨٩م للحسين من خلال الوالي العثماني في الحجاز للحضور الى اسطنبول بحجة «قطع لألسنة السوء، والاستفادة من خبراته» [4].

ولبى الشريف الحسين الدعوة وغادر الحجاز الى العاصمة اسطنبول، حيث بقي فيها منذ عام ١٨٨٩ـ١٩٠٨م، والآراء حول مدة هذه الإقامة متضاربة ومتناقضة في الدراسات [5]، فيذكر الأمير عبد الله نجل الحسين في مذكراته حول إقامتهم هناك ان

---

(١) عبدالله بن الحسين، المرجع السابق، ص ١٨. حراز، المرجع السابق، ص ١١٦ .

(٢) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ٣١٦ ـ ٣٢٤. الزركلي، ما رأيت، ص ٢٤٩ .

(٣) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٦ ص ١٣٥ ـ ١٤٥.

(٤) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ٤.

(٥) موسى، الحركة العربية، ص ٤٦- ٤٧. عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص ١٧. انظر: فؤاد حمزة، المرجع نفسه، ص ٣١٦ ـ ٣٤٧. الزركلي، ما رأيت، ص ١١٠ ـ ١١٥. الشناوي، المرجع السابق، ص ١٨٢ ـ ١٨٥. فيليب ناتيبلي وكولن سمسون، المخفي من حياة لورنس العرب، ترجمة ايلي ابراهيم العابد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧١م، ص٦٣. محمد طاهر العمري، المرجع السابق، ص ١٧٦. أمين الريحاني، فيصل الاول، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٣٤، ص ٢٠ ـ ٢٥ .

«إقامتنا باسطنبول إقامة جبر وإكراه، وإقامة تعلم وعبر»[1]، وخلالها أقام الحسين في قصر السلطان، حيث عين عضواً في مجلس شورى الدولة، «وكانت اسطنبول السجن المحترم، او منفى العزازة والإكرام لهواء الأشخاص الكرام »[2].وفي أثناء إقامته في الآستانة تزوج مرتين وكانت زوجته الاولى قد توفيت من قبل في عام ١٨٧٨م، الأولى سنة ١٨٩٣م من (مديحة)، وهي شركسية الاصل وقد أنجبت له ابنة سماها صالحة، لكن زواجه لم يستمر طويلا فتزوج للمرة الثانية عام ١٨٩٧م من (عادلة هانم) حفيدة رشيد باشا والتي انجبت له ابناً سماه زيد وابنتين (سرة وفاطمة)[3]، وقد اهتم بأبنائه، وعلمهم مختلف العلوم، حيث درسوا في المدارس الخاصة بالسلاطين، وعلى نفقة السلطان عبد الحميد[4].

وفي العام الذي وصل فيه الشريف الى اسطنبول (١٨٨٩م) رقاه السلطان عبد الحميد الى رتبة وزير مع عضوية مجلس الشورى، لذلك لمع اسمه في المحافل الاجتماعية والسياسية، فكان محاطا بالتجلة والاحترام، وكان رجال الدولة يزورونه ويعقدون اجتماعاتهم عنده للتباحث في قضايا الدولة[5]، الداخلية والخارجية وأمور السياسة، لذا وصف منزله بأنه «مأوى أحرار الناس من العثمانيين ومتظلمة العرب للمذاكرة فيما هم فيه» [6].

---

(١) موسى، الثورة العربية، ص٢١. فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٣٢٤. محمد بن عابد بن حمادة ومحمد تيسير ظبيان، فيصل بن الحسين من المهد الى اللحد، المطبعة العصرية، دمشق، ١٩٣٢م، ص ٢٥. انظر: عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص ١٥-٣٢.

(٢) عبدالله بن الحسين، الاثار الكاملة، ص٥٣.

(٣) موسى، الحركة العربية، ص٤٦. موسى، الثورة العربية، ص٢٤ .

(٤) الموصلي، المرجع السابق، ص ١٧٧. قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥،ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص ١٤١.

(٥) حمادة وظبيان، المرجع السابق، ص٢٥. فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٣٢٤.

(٦) الملك عبدالله، مجلة الهلال، القاهرة، نيسان، ١٩٣٩م، موسى، الحركة العربية، ص ٤٦ .

ويصف الرحالة ارسكين الشريف في كتابه «فيصل ملك العراق» بقوله «كان قويا عنيدا جسورا زاهدا في هذه الحياة المترفة التي كان ينعم بها السلطان، وكانت إقامته في العاصمة التركية حيث اعتاد الناس إحناء رؤوسهم لإرادة رجل واحد، من أهم الأسباب التي غذت عواطفه الاستقلالية، وحبه للحرية» [(١)].

وقد أشار بعض كبار رجال الدولة العثمانيين على السلطان العثماني لأكثر من مرة بتعيين الشريف أميرا على الحجاز عوضا عن عمه عون الرفيق، لكن السلطان كان يرفض ذلك، وكان يتخوف من الشريف بأنه لن يرضى بالحجاز فقط لأنه بعيد النظر وثاقب العقل سيطمع بمناطق كثيرة وعديدة تتجاوز الحجاز، ومما نقل عن السلطان قوله بهذا الشان «إني راض بتعيينه أميرا على مكة المكرمة إذا اكتفى بذلك فقط بل إني اعتقد أنه لن يكتفي بالإمارة بل يطمع إلى أكثر من ذلك ويهدد يوما ما عرشي »[(٢)].

وفي عام ١٩٠٥م[(٣)] وبعد وفاة الشريف عون الرفيق، أصدر السلطان فرماناً بتعيين الشريف علي بن عبدالله أميرا على الحجاز، وبقي أميرا حتى عام ١٩٠٨م لكنه أعلن استقالته وهرب إلى مصر خوفا من بطش الاتحاديين الذين وصلوا إلى حكم الدولة العثمانية في العام نفسه.

ولقد قيل ان سبب الاستقالة معارضة ومنافسة أبناء عمومته له باعتبارهم أحق منه بالحكم لا سيما الشريف عبد الإله بن محمد أخو الشريف عون الرفيق، وكذلك الشريف الحسين بن علي عضو مجلس الشورى، والشريف علي حيدر، وجميعهم من آل

---

(١) استورث ارسكين، المرجع السابق، ص ٢٥ ـ٣١.

(٢) العمري، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣) انيس صايغ، المرجع السابق، ص ٣٦. نجاتي الجاسم، العثمانيون والحجاز في القرن التاسع عشر، بحث ضمن كتاب الذاكرة والتاريخ، اشراف الدكتور شاكر مصطفى، الكويت، ١٩٧٨م، ص ٤٥٧ـ٤٥٨ .

عبد المطلب ذوي زيد، وهناك سبب آخر وهو تأخر الشريف علي في إعلان الدستور العثماني الذي صدر عام ١٩٠٨م في إقليم الحجاز بالاشتراك مع الوالي العثماني[١].

وخلفه الشريف عبد الإله الذي كان يقيم في العاصمة العثمانية، لكنه تـوفي بعـد أيام قليلة حتى قبيل وصوله إلى الحجاز، وهنالك شكوك حول وفاته وكلها تدور حول منافسيه من الأشراف[٢].

تضاربت الآراء حول ظروف تعيين الشريف الحسين بن علي، حيث كانت هناك المنافسة بينه وبين الشريف علي حيدر وكل منهما يبذل الجهد الكبير للحصول على هذا المنصب[٣]، وخلال هذه الفترة كان للاتحاديين الدور الكبير في حسم الأمر، ففي البداية كانوا يميلون لجانب الشريف علي حيدر، لكن لظروف معينة وخاصة جعلتهم يفضلون الحسين، الذي كان قد وعدهم بإخماد ثورة المعارضين في شبه الجزيرة، لإنشاء سكة حديد الحجاز ومن ثم يسهل على الاتحاديين تنفيذ مشروعهم[٤]، ويبدو واضحاً أن تعيين الحسين كان «رغبة اتحادية بحت»[٥]، وتذكر بعض الروايات أن الاتحاديين أجبروا السلطان على ذلك وكما أسلفنا فإن السلطان وضح لهم حقيقة الشريف وما

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول النزاع والخلاف بين الشريف عبد الإله وعلي، انظر أيضا: جريدة الاتحاد العثماني، جريدة قومية سياسية أدبية اجتماعية عمرانية، طبعت في المطبعة الاهلية، صاحبها احمد حسن طبارة، العدد ٣٥، تشرين الثاني ١٩٠٨م، الصفحة الاولى.انظر: نعوم شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء، تقديم الدكتور إبراهيم ابو سلم، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

(٢) امين سعيد، أسرار الثورة، ص ٤٥. جريدة المؤيد، مصر، العدد ٥٦١١، الخميس ٥ كانون الاول ١٩٠٨م، ص٤. محمد رفيع، المرجع السابق، ص٢٤٨.

(٣) احمد السباعي، المرجع السابق، ١/ ٥٦٠. انظر: حسين نصيف، المرجع السابق، ص١-١٠. أنيس صايغ: المرجع السابق، ص ٣٧.

(٤) رجب حراز، المرجع السابق، ص ١٢٥. انيس صايغ، المرجع نفسه.

(٥) احمد السباعي، المرجع نفسه، ١/ ٥٦١. انيس صايغ، المرجع نفسه.

يتمتع به من أفكار بعيدة المدى وقد قال لهم «إنني أبرأ من تعيينه وكل ما سيعمله هذا الرجل لأنني اعرف حقيقته»[1]، وهناك من يرى ان تعيين الشريف يرجع للصدر الأعظم[2] كامل باشا الذي رشحه لهذا المنصب، والبعض يرجع تعيينه إلى بريطانيا[3].

ونتيجة للأعمال المخلصة التي قام بها الشريف والتي خدمت الدولة العثمانية استطاع كسب ثقة الدولة وشكرها، حيث وضح لها بأنه الرجل المخلص[4] والقائم وبصورة ثابتة على خدمة الحكومة، مما حدا بالحكومة أن توليه منصب الإمارة عام ١٩٠٨م.

على أية حال فإن السياسة التي انتهجها الاتحاديون تتمثل في عزل الولاة لضعفهم في تنفيذ سياستهم الاتحادية فضلاً عن إصدارهم أوامر لتطبيق سياستهم المركزية في الحجاز وانتخاب مبعوث عن كل خمسين شخصاً لتمثيل الحجاز في مجلس

---

(١) لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعليق شكيب ارسلان، ترجمة عجاج نويهض، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٣٣م، ص ٤/ ٣٩١. انيس صايغ، المرجع نفسه.

(٢) الصدر الأعظم أي «عين الأعيان». هو لقب حمله رئيس الوزراء منذ عهد سليمان القانوني في الدولة العثمانية، ويسمى أيضا صدر عالي، «وصاحب دولت واصف أعظم» وكان يتلقى مع هذا اللقب خاتماً ذهبياً مرسوماً عليه ختم السلطان، ويختم به الأوامر السلطانية فيصبح وكيل السلطان في الشؤون= =المدنية والعسكرية وكان يرأس الديوان ويعقد الاجتماعات الشهرية، ويستقبل كبار الموظفين. وله ثمانية من الحرس، و١٢ جوادا مطهما وسفينة لها ١٣ زوجاً من المجاديف. وكان زمن الحرب يتحول إلى قائد عام فيدعى سردار أكرم هو يحمل علم النبي (سنجق شريف) وهو الذي يختار الوزراء وكبار الموظفين. انظر: طلاس، المرجع السابق، ص١٣٠، الهامش.

(٣) الملك عبدالله، الاثار الكاملة، ص٤٧. سيار الجميل، المرجع السابق، ص ٢٤. انظر سيار الجميل، المرجع السابق، ص ٤٨٦ . أنظر: حافظ وهبة، المرجع السابق، ص ١٥٢-١٦٩. سليمان الموسى، الحركة العربية، ص٤٧. انيس صايغ، المرجع السابق، ص ٣٧-٣٩ .

(٤) مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص ١٢٩. المومني، الشريف حسين، ص ٤٤ـ ٤٧. صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، الحياة، بيروت، د. ت، ص١٢٦.

المبعوثان وهو ما يؤكد ان لهم سلطة قوية ويتمتعون بصلاحيات واسعة في تعيين وعزل من يريدون وبالضرورة ان يكون تعيين الحسين أميرا على مكة أحد إجراءاتهم[١].

علاقة الشريف بالاتحاديين

بعد أن تم تعيين الشريف الحسين أميرا على الحجاز عام ١٩٠٨م تجهز في اسطنبول للسفر إلى مكة على ظهر الباخرة (طنطا)[٢]، وكان في وداعه السلطان عبد الحميد حيث اختلى به لأكثر من ساعة، وهمس في أذنه قائلا «اسأل الله أن يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية، وإنني لست بالأمين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة»[٣] ورد الشريف قائلا «إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي إذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك، ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاز، وان النبي قال (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم لجبت لكم الأموال ولخضعت رقاب العصاة، لأنكم تكونون حين ذلك فوق متناول يدهم»[٤] فذرفت عينا السلطان ووضح له أن الوقت لم يحن ثم سلمه وسام الافتخار المرصع الذي وضع على صدره.

وكان في وداعه كذلك كبار رجال الدولة وعلى رأسهم الصدر الأعظم كامل باشا الذي سلمه مذكرة جاء فيها «ان الخطة المباركة الحجازية مربوطة رأسا بمقام

---

(١) محمد طالب وهيم، مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥ دراسة في الأوضاع السياسية، البصرة، ١٩٨٢، ص ٣٧.

(٢) وهي إحدى بواخر الشركة الخديوية آنذاك. انظر: طلاس، المرجع نفسه، ص١٣٢.

(٣) عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص ٥٤.

(٤) نفسه.

الخلافة العظمى، وأنه لا يسري عليها بمناسبة الدستور الجديد ما يخالف الحقوق المقدسة القائمة بين الإمارة الشريفة والسدة السلطانية، وان اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج إلى تأكيد، فقوموا بواجباتكم السامية على أساس التعامل القديم، وفقكم الله للخير» [1] ومن الشريف جاءت هذه الكلمات «كأنما كانت رسالة الحسين الأولى هي مقاومة الاتحاديين» [2].

ولما وصل إلى بيروت في الرابع من ذي القعدة ١٣٢٦ هـ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٨م) اجرت جريدة الاتحاد العثماني لقاءً معه أعلن فيه رغبته في إحلال الأمن في الحجاز واجراء الاصلاحات العديدة والمناسبة، فضلا عن أنه سيعمل على ايصال سكة الحديد ليس فقط في مكة بل الى اليمن «حتى ترتبط البلاد المحروسة برباط واحد حساً كما ارتبطت بالدستور والعدل معا فتستفيد البلاد والدولة من ذلك مادة ومعنى» [3]، وكذلك أوضح الشريف من خلال المقابلة أنه معارض للضرائب التي تفرض على القبور واعتبرها أمرا فظيعاً.

وصل الشريف الى ميناء جدة يوم الخميس التاسع من ذي القعدة ١٣٢٦هـ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٠٨م) [4]، وكان في استقباله وفد من حزب الاتحاد والترقي برئاسة عبدالله القاسم وجمع كبير من أشراف الحجاز والموظفين والعربان والشيوخ [5]، ودار بينه وبين القاسم رئيس الاتحاديين حديث قال فيه القاسم: « جئنا نرحب بالأمير

(١) عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص ٥٤.

(٢) عبد الكريم الغرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٩، ج١، العراق والجزيرة العربية مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠، ص٣٢٤. الزركلي، ما رايت، ص١١٣. حسين نصيف، المرجع السابق، ص٦ .

(٣) جريدة الاتحاد العثماني، بيروت، عدد ٥٦، السبت ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٨م .

(٤) جريدة المؤيد، عدد ٥٦٤٢، الاثنين ١٤ كانون الاول ١٩٠٨م. جريدة الاتحاد العثماني، عدد ٧١، الاربعاء ١٦ كانون الاول ١٩٠٨م .

(٥) جيمس مورس، المرجع السابق، ص٢٣ .

الدستوري الذي يؤمل من سيادته أن نضرب صفحا عن الأحـوال الإداريـة القديمـة وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي تبعا للإدارة المستبدة السابقة وارضا للسلطان وان البلاد اذ تحيي سيادة الأمير فإنها تحيي فيـه الأمـير الـذي عرف روح العصر والتجـدد المطلـوب للعمـل تحـت الدسـتور الـذي هـو نبــــراس السلامة »[1]، ورد الشريف «لقد حظيت بمقام أسلافي وأبنائي على الشريعة التي بـايع بها الشريف ابو نمي السلطان سليم الأول، وان هذه البلاد لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي حريصة على الاحتفـاظ بحقهـا، فليذهب كل منكم يشتغل بما يخصه، فهذه البلاد ليست بملـك لأحـد، وان السـلطان الآمر بالدستور الذي تذكره والذي أمر بان يعمل في بلاده يفتخر هـو وأسـلافه بـأنهم خدام الحرمين الشريفين دستور بلاد الله وشريعة الله وسنة نبيه» [2].

وخرج الاتحاديون من عند الشريف لا يعرفون ماذا سيعملون، فأرسلوا الى السلطان بكتاب عام ١٩٠٩م قالوا فيه «بعث عبد الحميد برجل جلس على مقام أسلافه لا يعبأ بأحد ولا يقر بدستور ولا تجديد»[3] وهذه كانت بداية للحرب والنزاع مع الاتحاديين ومنطلقاً للعداوة من الشريف من جهة وتطبيق سياسة مركزية على إقليم الحجاز من جهة أخرى.

وقد ذكر البعض[4] أن الشريف كان جوابه للاتحاديين توضيحا لسياسته الداعية إلى رفع الظلم، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وتنفيذا لبعض الإصلاحات التي

---

(١) عبدالله بن الحسين، الاثار الكاملة، ص٦٠ .

(٢) جريدة المؤيد، القاهرة، عدد ٥٦٤٦، السبت كانون الاول ١٩٠٨م. امين سعيد، اسرار الثورة ص٤٥ـ٥٠.

(٣) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص٣٥ ـ ٤٠ .

(3) Dawn, Ernest; From Ottomanism to Arabism.Essay on the Origins of Arab Nationalism Urbana University of III Unions, 1937 - p 6 .

أرادها كامل باشا (الصدر الأعظم)[1]. وعلى هذا كان أول ما فعله وقبل أن يصل الحجاز[2] إرسال برقية لتعيين نائب له في المدينة المنورة وهو على ظهر الباخرة كي يثبت مركزه وسيادته في البلاد، بل عقد مجلسا عاما قبل أن يضع ملابس الإحرام للتباحث في القضايا المختلفة. ولكي يقبض على زمام الأمور في الحجاز في يده بحزم وشدة وجرأة، اتصل بجميع طبقات المجتمع سواء كانت صغيرة او كبيرة لحل الخلافات بينهم لا سيما الخاصة بالبدو، كي يسود الأمن والاستقرار، كما قلل نفوذ الوالي العثماني بحيث أنه لم يترك واحدا من الاهالي يتقاضى القليل أو الكثير إلا بحضوره شخصيا لا سيما في الأحوال الشخصية والحقوق المدنية[3].

كما فرض نفوذه على قبيلتي حرب وعتبة وهما أقوى وأكبر القبائل البدوية في شبه الجزيرة العربية كما وضع حدا لتدخل الاتحاديين في شؤون مكة سياسيا[4]، وبدأ تنفيذ الإصلاحات التي وعد بها أهل نجد، حيث تبرع لايجاد الماء بقرشين يأخذهما أمير مكة على كل بعير من جدة منذ أقدم الأزمنة، لذلك شكره أهل جدة على عمله، لكن الشريف أجابهم «بل دعوا لجلالة السلطان ووزرائه»[5]، ورفض الشريف اعتبار الحجاز ولاية عثمانية، لأنها ليست كطاولة شطرنج يحركها الاتحاديون كيفما شاءوا، كما عمل على إنشاء المدرسة الخيرية في مكة، وضم إليها مدرسة الشيخ محمد خياط [6]، وإعادة تشكيل ماء عين زبيدة فأصلح مجاريها، واصلح المدرج الواقع بجوار العقبة في

---

(١) جريدة الاتحاد العثماني، عدد ٧١، الاربعاء، ١٦ كانون الأول ١٩٠٨م .

(٢) الفواز، المرجع السابق، ص٧٦ـ ٧٧.

(٣) وثائق وزارة الخارجية البريطانية، الملف F.O.R.I .G. N.Office .F.O 882/13

(٤) رفيع، المرجع السابق، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩ .

(٥) جريدة الاتحاد العثماني، العدد ٧٤، السبت، ٩ كانون الأول ١٩٠٨م .

(٦) رفيع، المرجع نفسه، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩ .

منى، وأنشأ الشارع اليوسفي في مكة، وأنشأ مظلة بين الصفا والمروة، ووسع في بعض الطرق العامة، وأضاء المسجد الحرام بالكهرباء(١).

اخذ الاتحاديون يعمقون العداوة بين الدولة العثمانية والشريف باستغلال مناسك الحج(٢)، من خلال مهاجمة الشريف الحسين عند طريق أمير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف الذي أعلن عام ١٩٠٩م ان الطريق البري الذي سلكه الحجاج من المدينة المنورة حتى دمشق غير آمن وأنه يخشى اعتداءات القبائل البدوية على الحجاج لذلك رأى ضرورة تغيير مسلك الحجاج ليكون على البحر من جدة وسواحل بلاد الشام، لكن الشريف عارض هذا الاقتراح وعرف نية الاتحاديين زعزعة الأمن، وإثبات عجز الشريف عن حماية الحجاج وتوطيد الأمن في الحجاز باعتبار أن مكانة الأمير تعتمد اعتمادا كبيرا على مناسك الحج، لذا أكد الشريف على قدرته على تأمين الحجاج برا، وبرهن على ذلك بأن انتدب أخاه الشريف ناصر وولده عبدالله لهذه المهمة.

ولتقليل نفوذ الشريف في الحجاز عمل الاتحاديون على فصل المدينة المنورة عن ولاية الحجاز عام ١٩٠٩م من خلال تقليص نفوذ الأمير في مكة، وجعل «المدينة» محافظة تتبع وزارة الداخلية بالعاصمة العثمانية اسطنبول، حيث تم تعيين علي رضا الركابي محافظا عليها، دون علم الشريف او الوالي العثماني في الحجاز كامل بك، وقد بين

---

(١) كان المسجد الحرام يضاء بقناديل الزيت والشموع، وفي عام ١٩١٧ قامت الدولة الهاشمية بابدال قناديل الزيت بالشمعدانات (الاتاريك) وفي عام ١٩١٨ أحضرت مولدا كهربائيا خصص لإضاءة المطاف وفي عام ١٩١٩ توسعت في كهربة المسجد وأضاءته بالكامل. لمزيد من التفاصيل انظر المرجع نفسه. وانظر أيضا: هنادي غوانمه، المملكة الهاشمية الحجازية، ط١، دار الفكر، عمان ١٩٨٩، ص ٧٨.

(٢) موسى، الحركة العربية، ص ٥٠ ـ ٥٢. حسين نصيف، المرجع السابق، ص ٥-١٠. جريدة الاتحاد العثماني، عدد ١٠٩، الثلاثاء ٢ شباط ١٩٠٩م. عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٦٠ـ ٦٥.

لهم وكيل الشريف في المدينة ما حدث، مخبرا إياه أنه لم يعد المسؤول عنها، لكن الأهالي ممثلين بالشرفاء ورؤساء القبائل بعثوا ببرقيات تستنكر هذا الإجراء، لذلك سارع الشريف وبعث برقية إلى الصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا يسأله حول هذا الإجراء، وعن مسؤوليات الإمارة فيما بعد، وقوافل الحجاج والزوار، وهل هي ما زالت كما كانت من مدائن صالح إلى محل معين بين الحرمين، وفي مقابلة بين الامير عبد الله ووالي الحجاز أكد أنه لا علم له بالأمر.

أرسل الصدر الأعظم الجواب التالي لأسئلة الشريف «إن ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكك الحديدية يضمن السرعة في المخابرات، لذلك اعتبرت المدينة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة داخلية رأسا لا بالولاية وأما تبعات الإمارة الجليلة وحقوقها فهي كما كانت من مكة إلى مدائن صالح »[1].

ويبدو واضحاً أن الهدف من هذا الاجراء هو تمزيق إقليم الحجاز، وإضعاف قوة الشريف، بحيث تصبح مسؤولية الشريف رعاية الحجاج في مكة المكرمة فقط، أما مسألة زيارة الحجاج لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة فهي تقع على عاتق الدولة العثمانية، وهذا يعد انتهاكا واضحا وحقيقيا للاتحاديين المسيطرين على زمام الأمور في الحكم، لمنصب الشرافة في مكة من قبلهم ومعارضتهم في انتخاب الأمير عبد الله بن الحسين والشيخ حسن الشيبة نائبين عن منطقة مكة في مجلس المبعوثان بحجة أن الأمير عبدالله لم يكن راشداً، وأن الشيخ لا يحسن القراءة والكتابة باللغتين العربية والتركية، لكن لم يكن لاعتراضهم تأثير يذكر[2].

---

(١) عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٧١.

(٢) احمد نور النعيمي، اثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، بغداد، ١٩٨٢، ص١٥٤. وانظر أيضا Dawn.o.p cit.p8

وفي محاولتهم التآمر عليه فأنهم وبعد وصول الوالي الأول فؤاد باشا سنة ١٩٠٩م للحجاز اتهم أقرباء الشريف ومندوبه في الطائف بمحاولة تدبير ثورة ضد الحكومة العثمانية[١]، فما كان من الشريف إلا أنه أرسل برقية إلى السلطان استنكر فيها التهم الموجهة له، لذا استدعت الحكومة الوالي وبعض موظفيه ولكن الشريف ظل يتخوف من تصرفات الوالي ولا يتحملها[٢] وأرسل شكاوى عديدة بحق الوالي فؤاد إلى السلطان إلى أن تم عزله من قبل الباب العالي[٣].

كما عمل الاتحاديون لإحكام سيطرتهم على الحجاز وإضعاف سلطة الشريف على تقليل نفوذه والقضاء على استقلال الحجاز والإخلال بحقوق الإمارة وامتيازاتها بتطبيق قانون الولايات، حيث قاموا سنة ١٩١٢م بتعيين والٍ جديد للحجاز هو وهيب بك الألباني الأصل[٤]، وقد زودوه بتعليمات شديدة وقاسية تنص على تطبيق قانون الولايات الجديد في إقليم الحجاز، والذي ينص على إجبار الأهالي على دفع الضرائب التي كانوا معفيين من دفعها في السابق باستعمال القوة والعنف في حال الرفض، وهذا ما أدى الى إثارة الفتن والاضطرابات بين الأهالي، الذين وجدوا في هذا القانون انتقاصاً لمكانة الحجاز الدينية، وجر البلاد نحو أوضاع اقتصادية عصيبة، لذلك عمت المظاهرات والاحتجاجات، وقطعت المواصلات بين الداخل والساحل ومكة والمدينة، فسارع الشريف وذهب للوالي وهيب بك وقال له «ها أنت ترى رغبة الشعب الحجازي في التمسك بحقوقه القديمة والشروط التي بويع بها السلطان سليم الأول

---

(١) موسى، الحركة العربية، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) Dawn.o.p cit.p8

(٣) موسى، الحركة العربية، ص٥٢ .

(٤) امين سعيد، المرجع السابق، ص٤٦ .

بالخلافة...، وإذا كانت في يديك أوامر الدولة بتطبيق قانون الولايات على البلاد، وسلخ امتيازاتها فأرنا هذه الأوامر»[1].

رأى الوالي أن الوضع أصبح خطيرا، وان الأزمة اشتدت، وكاد الموقف ينفجر ويتصاعد بصورة سلبية ضد الحكومة العثمانية فكتب برقية على وجه السرعة إلى الصدر الأعظم أوضح له ما آلت له الأزمة في الحجاز، وجاء الرد أن الدولة ليس لها نية بالمساس بحقوق الإمارة، ولا حتى الإضرار بمصالح الحجاز وامتيازاته، فقد سعى الاتحاديون إلى إيصال سكة حديد الحجاز من المدينة إلى مكة المكرمة[2] وكان الهدف الظاهر هو خدمة الحجاج وتسهيل تنقلهم، لكن الغرض الخفي هو رغبة الاتحاديين في السيطرة على الحجاز من خلال إرسال القوات العسكرية للتصدي للقبائل العربية على طول طريق سكة الحديد من مكة إلى المدينة، والتي كان لها دور أساسي في نصرة الشريف، وحتى يكون بمقدورهم تطبيق قانون إدارة الحجاز المركزي « واستعادة التوازن في الحجاز لصالح استنبول »[3].

---

(١) عبدالله بن الحسين، الاثار الكاملة، ص٩٦ .

(٢) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٤٦ ـ ٤٧ . صاحب فكرة إنشاء سكة حديد الحجاز هو سكرتير السلطان عبد الحميد الثاني (عزة باشا العابد) وقد بوشر العمل فيه عام ١٩٠٠ بعد أن عهد إلى مهندسين من الألمان إنشاءه وكان إنشاؤه متعلقاً بدوافع سياسية وعسكرية لا سيما أن بريطانيا سيطرت على قناة= =السويس وذلك لضمان وسيلة فعالة وسريعة لنقل الجنود والمعدات إلى جهات الجزيرة العربية المختلفة وثانياً لسهولة الاتصال بالحرمين الشريفين وقد تم العمل بإنشاء سكة الحديد من دمشق وحتى المدينة المنورة بمسافة تصل إلى ١٣٠٣ كم. للتفاصيل انظر العوينات، المرجع السابق، ص ١٤٦. و الصواف، المرجع السابق، ص ١٣١. محمد عبد القادر عشماوي، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية وعربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٥١.

(٣) الفواز، المرجع السابق، ص٨١.

رفض الشريف هذا الإجراء وساعدته في ذلك المظاهرات والاحتجاجات التي قام بها الحجازيون الرافضون لمشروع سكة الحديد[1]، وقد أرسل وهيب بك برقية للحكومة العثمانية وضح لهم خطورة الموقف، فرضخت الدولة لمطالب الحجازيين، وارسلت في طلب الأمير عبدالله بن الحسين للتباحث في الموضوع، والذي أوضح أن الخطر هو مد سكة الحديد التي تؤثر بشكل سلبي على منصب الشرافة، وتقليل امتيازات الحجاز، وقطع أرزاق الأهالي المستفيدين من موسم الحج في نقلهم وخدمتهم وتوفير كل سبل الراحة لهم، إلا أن الاتحاديين وعلى رأسهم طلعت باشا وزير الداخلية أكد على ضرورة مد سكة الحديد، وقال للأمير: «عملنا كل ما يريد، وإن رفض فلا وداد ولا بقاء، وطلب منه أن ينقل لوالده شروط الحكومة العثمانية وهي:

- «إن ثلث دخل الخط للشريف حسين يصرفه كما يشاء.
- تبقى إمارة مكة له مدى الحياة ومن بعده لأولاده.
- ستضع الدولة تحت إمرته القوة الكافية لتأمين التنفيذ، وستصغي الدولة إلى مشاريعه في هذا الباب.
- ستضـع الدولة تحت تصرفــه ربع مليون ليرة ذهبا ينفقها على العربـان »[2].

لما عاد الأمير أبلغ والده بالشروط لكن الشريف رفض هذه الشروط، وبقي التوتر بين الطرفين مصحوباً بالقلق والحذر.

ورغم هذه السياسة العدائية تجاه الشريف إلا أنه اظهر حسن الولاء والطاعة للدولة من[1] خلال محاربة كل معارض او راغب في الانفصال عنها، فقد قام بحملتين

---

(١) عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٦. حكمت فريحات، المرجع السابق، ص٦٤-٦٦. Dawn.o.p cit.p8

(٢) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٤٧. موسى، الحركة العربية، ص ٧٨ - ٧٩.

عسكريتين في عام ١٩١٠م إحداهما لمحاربة ابن سعود الذي استولى على أرض عتيبة الواقعة تحت السيادة العثمانية، والثانية عام ١٩١١م ضد الشيخ محمد الإدريسي أمير منطقة عسير[٢] لأنه خرج على الدولة وأعلن استقلاله عنها لكن الشريف بعد أن انتصر عليه أخضعه للدولة العثمانية.

وعقد ضمانات وعهوداً ومواثيق مع القبائل العربية التي تشكل خطرا وتهديدا لسكة حديد الحجاز، وقد أرسلت الحكومة الاتحادية برسالة للشريف والمتصرف فخري باشا متصرف المدينة بان يقوما بمهمة التوفيق بين القبائل البدوية والحكومة العثمانية لتسوية قضية الاعتداء على سكة الحديد، وقد وردت تقارير عن الدولة العثمانية مفادها «أن بدو الحجاز قد جلبوا للسكينة بإجراءات الشريف الحكيمة ففخذا قبيلة حرب الكبيران ـ المسروح وبنو سالم ـ اللذان كانا يهاجمان سكة القطار، قدّما خضوعهما وضماناتهما طبقا للصلات العربية معلنين أنهما لن يهاجما سكة القطار بعد

---

(١) فريحات، الثورة العربية، ص ٦٤ـ٦٥. هنادي، الثورة العربية، ص٤٤ .

(٢) الإدريسي: ولد محمد بن علي بن أحمد بن ادريس بمنطقة صبا، عام ١٨٧٦، ونشأ فيها وظل حتى عام ١٨٩٤ حيث توجه إلى مكة المكرمة وأقام بها مدة ستة أشهر، ثم قصد مصر لتلقي العلوم بالأزهر الشريف، وأقام بها ست سنوات. وفي خلال إقامته في مصر التف حوله بعض المسلمين من دعاة السياسة الإيطالية وأظهروا الصداقة والمحبة وانتسابهم إلى طريقة جده السيد أحمد بن ادريس أحد علماء الصوفية المحققين حتى استمالوه إليهم وأصبحوا موضع ثقة، ثم بدأوا يثيرونه على الدولة العثمانية ويصفونها له بأنها دولة ظالمة وحاقدة ومتعصبة ومجحفة بحق أهل اليمن، ولابد من إخراجهم ومقاتلتهم وإعادة ولاية اليمن إلى أصحابها «فأنتم أحق بأوطانكم» ولقد استحسن كلامهم ووجده مقنعاً وهنا جالت الفكرة في ذهنه وبدأ يفكر في الخروج عليهم ومقاتلتهم وإخراجهم من بلاده مما دفعه للعودة إلى بلده صبا، وبدأ يبث الدعاية لنفسه، ويتحين الفرصة المناسبة لتنفيذ مخططه. انظر: الصواف، المرجع السابق، ص ١٤١. شريف عبد المحسن البركاتي: الرحلة اليمانية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ط ٢، دمشق ١٩٦٤، ص٦-١١. الدسوقي، المرجع السابق، ص ١٧٧-١٧٩.

ذلك »[1]. وبهذا كان للشريف الدور الأكبر في توثيق الضمانات المادية التي أعطيت للقبائل من اجل توفير الأمن تجاه سكة الحديد حتى عام ١٩١٦.

ومما زاد من نقمة الشريف ضد الاتحاديين أنه اكتشف مهمة الوالي وهيب باشا الحقيقية والتي ترمي إلى التخلص منه والقضاء على امتيازاته لا سيما عندما وقعت بين يديه المحفظة السرية الخاصة بالوالي، والذي حدث أنه عند زيارة الشريف للوالي بقصد الود والمجاملة لا سيما بعد إعلان الحرب العالمية الأولى، جرى الحديث حول الحرب ودخول الاتحاديين لجانب الدولة الألمانية وإعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا، وقد أوضح الشريف أنه لا ناقة لنا في دخول الحرب ولا جمل، ورد عليه الوالي قائلا «أنها ورقة نريد أن نقذف بها على مائدة الميسر» لكن الشريف قال له «إن هذا لعجيب أوتقامرون بالأمة كلها»[2].بعد ذلك تلقي الوالي نداء عاجلاً بالسير بقوة عسكرية مصر للانضمام إلى حملة جمال باشا الموجودة في سوريا، وهنا سنحت الفرصة لرجال الشريف لكشف المحفظة التي سرقوها، حيث وجدوا بها أوراقاً تخص الحكومة الاتحادية ومراسلات بينه وبين الحكومة مفادها التخلص من الشريف، وإنهاء وجوده في الحجاز[3].

على أن الشريف ومنذ تسلمه الإمارة عام ١٩٠٨م كان يؤكد دوما أنه سيحافظ على أواصر الروابط والأخوة مع الدولة وذلك واضح من خلال مقابلته وفد الاتحاد والترقي لدى وصوله إلى جدة عام ١٩٠٨م، فكان الشريف حسين «عثمانيا متمسكا بروابط الاخوة الإسلامية بين العالم الإسلامي وبين الخلافة

---

(١) خالد حمود السعدون، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز اسبابها وتطورها خلال عامي ١٣٢٦ـ ١٣٢٧هـ/ ١٣٠٨م– ١٣٠٩، مجلة الدارة، عدد٢، السنة الرابعة عشرة، آب ١٩٨٨. ص ٥٠ ـ ٥٧.

(٢) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٤٩. عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص ١١٠.

(٣) أنظر أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٤٩ـ٥٠. وأنظر أيضا: عبدا لله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص١٠٨ـ١١١.

العثمانية في استنبول»[1]، كما أن الشريف أصر على أن تكون سمة ارتباطه «بالخليفة المسلم في استنبول وثيقة»[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه من عام ١٩٠٨ ولغاية ١٩١٦م تعاقب على إمارة الحجاز سبعة ولاة أتراك [3] وهم المشير كاظم باشا والفريق فؤاد باشا وحازم بك وأحمد نديم ومنير باشا ووهيب باشا وأخيرا غالب باشا.

---

(١) هنادي، المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) نفسه.

(٣) موسى، الحركة العربية، ص ٥١.

الفصل الثاني

النظام الإداري والاقتصادي

الفصل الثاني

النظام الإداري والاقتصادي

أقر العثمانيون في ولاية الحجاز النظام المعروف باسم نظام الشرافة. وبمقتضى هذا النظام كان يتولى الحكم أحد الأشراف إلى جانب وجود والٍ عثماني، وكان من عادة العثمانيين تجنب إدخال تغييرات جذرية في البلاد التي يتم فتحها، واستبقاء الأنظمة السائدة طالما لا تتعارض مع نظم الدولة وأهدافها، واستحدث العثمانيون بجانب الشرافة نظاماً مدنياً آخر، إذ أنشأوا في ثغر جدة سنجقية يقيم فيها والٍ كانت رتبته في أغلب الأحيان سنجقدار وفي أحيان أخرى باشا.

وبفضل نظام الشرافة تمتع الحجاز خلال العصر العثماني الأول بقدر كبير من الاستقلال الذاتي، وأصبح الأشراف يعتمدون في مصروفاتهم على القاهرة أكثر من العاصمة استنبول، على الرغم مما كانت ترسله الدولة كل سنة من مال قررته على مصر واعتبرته من التزامات مصر السنوية وهو غلال الجراية والصدقة إلى مكة والمدينة.

كان نفوذ العثمانيين قد ضعف منذ بداية القرن الثامن عشر في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية تقريباً بسبب اختلال نظام الإنكشارية، الذي فقد تدريجياً كل مزاياه، وتحول في النهاية إلى معول هدم لشؤون الحرب والإدارة وقد أدى ذلك إلى اختلال نظام الحكم من جميع الوجوه، وبخاصة في الولايات العثمانية البعيدة عن العاصمة، إلا

أن الاشراف ظلوا محتفظين بولائهم للباب العالي إذ كان الشريف يتسلم براءة منصبه ويعترف بالقاضي الذي يعينه السلطان ويفخر بأنه خادم الدولة والسلطان العثماني ومع ذلك لم تكن الصلات بين الأشراف والدولة العثمانية ودية تماماً، فعندما كان يبدو على أحدهم بأنه غير صالح يطلب منه لزوم داره، ويستبدل به آخر، لذلك كانت المكائد منتشرة بينهم، وأصبحت رغبة السلاطين هي أن يجعلوا الحجاز ولاية عثمانية تدار إدارة مباشرة أو شبه مباشرة.

وكان الشريف يعتبر صاحب الكلمة العليا في تصريف شؤون البادية، وهو المرجع الأكبر في الحجاز، وكان يتصل مباشرة بالصدر الأعظم، ويأتي بعده في لائحة التشريعات العثمانية. وكانت له اختصاصات عديدة منها تأمين قوافل الحج الذاهبة للحجاز لا سيما قافلة الحج الشامي والمصري والعراقي واليمني وغيرها.

وفي العهد العثماني الأول كانت القضايا الادارية للبلاد من اختصاص الأشراف ثم استحدث العثمانيون في كل مدينة مجلساً خاصاً للفصل فيها، وكان أعضاؤه من الحجازيين والأتراك وغير الحجازيين إذ كان هذا المجلس قد تكون بمقتضى قانون الولايات الذي صدر سنة ١٨٦٤ بهدف دعم سياسة الدولة المركزية، حيث قسمت السلطنة إلى ولايات تتألف من متصرفيات، وهذه تتألف من قائمقاميات يتبع كل منها عدد من النواحي، وكانت الهيئات المنتخبة التي أوجدها القانون الجديد، لتعاون الولاة والمتصرفين والقائمقاميين غير خاضعة للقانون العام. وعلى اثر ذلك قسمت الدولة العثمانية البلاد العربية إلى ولايات عديدة ومتصرفيات مستقلة تابعة رأساً للباب العالي، أما الحجاز فكان ولاية مستقلة يطبق فيها قانون الشرافة والإمامة.

أما الوضع الاقتصادي للحجاز فقد ازدهر في ظل إدارة الشريف وانفراده عن سائر الولايات العثمانية بعدة امتيازات بالإضافة إلى تلقيه مساعدات مالية ضخمة من

مصر في كل عام، وكان السلطان سليم الأول قد قرر زيادة المساعدات المالية المخصصة للحجاز واعتبرت هذه المساعدات من الواجبات المالية المفروضة على مصر كما سبقت الإشارة وكان يطلق على أموال الحجاز «الصرة» حتى أن الباشا العثماني في مصر كان يعتبر في كثير من الاحيان أنه مسؤول عن الحالة الاقتصادية في إقليم الحجاز. وأثناء حكم الحسين للحجاز بدأ يهتم بالشئون الاقتصادية المختلفة والتي شملت الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها.

وبناء على ما تقدم سوف أتناول النظام الإداري والاقتصادي في الحجاز تحت حكم الشريف حسين.

النظام الإداري

كان الحجاز ابان الحكم العثماني ينقسم إداريا إلى عدة ألوية وأقضية ونواحي[1]، وعندما تولى الشريف حكم الحجاز أبقى التقسيمات الإدارية على حالها وكانت كما يلي:

- ولاية المدينة المنورة (المتصرفية)، ويتبعها إداريا أربعة أقضية (العقبة - الوجه ـ ينبع البحر ـ السويرقية[2] أو ناحية واحدة وهي خيبر[3].

---

(١) انظر التنظيمات العثمانية المنشورة باسم الدستور، ترجمه من التركية نوفل افندي، نعمة الله نوفل، م. ج.١، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ، ص ٣٨٢. كان الحجاز وحتى انفصاله عن الدولة العثمانية ١٩١٦ ولاية عثمانية يتكون إدارياً من (سنجقين) متصرفيتين وخمسة أقضية وناحية ويضيف بعض الدارسين إلى الولاية امارة العرب في الطائف ومنها يتضح لنا أن الإمارة تكون من ناحية التقسيمات الإدارية بمثابة لواء وهذه التسمية أعطيت لخصوصيتها الإدارية وأهميتها وسهولة إدارة الولايات لدى الدولة العثمانية كمكة المكرمة وغيرها، انظر ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٦٥، ص ٢٤١.

(٢) السوارقية أو السويرقيةأ هي مدينة تقع بين مكة والمدينة المنورة، أنظر عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية ، دمشق، ١٩٤٤م، ص ١٢٠

(٣) القبلة، عدد ٥٩٠، ١ حزيران ١٩٢٢م .

- ولاية جدة ويتبعها قضاء واحد وهو معمورة الحميد[1].

- إمارة العرب في الطائف (تعد بمثابة ولاية خاصة).

- إمارة مكة المكرمة، وتعد معزولة عن التقسيمات الإدارية، ومقتصرة على الأشراف وحكمهم[2].

ويعد المسؤول عن كل ولاية من ولايات المدن الكبرى (أميراً)، يكون له نائبان أو مساعدان، أحدهما يعرف بنائب الأمير، والآخر يعرف بوكيل الأمير[3]، وكل إمارة لها ديوان خاص[4] ومجلس إداري يسمى «الهيئة العالية» ويوجد في كل مجلس أعضاء بعدد معين من أعيان الولاية.

أما الجهاز الإداري الذي يباشر كافة المصالح الداخلية في الولايات فكانت وظائفه على مستويين هما[5]:

قائم مقام الدرجة الأولى : والمتمثل بالمدن الرئيسية كجدة ومكة والمدينة المنورة، وكان يطلق عليه «صاحب الكمال».

قائم مقام الدرجة الثانية: والمتمثل بالمدن الثانوية، أو الملحقات (قائم مقام الملحق)، وكان يلقب بـ«صاحب النباهة»[6].

---

(١) كحالة، المرجع نفسه، ص١٢٣. الحصري، المرجع نفسه، ص ٢٤١.

(٢) سالنامة دولة علية عثمانية، مطبعة عامرة، دار سعادة، ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، ص ٥٠٦ وما بعدها، الحصري المرجع السابق ص ٢٤١.

(٣) القبلة، عدد ٣٢٠، تشرين الاول ١٩١٩م، ع ٢٥٠، كانون الاول ١٩١٨م، ع١٠٤، آب ١٩١٧م .

(٤) القبلة، عدد ٣٨١، اذار ١٩٢٠ .

(٥) انظر القبلة، العدد ٢٣٧، ٥ كانون الاول ١٩١٨م .

(٦) القبلة، عدد ١٧٦، نيسان ١٩١٨م .

أما القائم مقام صاحب الكمال فيأتي في المرتبة الثانية بعد الأمير، وتناط به في بعض الأوقات قيادة المنطقة عسكريا وقيادة قوات البدو، حيث يعرف بأمير البدو[١].

ويساعد القائم مقام[٢] وكيل ومدير تحريرات ومجلس إدارة يتألف من خمسة أشخاص بحكم وظائفهم (القاضي ـ مدير المحاسبة ـ مدير التحريرات ـ مفتي الحنفية ـ وكيل شيخ السادة. (كالصوفية مثلاً) مع غيرهم من الشخصيات ويحق للمجلس مكاتبة المرتبطين به.). ويعقد المجلس إجتماعه مرتين في الأسبوع[٣].

وهنالك الدائرة الشرعية التي تضم[٤]: القاضي والمباشر ورئيس الكتاب. بالإضافة إلى الدائرة العدلية[٥] وتضم المناصب الآتية: رئيس الجزاء، والحقوق، والإجراء، والمدعي العام، وقائد الشرطة، وأعضاء المحكمة، والمستنطق.

أما كتبة المحكمة فهم في ثلاث مراتب: كاتب أول (واحد فقط)، وكتاب المحكمة (اثنان) وكاتب المستنطق (واحد). والمباشران، وأحدهما ماشٍ، والآخر خيال (فارس).

---

(١) القبلة، عدد ٢٧٤، نيسان ١٩١٩م .

(٢) القبلة، عدد ٢٥١، كانون الاول ١٩١٨م، ع ١١١، ايلول ١٩١٧م، ع ٢٣٧، كانون الاول ١٩١٨، م ع ٢٨٢، اذار ١٩١٩م .

(٣) القبلة، عدد ٢٣٧، كانون الأول ١٩١٨م، ع ٢٨٢، اذار ١٩١٩م .

(٤) القبلة، عدد ٢٣٧، كانون الاول ١٩١٨م، ع ١١١، ايلول ١٩١٧م، ع ١٠٤ آب ١٩١٧م، ع ١٨٦، حزيران ١٩١٨م، ع ٣٢٠، تشرين الاول ١٩١٨م، ع ٥٥٣، كانون الثاني ١٩٢٢م .

(٥) القبلة، عدد ٢٣٧، كانون الاول ١٩١٨م .

أما الدائرة المالية فلا يتم التعيين فيها إلا بعد اجتياز اختبار اعد لذلك يعقد في نفس الدائرة أو في دائرة مالية جدة ويقوم من تم قبوله بدفع الكفالة المالية الخاصة بذلك، وتضم الدائرة الوظائف الآتية[١]:

- مدير المال (مأمور المال أو رئيس الأموال أو مدير المحاسبة).
- مساعد مدير المال.
- امين الصندوق.
- كاتب الصندوق.
- الجباة، وينقسمون إلى فئتين: ماشي والآخر خيال (فارس).

وقد قسمت الدائرة المالية إلى دائرة رئيسية في العاصمة مكة، اضافة إلى عدد من الدوائر المنتشرة في الأقضية التابعة للدائرة الرئيسية.

وهنالك دائرة الرسوم، وتضم مجموعة من الموظفين[٢]:

أ. مدير أو مأمور الرسوم.

ب. أمين صندوق دائرة الرسوم.

وقد قامت الحكومة بإنشاء دائرة رسوم في كل مدينة تتبع نظارة عموم الرسوم الموجودة في العاصمة مكة، والتي يرأسها مدير عموم الرسوم، ومهمتها الإشراف على دوائر رسوم المراكز الإدارية المختلفة.

---

(١) القبلة، عدد ٢٣١، تشرين الثاني ١٩١٨م، ع ٢٣٧، كانون الاول ١٩١٨م، ع ٢٣٢، ١٩١٨م، ع ٣٧٣، نيسان ١٩٢٠م، ع٢٨٢، اذار ١٩١٩م، ع٤٦٤، آذار ١٩٢١م.

(٢) القبلة، ع ٢٣٧، كانون الاول ١٩١٨م، ع ١١١، أيلول ١٩١٧م، ع ٤٦٤، آذار ١٩٢١م، ع ٥٠٩، آب ١٩٢١م.

ودائرة الطابو (تسجيل الأملاك والأراضي): وتضم مأمور الطابو وكاتب الطابو.

بالإضافة لدائرة المعارف، ويترأسها مدير المعارف أو معتمد المعارف وله مساعدوه في كل مدينة، للإشراف على شؤون التعليم(١).

أما دائرة البرق والبريد فتضم عدداً من الموظفين وهم، مفتش خطوط البرقية، ومدير البرق والبريد، ومأمورا البرق، وشاويش البرق وهم ثلاثة أو أكثر، وموزعا البرق، وموزع البريد(٢).

وقد أسست دائرة الشرطة: وتضم قائد الشرطة ومساعده، ومانع (ثلاثة خيالة ومشاة)، ووكيلاً، ويساعد الشرطة عدد من الجنود(٣).

ثم استحدثت الحكومة الهاشمية دوائر بلدية في المدن الحجازية الرئيسة، وجميعها تتبع لرئاسة البلدية في العاصمة «مكة»، ويسمى المسؤول عن كل بلدية رئيسا للبلدية وله معاون يساعده في أعمال البلدية. وقد حظيت بلدية مكة باهتمام كبير من قبل الحكومة، حيث استحدثت دائرتين فرعيتين مستقلتين في أعمالها تتبعان إداريا لبلدية مكة، ولكل منهما مجلس خاص يضم رئيس الدائرة وأعضاء بعدد الحارات التابعة لها(٤).

---

(١) القبلة، عدد ١٦ تشرين الأول ١٩١٦م، ع ٢٥٠، ١٩١٨م. انظر محمد بهجت البيطار، الرحلة النجدية الحجازية، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٦٧، ص ٣٧.

(٢) القبلة، عدد ٤٦٩، آذار ١٩٢١م، ع ٤٥٢ ، كانون الثاني ١٩٢١م، ع ٢٣٧، كانون الأول ١٩١٨م.

(٣) القبلة، عدد ٢٣٧، كانون الأول ١٩١٨م .

(٤) القبلة، عدد ١٠٤ أب ١٩١٧م، عدد ٤٦٩، آذار١٩٢١م، ع٣٢٠ ، تشرين الأول ١٩١٨م، ع ٥٨٩ ، آذار ١٩٢٢م، ع١٤، أيلول ١٩١٦م، ع ٣١٨، أيلول ١٩١٩، ع١٦٦، آذار ١٩١٨م، ع١٧٧، آذار ١٩١٨م، انظر: محمد عمر رفيع، مكة في القرن الرابع عشر الهجري في «المنتقى في أخبار أم القرى» تحقيق وتعليق محمد عبد الله مليباري، ط١، ١٩٨١م، ص ٢٧٠.

ولقد قامت الحكومة بتطوير البلديات بموجب «قانون البلديات» الذي صدر في سنة ١٩٢١م حيث تم بموجبه تقسيم بلدية مكة إلى ثلاث دوائر:

- الدائرة الأولى في القسم الجنوبي من مكة.
- الدائرة الثانية في القسم الشمالي من مكة.
- الدائرة الثالثة وهي الدائرة الرئيسية تقع وسط مكة.

ولكل دائرة استقلالية في أعمالها، مع ارتباطها إداريا مع البلدية الأم وهي الدائرة الثالثة.

أما بخصوص موظفي الدوائر فهم الرئيس وأربعة أعضاء، وعدد من مشايخ المنطقة، وعدد من كتاب القرارات، والمفتشين، وأفراد الدرك (شرطة البلدية) [١].

أما الدائرتان الشمالية والجنوبية فتعقد اجتماعاتها في الدائرة الوسط (الدائرة الرئيسية).

وتتولى البلدية الرئيسية إمداد الدوائر برواتب موظفيها، وتزويدها بما تحتاجه من لوازم وأثاث، وإبداء الرأي حول أي مسألة تواجهها ولا تجد لها حلا[٢].

وتناط بدوائر كل البلديات مجموعة من الأعمال منها متابعة النظافة، ومراقبة المتاجر والموازين والأسعار، ومتابعة الإنارة، والنظر في طلبات المواطنين المتعلقة بالبناء والتعمير وفرض الرسوم على المهن المختلفة كالداليات (الجامع بين البائع والمشتري من يعرض على الناس ثمن ما يباع بالنداء على قارعة الطريق)، والذبيحيات، (المكان الذي

---

(١) القبلة، عدد ١٧٧، آذار ١٩١٨م.

(٢) نفسه.

يتم فيه الذبح من الأغنام والأبقار وغيرها وهي بمثابة المسلخ في وقتنا الحاضر) والحلقات (المحل الذي تباع فيه البضائع بالجملة) وغيرها.

ولقد نص قانون البلديات على تشكيل هيئة لكل بلدية تضم كلا من الرئيس وأعضاء يتراوح عددهم بين إثنين وعشرة أعضاء[1]، وللرئيس أن يفوض نائبه في حال غيابه بعذر مقبول، والحق في القيام بجولات تفتيشية لمراقبة الأسعار والموازين، وفرض الغرامات على المخالفين بمقدار خمسمائة قرش، ووضع ختم الدائرة على الموازين والمقاييس مقابل خمسة قروش. ولا يحق اتخاذ أي إجراء إداري أو مالي دون الرجوع إلى الرئيس المباشر له كما لا يجوز له صرف أي مبالغ مالية دون علم الهيئة[2]، ومن صلاحياته عقد اجتماعات أسبوعية بحضور موظفي البلدية ووجهاء البلدة من أجل تحديد أسعار المواد الغذائية. ومن صلاحياته النظر في القضايا والدعاوى الموجهة من دوائر الحكومة او الدوائر الفرعية واتخاذ الإجراء اللازم بعد عرضه على الهيئة واخذ الموافقة عليه. والنظر في الطلبات المقدمة من المواطنين بشأن البناء والتعمير وتحويلها للمهندس المختص من اجل الكشف وتحديد الرسوم المتعلقة بذلك، مع مسؤوليته عن كل الأمور المتعلقة بدائرته.

كما نص القانون على أن تعقد هيئة البلدية[3] اجتماعات يومية لمناقشة كافة احتياجات الدائرة. وتقوم بإبلاغ الرئيس بكل ما تقتضيه المصلحة العامة والوظيفة.

أما واجبات محاسب البلدية[4] فتتلخص في تسجيل مصروفات وايرادات الدائرة اليومية والتصديق على المعاملات المالية بعد اطلاع الهيئة العامة عليها. وتقع على

---

(١) القبلة، العدد نفسه، عدد ٥٣٢ ، تشرين الثاني ١٩٢١م .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

عاتقه مسؤولية كافة الأمور المالية في الدائرة لا سيما الصادرة عن مأموري المالية والمعاملات.

وطبقا للقانون يقوم امين الصندوق[1] بتسلم واردات الدائرة وصرف ما يقرر صرفـــه ولا يعتبر مخـــولا بصرف واستلام المبالغ دون عرضها على الرئيس والمحاسب. ويتولى كاتب الهيئة[2] كتابة كل الأعمال والقرارات الصادرة من الرئيس. ويتولى كاتب المحاسب[3] تسجيل المعاملات المعروضة على المحاسب في السجل اليومي. ويقوم المفتش[4]بالتفتيش على نظافة المحلات وانارتها وصيانتها، ومراقبة الأسعار والتفتيش على الاسواق.

أما مهندس البلدية[5] فإن مهمته كانت تتلخص في الكشف عن الانشاءات ومتابعة اعمال البناء، والكشف عن مدى صلاحية الموقع المراد تعميره، ويقوم بإعداد تقرير نهائي بذلك ويبلغ رئيس دائرته بذلك وهو معرض للمساءلة القانونية حال قيام أعمال البناء أو ما شابههما دون علمه او لإهماله في أداء واجبه.

كما حدد القانون واجبات درك البلدية[6] وهي متابعة قرارات وإجراءات وأعمال الدائرة.

والمتابع لتنظيم الجهاز الاداري اثناء تولي الشريف الحكم في الحجاز يلاحظ ان هناك تنظيماً واضحاً ولافتاً رغم الافتقار إلى المعلومات الرسمية الكافية للتقسيمات الإدارية فلم نجد قانوناً رسمياً أو ما شابهه بهذا الشأن. بيد أن الملاحظ في تلك الفترة،

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

عدم وجود متصرفيات في التقسيم الاداري لحكم الشريف وإنما أصبحت تسمية «القضاء» تطلق على مختلف الوحدات الادارية كبيرها وصغيرها، دون تمييز وهذا ما نلمسه من خلال التعيينات التي كانت تصدرها بالعديد من القائمقاميات على مختلف المدن الحجازية[1].

ومع أن التسمية الأخيرة لم تكن تعني تشابه المدن من حيث أهميتها وحجمها فإنه يمكن القول ان التقسيمات السابقة ظلت عموماً ومن حيث الجوهر متبعة في العهد الحالي فالقائمقام في عهده كان على درجات (قائمقام الدرجة الاولى) كقائمقام مكة وجدة ونحوهما من المدن الرئيسية والذي لقب (صاحب الكمال) وقائمقام الملحقات ويقصد بها المدن الثانوية، والملقب (بصاحب النباهة)، فبدون شك أن هذا المنصب بنوعيه كان يعني محافظ المتصرفية وقائمقام القضاء كما كان في العهد العثماني، فضلاً عن بقاء الناحية ضمن التقسيمات الادارية في عهده، كما يتضح من الاشارات القليلة بهذا الشأن.

(١) القبلة، ع٤٢٩، تشرين الأول ١٩٢٠، ع ٢٧٣، نسيان ١٩١٩، ع ١٥٠، شباط ١٩١٨، ع٢٥٩، شباط ١٩١٩، ع٢٨٠، مارس ١٩١٩، ع ٢٧٤، نيسان ١٩١٩، ع١١٢، أيلول ١٩١٧، ع٢٣٧، كانون الأول ١٩١٨، ع٥١، ٢ كانون الأول ١٩١٧.

الاوضاع المالية والاقتصادية

أولى الشريف حسين بن علي النظام المالي والاقتصادي جل اهتمامه، حيث عمل على تنظيم كل من النقود، والواردات، والزراعة، والصناعة، والتجارة، والنقل والمواصلات، والاتصالات.

أولا: النقود:

عندما تولى الشريف حُكم الحجاز رغب في توحيد عملة البلاد مستكملا بذلك مرحلة الاستقلال[1]، وإظهار كيانه، فأمر بتأسيس دار لسك النقود أطلق عليها اسم «دار الضرب الهاشمية» [2]، وقد ظهرت في عهده النقود التالية :

١. النقود الذهبية[3] عام ١٩١٦م، وهي تشتمل على الدينار الهاشمي الذي طبع على احد وجهيه الحسين بن علي ملك البلاد العربية، مما أثار غضب الانجليز وبعض المنافسين، الذين ألزموه بتغيير العبارة إلى «الناهض بالبلاد العربية».

٢. النقود الفضية وتشتمل على الريال الهاشمي الفضي وربع الريال، وقد قام الشريف بجمع الريالات المجيدية العثمانية من البلاد وأعاد طبعها باسم الريال الهاشمي[4].

---

(1) Admiralty War staff ،Intelligence Division A hand Book of Arabia, May 1916, vol, 1, p 105.

(٢) عبد العزيز صبري بك، تذكار الحجاز، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٣٠٤.

(٣) رفيع، المرجع السابق، ص ٢٦٧.أنظر: حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٨- ١٠٩.

(٤) نفسه.

٣. النقود النحاسية، عمل الشريف على جمع النقود النحاسية الموجودة في المطعم العثماني للفقراء والمعروف بتكية السيدة فاطمة وقام بإعادة صهرها وإنتاج عملة نحاسية منها القرش، والبارة[١] وعملة صغيرة يطلق عليها الهللة[٢].

ثانيا : الواردات:

كانت الواردات التي تأتي للخزينة تقسم إلى:

أولا: الضرائب والرسوم[٣]:

وقد اشتملت على جميع مرافق وأنشطة المواطنين والتي يمكن تصنيفها بما يلي :

١. الأموال المحصلة من الرسوم المفروضة على الحجاج خلال موسم الحج:

- رسم التصديق على جوازات سفر الحجاج، وقد قدرتها الحكومة بعشرة قروش للحاج الواحد اقل مما كان مفروضا إبان الحكم العثماني والذي قدر

---

(١) القبلة، عدد ٤٧٦، نيسان ١٩٢١م، ع٥٣٤، ١٤تشرين الثاني ١٩٢١، ع٥٦٩، ١٦ آذار ١٩٢٢، ع ٥٢٠، ١٦أيلول ١٩٢١، ع ٥٢٣، ١أيلول ١٩٢١م، ع٥٧٧، ١٣نيسان ١٩٢٢م، ع ٣٨٨، آذار ١٩١٩م، ع ٤٦٨، ١٢ آذار ١٩٢١، ٥٢٢، ٣ تشرين أول ١٩٢١، ع ٤٥٦٤، ٧ شباط ١٩٢١، ع ٥٨٢، ١ آذار ١٩٢٢، ع ٥٣٣، ٣١ تشرين أول ١٩٢١، ٤٣٥، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠. والقرش أنصافه (نصف قرش) وأرباعه وأثمانه. انظر نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٨-١٠٩. ويلاحظ أن القرش ظل كما كان في العهد العثماني ينوعيه العادي (ويساوي عشر بارات)، وقرش الصاغ (ويساوي ٤٠ بارة)، والصاغ هو النقد المستخدم للحسابات الرسمية أثناء حكم الحجاز، إضافة للبارة، علماً أن كل ٥ بارات كانت تساوي فلسين تقريباً. انظر عدد ٤٧٦، نيسان ١٩٢١م، ع٥٣٤، ١٤تشرين الثاني ١٩٢١، ع٥٦٩، ١٦ آذار ١٩٢٢، ع ٥٢٠، ١٦أيلول ١٩٢١.

(٢) القبلة، عدد ٢٨٨، آذار ١٩١٩، و ٥٧٧ نيسان ١٩٢٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الضرائب والرسوم والطوابع أنظر الملحق رقم (١).

بأربعين قرشاً، وهذا ما يفسر قيام الحكومة الحجازية بفرض الرسم على كافة الحجاج صغيراً أو كبيراً، غنياً أو فقيراً، امرأة أو رجلاً[1].

- رسوم الحجر الصحي «عائدات الكرنتينة» [2] وقدرتها الحكومة بسبعة وثلاثين قرشاً.
- رسوم البلدية، وقد قدرت بقرشين عن كل حاج لقاء نقله بواسطة الناقة من جدة إلى مكة أو العكس[3].
- رسم المطوف، حيث يدفع الحاج نصف قرش.
- رسم النقل من المدينة إلى مكة أو العكس وتقدر بخمسة عشر قرشاً، منها ستة قروش للجمال، والباقي للحكومة.
- رسوم الخدمات المقدمة للحجاج من قبل أهالي مكة.
- ولأهمية موسم الحج بالنسبة للحكومة أصدرت نشرة كاملة توضح أسعار كافة الخدمات المقدمة لهم منعا للتلاعب[4].

٢. رسوم البريد والبرق والطوابع:

كانت الحكومة الحجازية تحصل على بعض أموال الرسوم المفروضة على المراسلات البريدية، حيث كانت أجور الرسائل والمواد المرسلة بين مدن الحجاز اثنتي عشرة بارة لما كان وزنه خمسة وعشرين غراما، وكل زيادة في الغرام تزيد البارة، أما

---

(١) القبلة، عدد ٢١٠، آب وأيلول ١٩١٨م.

(٢) الكرنتينة: هي عبارة محاجر صحية طبقتها الدولة لمنع انتشار الأمراض المعدية، القبلة، عدد ٣٨٨، آذار ١٩٢٠ م، ع ٤٥٦، شباط ١٩٢١م. انظر: الأنصاري، المرجع السابق، ص ٢٢ـ ١٢٧. F.O.882/23 Hejaz Post War Finance.24/431919، p، 105.

(٣) القبلة، عدد ٤٦٨، آذار ١٩٢١م.

(٤) نفسه.

أجور البريد بين مدن الحجاز فقد حددت بقرش واحد فقط وفرضت الحكومة ثماني بارات على الأوراق المكشوفة والبطاقات بين مدن جدة ومكة والطائف، وعشرين بارة للمدن الأخرى، ولكل مائة غرام من المجلات والجرائد الداخلة فرضت أربع بارات، وثماني بارات عن كل غرام مرسلة للخارج[1].

وقد فرضت الحكومة رسوما مضاعفة على المواد المرسلة بدون واسطة، حيث تدفع ثمنها مناصفة بين دائرة البريد وبين من كشف المادة المرسلة وتغريم الأشخاص المراسلين من مائة إلى خمسمائة قرش، تتضاعف بتكرار المخالفة، حتى الرسائل التي تحفظ يدفع صاحبها مبلغ أربعين قرشاً سنويا، أو عشرين قرشاً لنصف سنة، حيث تحفظ الرسالة الوارد إليه في صندوق خاص في دائرة البريد[2].

أما إيرادات أجور البرقيات للمشتركين فقد كانت سنويا ثمانين قرشاً للمشترك أو أربعين قرشا لنصف السنة، او عشرين قرشاً لثلاثة أشهر، أو سبعة قروش للشهر الواحد، أما البرقية المستعجلة فرسومها ثلاثة أضعاف البرقية العادية[3]، وتدفع مقدما للموظف المختص بموجب سند، حيث يزيد الرسم بزيادة الكلمات، ويقوم بدفع رسم قيمة عشر كلمات بشكل اختياري إذا أراد التأكد من وصول برقيته إلى الجهة المطلوبة في الوقت المحدد[4].

أما أجور المكالمات فقد كانت تقدر بثلاثة قروش لكل ثلاث دقائق، قابلة للزيادة بزياد الدقائق[5].

---

(١) القبلة، عدد ٤٦٨، آذار ١٩٢١م.

(٢) القبلة، ع ٧ نيسان ١٩١٧، ع ٦٢٤، آذار ١٩١٧.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) القبلة، ع ٧ نيسان ١٩١٧.

وقد بلغت إيرادات البريد والبرق لعام ١٩٢٠م حوالي مليوني قرش، باستثناء أجور برقيات الدوائر الحكومية، والقنصليات الأجنبية التي بلغت إيراداتها نحو مليونين إلا ربعاً لعام ١٩٢١م، والتي قدرت بمليونين إلا مائة قرش[١].

وأما بالنسبة للطوابع التي تعد مهمة في الدولة فقد أصدرت الحكومة طوابع خاصة بها تحمل اسم الحكومة الهاشمية[٢]، وقد رسمت على الطوابع الهاشمية النقوش العربية، والزخرفة الشرقية، وحدد الطابع بطول أربعة سم، وعرضه اثنان وربع سم، وكتب عليه في الأعلى «بريد حجازي» وفي وسطه مكة المكرمة، وفي الأسفل سعر الطابع مع ذكر السنة، أما من حيث اللون فقد كانت الطوابع عنابية اللون.

وكانت الطوابع بفئات نقدية مختلفة من القرش إلى القرشين، وتنقسم إلى طوابع خاصة بالمعاملات الرسمية في الدولة وطوابع خاصة بالمعاملات والسندات والإعلانات[٣]، وتقسم الرسوم المفروضة على طوابع المعاملات إلى قسمين[٤]: رسوم مقطوعة ومحددة ومفروضة على المعاملات حسب أهميتها، ورسوم نسبية تقدر في ضوء نسبة المبالغ المفروضة على هذه المعاملات.

ثانيا : وإرادات البلديات والرسوم المختلفة:

فرضت البلديات المنتشرة في المدن الحجازية رسوما على الخدمات والمرافق الاقتصادية المختلفة التي تقدمها لمواطنيها، وهي كما يلي:

أ. الرسوم المحصلة من صيد السمك.

---

(١) القبلة، عدد ٥٢٧، تشرين الأول ١٩٢١م .

(٢) رفيع، المرجع السابق، ص٢٧٠ .

(٣) القبلة، عدد ١٨ تشرين الاول ١٩١٨م .

(٤) انظر قانون رسوم الطوابع، القبلة، عدد٤٣٤، تشرين الثاني١٩٢٠م، عدد٥٣٥، تشرين الثاني ١٩٢١م.

ب. الرسوم المحصلة من مستلزمية القنطارية[1].

ت. الرسوم المحصلة من الذبائح.

ث. الرسوم المحصلة من المواد الغذائية المستهلكة والمنتجة سواء المحلية أو المستوردة.

ج. الرسوم المحصلة من مستلزمي الحلقات[2].

وقد بلغت إيرادات بلدية مكة من الرسوم المفروضة على المواد الغذائية المنتجة والمستهلكة ١٥٩٨٥٠ قرشا في عام ١٩١٨م [3]، زادت في عام ١٩١٩م إلى ٢٦٥٢٠٠ قرش[4]. وفي عام ١٩١٨م كانت واردات بلدية جدة من الرسوم المفروضة على الذبائح نحو ستة ملايين قرش[5].

---

(١) القنطارية: ضريبة تؤخذ على القنطاروهو عبارة عن معيار للوزن مختلف مقداره من دولة لأخرى إلا أنه يساوي مئة رطل في جميع الأحوال. والرطل يساوي في مكة (٤٠٨، ٢٣) غرام انظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، ج٥، ص١٨. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية. د.كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص ٣٠، ٤٠.

(٢) الحلقات: من الألفاظ المستخدمة في السعودية، وتعني المحل الذي يبيع بالجملة، استفسار من السفارة السعودية.

(٣) القبلة، عدد ٢٢٢، تشرين الأول ١٩١٨م.

(٤) القبلة، عدد ٤٦٨، آذار ١٩٢٠، ع ٣٢٨، تشرين الثاني ١٩١٩م، ع٥٣٤، تشرين الأول ١٩٢١م، ع ٣٢٠، ايلول ١٩٢١م. قدرت رسوم الحلقات في مكة سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م ١٥٠ و١٢١ قرشاً، القبلة، ع ٢٢٢، تشرين الأول ١٩١٨، وارتفعت في ٣ تشرين الثاني ١٩١٩الى١٠٠و١٣١ قرشاً، القبلة، ع ٣٢٨، ٣ تشرين الثاني ١٩١٩، وارتفعت في آذار ١٩٢١ الى ٩٤٦٠٠ لكل ستة اشهر أي ١٨٩.٢٠٠ للعام المذكور، القبلة، ع ٤٦٨. ٢١ آذار ١٩٢١.

(٥) القبلة، عدد ٢٢٤، تشرين الأول ١٩١٨م.

ومن الرسوم الأخرى التي كانت تفرضها البلديات ما يعرف برسوم الشاقدف والشباري[1] والتي أسست لها بلدية جدة مصلحة خاصة تسمى «مصلحة الشاقدف والشباري»، بحيث تستوفي البلدية بعض الرسوم المترتبة على ملتزمي الشاقدف والشباري من خلال طرح المزاد للأهالي والتي تبدأ بخمسة في المائة، وقد حددت البلدية قيمة استخدام الشاقدف والشباري للحجاج منعا للتلاعب بالأسعار[2].

ثالثا : رسوم الجمارك والموانئ:

في المدن الساحلية كجدة وينبع فرضت الحكومة رسوما على السفن الراسية في هذه الموانئ لقاء ما يقدم من خدمات، وكذلك لقاء حركتي الاستيراد والتصدير. وقد أسست في جدة مديرية خاصة تعرف باسم «مديرية الرسوم والكمارك»، وقد حدد الشريف حسين رسوم الكمارك بقيمة ستمائة ألف قرش شهريا[3].

رابعا: إيرادات مختلفة:

تتمثل بما يلي:

- أموال محصلة من العقارات والايجارات.

---

(١) الشاقدف او الهودج: مركب يوضع على ظهور الإبل لنقل النساء من مكان الى آخر، الشباري: كرسي مصنوع من النخيل يركب فيه الحاج أثناء الطواف، انظر محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، اوفسيت منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، عن طبعة المطبعة الخيرية مصر، ١٣٠٧هـ، ج ٦، مادة الشاقدف، ص١٥٩ .

وقد ارتفع هذا المبلغ الذي يقدر بـ (١٨٠.٠٠٠) جنيه سنويا الى (٢٠٠.٠٠٠) جنيه في عام ١٩٢٢ انظر القبلة، عدد ٥٧٧، ١٣ نيسان ١٩٢٢م، القبلة، عدد ٢٢٤، تشرين الأول ١٩١٨م .

(٢) القبلة، عدد ٤٧٦، نيسان ١٩٢١م، ع ٥٦٩، آذار ١٩٢٢م، ع ٥٨٢، آذار ١٩٢٢م .

وقد ارتفع هذا المبلغ الذي يقدر بـ (١٨٠.٠٠٠) جنيه سنويا الى (٢٠٠.٠٠٠) جنيه في عام ١٩٢٢ انظر القبلة، عدد ٥٧٧، ١٣ نيسان ١٩٢٢م، القبلة، عدد ٢٢٤، تشرين الأول ١٩١٨م .

(3) O.882/23 Hejaz Post War Finance.24/4/1919 ،p ،105.

- ضريبة الدخان[1].
- أموال محصلة من الجرايات.

وكانت الحكومة الحجازية تتقاضى أموالا من العقارات التابعة لها، ومما تؤجره من بساتين كبستان عين زبيدة، والذي بلغت قيمة إيجاره نحو ستمائة واثنين وثمانين قرشا ونصف القرش [2].

أما فيما يخص ضريبة الدخان فقد كانت تقدر بأربعين قرشاً لجميع أنواع الدخان، أما الرسوم المطلوبة من الجرايات، فالدولة تخصصها للمسلمين المقيمين في الحجاز حيث تحصل عليها من المسلمين خارج الحجاز، وفي حال تغيَّب مستحقوها فترة خمسة عشر يوما إلى عشرين يوما فان الحكومة تبسط يدها على هذه المبالغ [3].

خامسا: المساعدات المالية البريطانية:

وفي إطار مراسلات الشريف الحسين مع هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر والمعروفة باسم مراسلات الحسين ـ مكماهون (١٩١٥ ـ ١٩١٦م) تم الاتفاق على أن تقدم الحكومة البريطانية مساعدات مالية للحسين مقابل وقوفه إلى جانبها خلال الحرب العالمية الأولى كما سوف نرى[4]، وقد بلغت الأموال المدفوعة من بريطانيا إلى الحجاز نحو أحد عشر مليون جنيه من عام ١٩١٦م ـ ١٩٢٠م، أما مقدار ما كانت تتسلمه الحكومة شهريا من هذه المساعدات فيختلف من سنة إلى أخرى، فقد

(١) القبلة، عدد ٤٣٧، كانون الأول ١٩٢٠م.

(٢) القبلة، عدد ٥٣٨، تشرين الثاني ١٩٢١، ٤١٥، أيلول ١٩٢٠.

(٣) نفسه.

(٤) انظر طلاس المرجع السابق، ص ٦٥٦ ـ ٧١٤. انظر الدسوقي: المرجع السابق ص ٢٢٧-٢٣٠.

تقاضت حوالي مائة وخمسة وعشرين ألف جنيه شهريا[1]، ابتداءً من شهر آب لعام ١٩١٦م وحتى آذار ١٩١٧م، ارتفع إلى مائة وخمسة وأربعين ألف جنيه، ثم مائتي ألف جنيه خلال شهر نيسان من نفس العام[2].

وقد طالب الشريف حسين في نفس العام الحكومة البريطانية بزيادة المبلغ إلى مائتين وخمسة وعشرين ألف جنيه ولمدة خمسة أشهر، فوافقت بريطانيا[3]. لكن مع تباشير نهاية الحرب أعادت بريطانيا النظر في المساعدات المالية المقدمة للشريف، حيث قللتها إلى مائة وعشرين ألف جنيه عام ١٩١٩م[4]، بعد أن كانت محددة بمائة وثلاثين ألف جنيه حسب ما نصت عليه المراسلات.

ثم أجرى الشريف مباحثات مع المعتمد البريطاني في جدة ولسون مؤكدا ضرورة التزام الحكومة البريطانية بدفع المساعدات والأموال المتفق عليها لمدة سنتين، على أن يلتزم بالاعتماد على الدخل المحلي من خلال فرض الضرائب على الأهالي[5].

لكن الحكومة البريطانية بدورها لم تأبه بما تحدث به الشريف بل خفضت مساعداتها المالية إلى نحو مائة ألف جنيه شهريا، في حين أبدى المعتمد البريطاني ولسون مخاوفه وخطورة اتخاذ بريطانيا هذا القرار ونصحها بإعادة النظر فيه، ومع هذا خفضت هذا المبلغ ليصبح ثمانين ألف جنيه، لكن ولسون أصر على إبقاء المبلغ كما هو «مائة ألف جنيه شهريا» كحل وسط، وقد وافقت بريطانيا على صرف المبلغ المقترح لغاية شهر آب

(١) انظر حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٨٠ ـ ٢١٠.

(1) F.O.882/23.Note on King Hussein ‹subsidy.1919 ‹p 114

(٣) انظر جريدة الف باء الدمشقية، العدد ٥٠٠، ٣ أيار ١٩٢٢م.

(٤) وهبة، المرجع السابق، ص ١٨٠ ـ ٢١٠، F.O.822/3.Wilson to Wing at.Jeddah.1918. Subsidy, .p 182-184.

(5) F.O.882/23.Note on King Hussein ‹subsidy.1919 ‹p 111.

١٩١٩م[١]. ثم خفضته إلى خمسة وسبعين ألف جنيه تدفع لشهري آب وأيلول، وبعدها خفضته إلى خمسين ألفا في تشرين الأول، وخمسة وعشرين ألفا في تشرين الثاني، ثم أوقفتها عند هذا الحد[٢].

واقترح المندوب السامي البريطاني بدوره على حكومته صرف مبلغ مائة ألف لشهري آب وأيلول بسبب الضائقة المالية التي تعاني منها المملكة خلال موسم الحج، لكن بريطانيا أبقت المبلغ على خمسة وسبعين للشهرين. وبهذا وصلت قيمة المساعدات المالية البريطانية للشريف الحسين خلال الفترة من نيسان ١٩١٩م إلى ٣١ آذار ١٩٢٠م نحو خمسة وثمانين ألف جنيه شهرياً تقريبا[٣].

وكان من البديهي أن تستمر المساعدات البريطانية المقدمة للحسين طيلة مدة الحرب بحكم مصالحها المعروفة، مقابل قيام الشريف بتحريك ثورة ضد الأتراك لإضعاف قوة الأتراك العسكرية أثناء الحرب. والمتابع للسياسة البريطانية: يجد أنه بعد أن بدت تباشير انتهاء الحرب تلوح بالأفق أخذت تعيد النظر في سياستها المالية تجاه الحسين، حين اجتمع ولسن (المعتمد البريطاني في جدة) مع الحسين بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٨م وتشاور معه بموضوع الإعانات المالية ومطالبته إياه بتقديم تقرير مفصل عن متطلبات حكومته لفترة ما بعد الحرب، بما في ذلك لائحة خاصة بالواردات والصادرات في ظل الإدارات المختلفة. ورداً على ذلك أجاب الحسين معتذراً عن تقدير ما يحتاجه فيصل في سوريا دون الرجوع إليه، مع الأخذ بنظر الاعتبار صعوبة

---

(1) F.O.882/23 The Hejaz Subsidy.1919.For Arab Bureaut.p .181 .p 224.Arab Bureau. F.O.882/23 Hejaz Subsidy.

(٢) جريدة ألف باء الدمشقية، عدد ٥٠٠، ٣ أيار ١٩٢٢م .

(٣) وهبة، المرجع السابق، ص ١٨٠ - ٢١٠، تشير جريدة الف باء الدمشقية، عدد ٥٠٠، ٣ أيار ١٩٢٢م، إلى أنه لم يتسلم سوى سلفة نقدية مقدارها خمسة الاف جنيه في شهر آب ١٩٢٠ على أن يعيدها الى بريطانيا .

استيفاء الضرائب في سوريا دون أن تمر سنة على الأقل على انتهاء الحرب لاستعادة نفسها مما حل بها. أما بالنسبة لولسن فقد وعد بتقليص كبير في المعونة بعد مرور شهر على احتلال المدينة، وحددت الإعانة بمائة وثلاثين ألف جنيه كمبلغ ضروري يتسلمه بعد الحرب شهريا وهو المبلغ الذى حدد في المراسلات [1] كتعويض للاحتلال البريطاني المؤقت لمدينة البصرة وذلك ما أجاب به على استغراب ولسن لجهله بهذا الاتفاق الذي تثبت من صحته فيما بعد.

وامتدادا لما تبنته بريطانيا في سياستها المالية مع الحجاز خصوصا بعد انتهاء الحرب بدأت بتقليص المساعدات لأقل مما هو متفق عليه. ولم يكن بوسع الحسين بعد إبلاغه بالأمر سوى التعبير عنه بالامتعاض وأن بريطانيا قادرة على منحه ما يحتاج لكنه عاجز عن الاستمرار في تنفيذ مهامه كحاكم فالإعانات التي تدفع لتغطية الأمور العسكرية ضرورية أيضا لمواجهة متطلبات الإدارة والتطوير والنهوض بالبلاد.

إن السياسة المالية التي اتبعتها بريطانيا مع الحسين لا تخرج عن كونها جزءاً من سياستها العامة وتنعكس عليها ما تنعكس على السياسة العامة من مواقف، فقد أخذت حصة الحسين من الاهتمام البريطاني بالتضاؤل كلما وجدت بريطانيا إمكانية الاستغناء عن خدماته وبالذات بعد انتهاء الحرب في وقت أخذ فيه نجم ابن سعود بالتألق والظهور خصوصاً بعد انتصاره الذي سجله على الجيش الحجازي في معركة تربة عام ١٩١٩م[2].

---

(١) الدسوقي، المرجع السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) عبد الله بن الحسين، مذكراتي، ص ٢٠٥-٢٢٤. انظر أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٣١٤-٣١٥. هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جودة، بغداد، مطبعة السريان، ١٩٤٥، ص١٣٣.

وهكذا اخذت الخلافات تسود علاقة الحجاز وبريطانيا مما كان له مردود سلبي على موقفها تجاه الحسين بما في ذلك موقفها من المساعدات المالية التي استخدمتها كورقة رابحة لإذلال حليفها. ولقد استمرت القطيعة المالية للحسين حتى تمت مناقشتها في مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١م الذي ترأسه تشرشل وزير المستعمرات، لكن الموقف لم يتغير لصالحه بقدر ما تغير لصالح ابن سعود، الذي وجد كل الدعم من الحكومة البريطانية من خلال مندوبها السامي في العراق السير (برسي كوكس) الذي دافع بكل قوة في المؤتمر أثناء مناقشة الإعانات المالية، حيث وصف ابن سعود بأنه يتحلى بالتواضع ولم يدع السيادة او الحقوق التي تقتضي مضاعفة إعاناته المالية، فضلا عن حفظه النظام والأمن في بلاده بما في ذلك حمايته طرق القوافل ولهذا أمر كوكس بمنح ابن سعود مساعدات مالية كالتي تخصص للحسين، فوافقت بريطانيا على دعم حليفها الجديد ابن سعود وتم منحه مبلغ مائة ألف جنيه.

لم تكن بريطانيا لتنفق هذه الأموال دون مقابل، وإنما استخدمت أسلوب الازدواجية في السياسة في التعامل مع حلفائها، فهي كما تقدم تخضع بالضرورة لسياستها المرسومة في المنطقة، إذ كان على الحسين الموافقة على سياسة الحلفاء التي خرجوا بها بعد مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩م، ولأنه حافظ على موقفه السابق والمعارض لهذه السياسة، ففي هذه الفترة كان عليه مواجهة شبح الإفلاس الذي تراءى له منذ بداية عام ١٩٢٠م، بعد أن أصبح صرف المساعدات المالية أمرا بعيدا جراء موقفه من هذه السياسة، فقد كانت نظرته للمستقبل أحادية قصيرة المدة وقليلة المفعول، الأمر الذي كان له دوره الرئيسي في تردي الأوضاع الاقتصادية إبان حكمه وانهيار المؤسسات الاقتصادية تدريجيا في سنواتها الأربع المتبقية حتى عام ١٩٢٤م[1].

---

(١) انظر الدسوقي: المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٣٠

ثالثا الزراعة:

منطقة الحجاز شبه صحراوية، مما انعكس على الناحية الزراعية فيها باستثناء بعض المناطق. ومع تولي الشريف حسين حكم الحجاز اهتم بالناحية الزراعية، حيث رفعت حكومته شعار «تسخير قوة المجموع لمصلحة الفرد، وتسخير قوة الفرد لمصلحة المجموع». وفي هذا الخصوص استقدم الشريف لجنة مختصة بالزراعة والصناعة من سوريا عام ١٩١٩م[١]، للقيام بمسح الأراضي الصالحة للزراعة، والعمل على استصلاح الأراضي، والكشف عن المعادن في باطن الأرض.

وبعد أن وصلت اللجنة إلى الحجاز وقامت بالإجراء اللازم رفعت تقريرا للحكومة اوضحت فيه ان الأراضي الصالحة للزراعة اراضي مكة، والطائف، وجدة[٢].اما الاراضي غير الصالحة للزراعة فهي الأراضي الواقعة بين مكة والطائف والاراضي المحيطة بمكة مثل عين زبيدة، وعرفة وشداد والمزدلفة رغم توفر المياه فيها، لكن التربة فيها غير صالحة، وقد اقترحت اللجنة لإصلاح المناطق التي تم مسحها اتباع الوسائل الحديثة في الزراعة[٣].

أما منطقة الطائف زراعيا فقد امتازت بوفرة المحاصيل الزراعية الكثيرة، بسبب توفر المياه من ناحية، والسهول الخصبة من ناحية أخرى مما جعلها أفضل حالا من مكة وقد أكدت اللجنة على استخدام الوسائل الزراعية الحديثة لتحسين الزراعة في الطائف[٤].

---

(١) القبلة، عدد ٣٣٥ ، تشرين الثاني ١٩١٩م .

(٢) القبلة، عدد ٣٦٢ ، آذار ١٩٢٠ م، ع ٣٦٤، آذار ١٩٢٠م، ع ٣٦٩، آذار ١٩٢٠م.

(٣) القبلة، عدد ٣٥٥، شباط ١٩٢٠م..

(٤) القبلة، عدد ٣٥٦، شباط ١٩٢٠م، ع ٣٥٧، شباط ١٩٢٠م، ع ٣٦٠، شباط ١٩٢٠م، ع٣٦٤، آذار ١٩٢٠م.

كما اهتمت حكومة الحجاز بالتعليم الزراعي لخدمة شؤون الزراعة ففي عام ١٩٢٠م انشئت مدرسة جرول الزراعية[١].في منطقة عين زبيدة، والتي اشتراها الشريف الحسين من أحد الكتاب ويدعى محمد أفندي الداغستاني في عهد الشريف عون وقد جاء إنشاء هذه المدرسة بهدف تزويد البلاد بالكوادر الزراعية المدربة[٢]. وكانت تضم ثلاثة صفوف دراسية مع مختبر خاص بها، إضافة إلى حقل في منطقة عين زبيدة للتدريب العملي، وقد كانت المدرسة تعمل وفق برنامج دراسي خاص[٣].

وقد سمح لجميع الطلبة بالتسجيل بهذه المدرسة بعد اجتياز اختبار أعد لذلك لا سيما في دروس الإنشاء، والهندسة، والتاريخ، والحساب، واللغة العربية، والجغرافيا، وقد حددت ساعات الدوام الدراسي اليومي من الساعة السابعة صباحا وحتى الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق.

أما عن المقررات الدراسية في هذه المدرسة فقد كانت الرصد الجوي، والاقتصاد الزراعي، والحشرات المفيدة، والكيمياء، والحشرات، وتربية المواشي، واللغة الفرنسية، والزراعة العمومية، والكيمياء العضوية، والرسم، والجغرافيا، والحساب والدواجن والحكمة، والحيوان، والزراعة التحليلية، والهندسة.

(١) رفيع، المرجع السابق، ص ٣٧١ .

(٢) القبلة، عدد ١٠٩، أيلول ١٩١٩م .

(٣) القبلة، عدد ٣٩٧، تموز ١٩٢٠م .

وكانت الدراسة تقسم إلى قسمين: الأول نظري والثاني عملي[١]، ويقوم بالتدريس مدرسون أغلبهم من المتخصصين من السوريين والمصريين[٢]،ولأهمية هذه المدرسة فقد ألحقتها الحكومة بوزارة المالية[٣].

ومن المحاصيل التي كانت تزرع النخيل بأنواعه المختلفة في كل من مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة والعنب، والتين، والرمان في منطقة الطائف.

رابعا: الصناعة:

أهتمت حكومة الحجاز بالصناعة حيث عملت على إنعاش الصناعة المحلية، والكشف عن بعض المعادن كالحديد والمرمر الجبلي في الطائف[٤]، والعمل على إنشاء مدرسة صناعية، يقوم بالتدريس فيها بعض المدرسين السوريين، لكن هذه المدرسة بقيت حبراً على ورق ولم تنفذ بسبب الظروف الاقتصادية والمالية الصعبة، وكذلك عدم تمكن الحكومة من إقامة صناعة متطورة[٥].

ومع ذلك فقد وجدت بعض الصناعـات البسيطة أغلبهـا صناعات حرفية مثل :

---

(١) القبلة، عدد ٣٥٤، شباط ١٩٢٠م.
(٢) القبلة، عدد ٤٠٤، تموز ١٩٢٠ م، عدد ٣٣٧ ، كانون الأول ١٩١٩م، عدد ٥٥٣، كانون الثاني ١٩٢٢م، عدد ٣٦٩، آذار ١٩٢٠.
(٣) القبلة، عدد ٣٩٧ تموز ١٩٢٠م.
(٤) القبلة، عدد ٣٦٥ ، آذار ١٩٢٠م.
(٥) نفسه.

١. صناعة الأحذية المعتمدة على الجلود والذي منعت الحكومة تصديره للخارج[1].

٢. صناعة الصابون التي كانت تسد حاجة السوق المحلي[2].

٣. صناعة الجلود في منطقة جدة من قبل شركة وطنية متخصصة[3]

٤. صناعات حديدية بسيطة في جدة «دار الصنعة».

٥. صياغة الحلي الذهبية المختلفة من أساور وسلاسل وخواتم وغيرها، وصياغة الفضة في جدة.

٦. صناعة أواني الفخار من أباريق وازيار ومغاريف.. الخ.

٧. زخرفة أخشاب سقوف المنازل والنوافذ، وأبواب وخزائن الكتب والملابس.

٨. عصر الزيوت واستخراجها من السمسم، وكانت المعصرة تدور بالجمال والحمير، كمعصرة ابي الخيول في حارة الشام، وقداف اليماني بحارة الشام، ومعصرة بسوق العلوي[4].

٩. صبغ المنسوجات القطنية في جدة.

١٠. صناعة السفن الشراعية والسفن ذات المجاديف في جدة، والتي كان لها دور كبير في إنعاش اقتصادات الحجاز[5].

---

(١) القبلة، عدد ٦٦، نيسان ١٩١٧م.

(٢) القبلة، عدد ١٧٠، نيسان ١٩١٨م .

(٣) القبلة، عدد ٣٥٩ ، شباط ١٩٢٠م.

(٤) انظر الانصاري: المرجع السابق، ص ٤٥٥ـ ٤٦٥.

(٥) نفسه.

خامسا: التجارة:

عملت الحكومة على تطوير التجارة وتحسينها في مختلف المدن الحجازية لا سيما مدينة جدة باعتبارها المدينة الأم للتجارة والاستيراد والتصدير كونها لا تقع فقط على ساحل البحر الأحمر، بل تعد أهم ميناء على هذا الساحل.

أعمال قام بها الشريف لتطوير التجارة:

١. تأسيس غرفة تجارة هدفها الإشراف على أمور التجارة في الميناء، والإشراف على البضائع التي تصل للميناء، والإعلان عن وصولها، وتحديد مقدارها، وماهيتها للأهالي[١].

٢. تأسيس شركة تجارية هدفها توفير احتياجات السكان من البضائع، وبيعها بأسعار معقولة للتخفيف من احتكار التجار لبعض البضائع المستوردة، وقد اقترح الشريف الحسين ان يكون مقر الشركة في مكة على أن يؤسس لها فرع ثانٍ في جدة، وقد رغبت الحكومة في تحويل هذه الشركة إلى شركة مساهمة للأهالي اذا أرادوا المشاركة، على ان تحدد الحكومة شروط التسجيل[٢].

٣. تأسيس شركة خاصة بالجلود والصوف مهمتها استيراد البضائع، والاتفاق مع التجار على استيراد البضائع المختلفة[٣].

---

(١) القبلة، عدد ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٦م، ع ٢٥٠ ، كانون الاول ١٩١٨م.

(٢) القبلة، عدد ١١٣، أيلول ١٩١٧م .

(٣) القبلة، عدد ٤٦٢ ، شباط ١٩٢١م .

٤. إنشاء شركات بيوت تجارية يديرها بعض التجار للقيام بأعمال استيراد وتصدير للبضائع والسلع[١].

٥. وجود بعض الفروع التجارية للنقل البحري في جدة[٢].

٦. وجود بعض الشركات الأجنبية للتعامل التجاري في الحجاز.

أما عن البضائع التي كانت تصدرها الحجاز فهي التمور والخزف واللؤلؤ والعاج والبخور وتروس السلاحف وصدف اللؤلؤ، اما ما تستورده الحكومة فهو الحنطة والمعادن والزجاج والعطور والسكاكين والصابون والجوخ والمنسوجات القطنية والأرز والسكر والقطن والخشب والعاج وريش النعام، اضافة إلى وجود تجار الرقيق في الحجاز وهم من أجناس مختلفة كانوا يصلون إلى المنطقة عن طريق شرق أفريقيا أو عن طريق موانىء الخليج العربي، وكان الرقيق من ذوي البشرة السوداء ومعظمهم من افريقيا. أما ذوو البشرة البيضاء فكانوا من مناطق أرمينيا وجورجيا ومكران والهند، وكان سعرهم في السوق أعلى من سعر ذوي البشرة السوداء، كما أن معظم الرقيق الأبيض كانوا يأتون من موانىء عُمان إلى داخل إقليم الجزيرة العربية[٣].

وكان بعض الحجاج القادمين للحج يبيعون رقيقهم في الحجاز كما هو الحال عند حجاج الهند والملايو، والواقع أن مراقبة بريطانيا وفرنسا لتجارة الرقيق جعلته أمراً شاقاً وصعب المنال الأمر الذي أدى إلى ارتفاع سعر الرقيق وقد كانت تجارة الرقيق منتشرة في الحجاز عبر الزمن حتى اتخذت بريطانيا في عام ١٩٢٤م موقفاً شديداً تجاه الرقيق في المنطقة إلا أن الشريف حسين كان يعارض تركيا وبريطانيا في منع تجارة الرقيق في الحجاز لهذا لجأت بريطانيا إلى حماية جميع الرقيق الذين يلجأون إلى قنصليتها في جدة.

---

(١) القبلة، عدد ٣٣٤ ، تشرين الثاني ١٩١٩م .

(٢) القبلة، عدد ٢٩٨، تموز ١٩١٩م .

(٣) الانصاري، المرجع السابق، ص ١٨٢.

وبعد محادثات طويلة وافق الشريف على تحرير الرقيق من رعايا بريطانيا إلا أنه في كثير من الأحيان كان يخل بوعده[١].

والحقيقة ان محاربة تجارة الرقيق تعد من أشكال فرض النفوذ البريطاني في الخليج العربي حيث أصدرت حكومة بريطانيا تشريعات وقوانين لمحاربته ومنع الاتجار فيه من عام ١٨٠٨م وفي عام ١٨٣٣م أصدرت قانوناً بتحريم امتلاك العبيد في ممتلكاتها. وقد اتخذت من تجارة الرقيق ومحاربته مدخلاً وذريعة لبسط سيطرتها في المنطقة وكانت مسقط مركزاً مهماً لاستقبال الرقيق من مختلف البلاد وتقوم بتوزيعهم إلى مختلف دول العالم. وقد ورد في المادة التاسعة من معاهدة الصلح العامة، الخاصة بالقرصنة مع زعماء القواسم عام ١٨٢٠م «إن عملية نقل الرقيق رجالاً أو نساء او أطفالاً من سواحل أفريقية أو غيرها في مراكب يعتبر عملاً من أعمال النهب والقرصنة وأن العرب الاصدقاء لن يقوموا بمثل هذا العمل»[٢].

وفي عام ١٨٢٢م وقعت بريطانيا معاهدة مع سلطان مسقط جاء فيها: ان يتعهد السلطان بمنع رعاياه من بيع الرقيق بين شرق أفريقيا والهند على أن تبقى في شرق افريقيا وممتلكات سلطنة عمان، وتعين موظف بريطاني في ممتلكات سلطنة عمان في شرق افريقية لمراقبة هذه التجارة وإبلاغ السلطات عن أية مخالفة لنصوص المعاهدة[٣]. ولزيادة نفوذها في المنطقة بشكل أكثر قوة كانت في عامي ١٨٣٨- ١٨٣٩م. بتعديل معاهدة عام ١٨٢٢م بحيث منح الاسطول البريطاني حق تفتيش المراكب العمانية ومصادرة الرقيق بها وفق حدود ومعاهدة عام ١٨٢٢م[٤].

---

(1) Bullard, Sir Reader. The Camels Must go, London Faber amd Faber, 1961, P. 136

(٢) الدسوقي، المرجع السابق، ص ١١٩.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

وفي عام ١٨٤٥م وقعت بريطانيا معاهدة جديدة مع سلطان عمان الزمت السلطان بمنع تصدير الرقيق من ممتلكاتها الافريقية إلى الآسيوية مع استخدام قوته ونفوذه مع زعماء القبائل في البحر الأحمر والخليج العربي لمنع هذه التجارة إلى أراضيهم مع حق بريطانيا في تفتيش المراكب.

وفي عام ١٨٧٣م وقعت بريطانيا معاهدة مع سلطنتي (مسقط وزنجبار) بعد انفصال الأخيرة عن مسقط عام ١٨٥٧م على إثر وفاة السلطان سعيد وبهذا تكون غير ملزمة بمعاهدة عام ١٨٤٥م ونصت المعاهدة على منع تجارة الرقيق في السلطنتين.

أما فيما يتعلق بساحل عُمان فإنها وقعت اتفاقيات عامي ١٨٣٨- ١٨٣٩م وكذلك في عام ١٨٤٧م تم بموجبها عدم جلب الرقيق داخل أراضي ساحل عُمان وأن يكون للأسطول البريطاني حق تفتيش المراكب ومصادرة الرقيق. وفي عام ١٨٦٠م وقعت معاهدات انفرادية عقدت مع المشايخ كلاً على حدة يتعهد كل واحد منهم بتسليم العبيد الذين يباعون في أراضيه للسلطات الانجليزية في الخليج وتم التأكيد على المعاهدة عام ١٨٧٣م، وفي عام ١٨٦٠م وقعت اتفاقية مع شيخ البحرين تعهد فيها بالامتناع عن تجارة الرقيق مقابل الحماية البريطانية له ولإمارته[١].

وكان من أهم تجار جدة المرموقين السيد عبدالله السقاف، وسعيد باجسير، وعبدالله بن جنيد، وسالم بامحرم، واحمد باعبيد، وقد تميز هؤلاء التجار بكثرة الأسفار طلبا للتجارة والاستجمام، وكانت تجارة جدة تعد تجارة ناجحة بامتياز[٢].

---

(١) أنظر الدسوقي، المرجع نفسه، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) انظر الانصاري: المرجع السابق، ص ٢٧٧ـ ٢٩٤.

سادسا: النقل والمواصلات:

بذلت حكومة الحجاز جهدا كبيرا في النهوض بوسائل النقل والمواصلات إلا أن مشاكل عدة واجهتها وتتلخص في ضعف إمكانات الدولة المادية، وصعوبة تضاريس الحجاز، وعورة الطرق، واتساع المساحة.

ولقد كانت المواصلات البرية في الحجاز تنقسم إلى قسمين:

١. وسائل النقل البري التقليدية التي اعتمدت على استخدام الحيوانات مثل الإبل والخيل والبغال والحمير[١].

٢. سكة الحديد: كانت تربط الحجاز ببلاد الشام وتعرف بسكة حديد الحجاز، وقد أقامها العثمانيون لغايات عسكرية وسياسية، وعند اعلان المملكة اولى الشريف الحسين هذه السكة اهتماماً كبيراً من خلال إصلاح الأضرار التي أصابتها اثناء الحرب العالمية الأولى[٢].

ومن جملة المشاريع التي اقترحت لتحسين النقل بالسكة الحديد ما يلي:

- ربط مدينتي ينبع والوجه بالمدينة المنورة، وقد طرح هذا المشروع على الشريف عام ١٩٢٣م، لكن لم ينفذ، بسبب فقر الدولة ماديا.
- ربط سكة حديد مكة بجدة، وقد عرض كذلك على الشريف في نفس العام لكن الشريف رفضه بحجة ان رؤوس أموال المشروع أجنبية، وانه يخشى من ان يؤدي ذلك إلى التدخل الاجنبي ببلاده، والخوف على معيشة القبائل

---

(١) انظر صبري: المرجع السابق، ص١٧٥ـ ٢١٥م.

(٢) القبلة، عدد ٢٥٠، كانون الاول ١٩١٨م، ع ٢٦١، آذار ١٩١٩م، ع ٢٦٤، آذار ١٩١٩م، ع ٢٧٩، آذار ١٩١٩م، ع ٢٩٠، حزيران ١٩١٩م، ع ٢٩٥، تموز ١٩١٩م، جريدة الاستقلال، عدد ٣٦٥، شباط ١٩٢٤م.

الذين يعتمدون في رزقهم على النقل بواسطة دوابهم، وربما انه كان يخشى من ان يؤدي هذا إلى سهولة انتقال خصومه بسهولة إلى محل اقامته ولعل هذا التخوف كان وراء عدم قبول اقتراح بتأسيس شركة باسم «الشركة الوطنية لسير البواخر والسيارات البرية في البلاد العربية لتحسين قطاع النقل والمواصلات الحجازية» [(١)].

سابعا: الاتصالات:

اهتمت الحكومة بهيكلة هذا القطاع فأصدرت عام ١٩١٧م قانون «تنظيمات البريد والبرق الإدارية» [(٢)] ثم بمقتضاه انشاء الوظائف التالية: المدير العام للبرق والبريد ومدير المحاسبة ومراقب البرق ومأمور التلفون والملازم ومراقب البريد ومامور البريد ومأمور المخزن وموزع البرق ومراقب الموزعين وموزعو البريد وشاويش البرق وقسم المعاملات العمومية.

وقد أضيف لهذا القانون قانون البرقيات عام ١٩١٧م، الذي وافق عليه مجلس الشيوخ في المملكة الحجازية. وأسست كذلك دائرة مركزية لهذا القطاع في العاصمة مكة هدفها الإشراف على الدوائر الفرعية في باقي المدن الحجازية بعد تزويدها بالأجهزة اللاسلكية مثل رابغ[(٣)] والوجه[(٤)] وقنفذة [(٥)] والطائف[(٦)] والعقبة وجدة[(٧)].

(١) القبلة، عدد ٤٠١، تموز ١٩٢٠م .

(٢) انظر نص القانون في «القبلة» في الأعداد من ٧٠ ـ ٧٥، نيسان ١٩١٧م .

(٣) القبلة، عدد ٣٣، كانون الاول ١٩١٧م .

(٤) القبلة، عدد ٦٢، اذار ١٩١٧م .

(٥) القبلة، عدد ٥٧٣، تموز ١٩٢٢م .

(٦) القبلة، عدد ٢٧٨، آذار ١٩١٩م، ع ٢٨٠، آذار ١٩١٩م .

(٧) القبلة، عدد ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٩م .

وقامت الحكومة بتعيين الموظفين الفنيين والمختصين بأمور البرق والبريد، كما عملت على تأسيس مكتب رئيسي داخل الدائرة المركزية يهدف إلى تدريب الكوادر البشرية على أمور البرق والبريد، اضافة إلى استحداث سجلات خاصة ومدير يعرف باسم «مدير البريد والبرق» من أجل تنظيم هذا القطاع[١].

أما بخصوص اجهزة الهاتف فقد وجدت في مكة عامي ١٩١٦و١٩١٧م خمسة اجهزة[٢]، زادت إلى اثنين واربعين جهازا، وقد اهتم الشريف بربط الدوائر الرسمية بأجهزة الهاتف.

أما الرسائل فقد كانت تنقل بواسطة موظفين مرتين او ثلاثاً خلال الأسبوع بين مختلف المدن الحجازية[٣].

أما بخصوص الطوابع فقد أصدرت دائرة البريد عددا من الطوابع عام ١٩١٦م بفئات مختلفة القرش ونصف القرش والقرشين [٤]، ثم أصدرت طوابع باسم طوابع المستحق[٥] وهي ثلاث فئات: القرشان والقرش والعشرون بارة، ثم بعد ذلك أصدرت

(١) القبلة، عدد ٨ ايلول ١٩١٦م .

(٢) القبلة، عدد ٧٤، آذار ١٩١٧م .

(٣) بحيث أن حكومة الحجاز تقيم بعض المكاتب خلال موسم الحج لتولي مهمة بريد الحجاج مع ذويهم، القبلة، عدد ٣٨٤، آذار ١٩٢٠ .

(٤) القبلة، عدد ١٨ تشرين الاول ١٩١٦م، رسمت على الطابع الأول النقوش العربية وشيء من الزخرفة الشرقية، والطابع بطول ٤ سم وعرض ٢ سم وربع، وقد كتب عليه في الأعلى بريد حجازي وفي الوسط (مكة المكرمة) بينما كتب سعر الطابع (قرش واحد) في الأسفل مع ذكر السنة. أما الطابع الثاني فقد كتب في وسطه ضمن دائرة (مكة المكرمة) نفس الكتابة الموجودة في الطابع السابق.

(٥) القبلة، عدد ١١٣، أيلول ١٩١٧م، ويفرض هذا النوع من الطوابع على الرسائل التي ترد بدون طوابع، طوابع، أو أن الطوابع التي تحملها هي دون سعرها المفروض فتستحق استكمال النقص، القبلة، عدد ١١٣، أيلول ١٩١٧.

أصدرت طوابع الرسوم الخاصة بالمعاملات وخصصت أماكن في أسواق الحجاز لها حق البيع، حيث تحصل هذه الأسواق على إجازة البيع من وزارة المالية [١].

إذاً هذه واردات الحجاز المالية والتي تطرقنا إليها مع الافتقار للاحصاءات المالية الدقيقة التي يمكن بواسطتها التثبت من عموم ايراداتها وللاطلاع والمقارنه نورد جدولاً يمثل رسوم الحجاز أصدرته دائرة الرسوم العامة وهو يمثل الواردات بين عامي ١٣٣٥و١٣٣٦هـ (١٩١٧و١٩١٨م) [٢].

واردات عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م		واردات عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م		فرق الزيادة بين العامين	
بارة	قروش	بارة	قروش	بارة	قروش
١٥	٨٤٠٤٢٢٦	٣	١٨٠٢٠٠٩٢	٢٨	٩٦١٥٨٦٥ واردات نظارة الرسوم
١٥	٥١٦٠٦٠	٢١	٢٣٢٩٩٨٩	٣٤	١٨١٣٩٢٩ واردات الملحقات
٣٠	٨٩٢٠٢٨٦	٢٤	٢٠٣٥٠٠٨١	٣٤	١٤٢٩٧٩٤

وللاطلاع على ميزانية الحجاز المالية عموماً نورد جدولاً يمثل ميزانيتها لعامي ١٣٣٤ ـ ١٣٣٥هـ (١٩١٦ ـ ١٩١٧م) [٣].

(١) القبلة، عدد ٥٢٩، ٢٠ كانون الأول ١٩٢١.

(٢) القبلة، عدد ٢٢١، تشرين الأول ١٩١٨.

(٣) القبلة، عدد ١٥٣، شباط ١٩١٨.

الواردات		المنصرفات والارساليات		الباقي في الخزينة		ايضاحات
بارة	قروش	بارة	قروش	بارة	قروش	
١٠	١٢٥١٥٥٣٩	٣٠	١٢٣٣٠٦١٨	٠	١٨٤٩٢٠	١ ـ دائرة الرسومات ابتداء من شعبان لغاية ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هـ.
٣٥و ٣ أرباع	٨٢١٣٥٤١	٢و ٣ أرباع	٨٠٦٩٠٤٢	٣٨	١٤٤٣٠٥	٢ ـ مالية مكة المكرمة ابتداء من شوال لغاية ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هـ.
ـ	ـ	ـ	ـ		ـ	٣ ـ مالية جدة ابتداء من شعبان لغاية ذى الحجة سنة ١٣٣٥هـ.
٣٢و ٣ أرباع	٤٢٠٥٥١	٢٠و ٣ أرباع	٢٤٣٧٣٠	٢	١٧٦٨٢١	٤ ـ مالية ينبع ابتداء من محرم ١٣٣٥ لغاية ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ.
٣٧	١٣٧٠٤٧	ـ	١٣٤٥٦٤	٧	٢٤٨٣	٥ ـ مالية الوجه ابتداء من جمادى الآخرة ١٣٣٥ لغاية ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ.
٣٥	٢٨٨٣٤	ـ	١٣٤٥٦٤	٧	٢٤٨٣	٦ ـ مالية رابع ابتداء من شعبان لغاية ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ.
٢٤	٧٢١٧١	٠	٧١٣٥٠	٤	٨٢١	٧ـ مالية الليت ابتداء من ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ لغاية ذي الجحة سنة ١٣٣٥ هـ.
٣٦	٤٩١٤٥	٧٧٠	١٨١٣٧	٦	١٠١٣	٨ ـ مالية ضبا ابتداء من شعبان سنة ١٣٣٥ هـ لغاية ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هـ.
١١ـ	٣٢٦١١٣٦ ٤	٩ـ	٣٢٠٨٤٦٥٥		٥٢٦٧٠٩	

ويلاحظ افتقار الجريدة المالية لمدينة جدة والتي لم تظهر بسبب تلف الصفحة ويمكن استخراجها بسهولة بطرح حاصل جمع الأرقام المدرجة في العمود من المجموع الكلي المدرج في الأسفل على أن تقتصر هذه العملية على القروش، لجهلنا بعملية جمع البارات وعلى ضوء ذلك يصبح وارد مدينة جدة من القروش (١١١٧٤٥٢٩) ومصروفاتها (١١١٩٤٩٣٨) قرشاً وما تبقى منها في الخزينة (١٠٦٨٨) قرشاً.

الفصل الثالث

الأحوال الاجتماعية والثقافية والصحية

الفصل الثالث

الأحوال الاجتماعية والثقافية والصحية

من المعروف أن الحجاز موطن للقبائل العربية جميعها ومهد لكثير من الحضارات العريقة التي عاشت على أرضه. وجميع القبائل البدوية المعروفة في العالم العربي تعود إلى أصول قحطانية أو عدنانية، وكثير من هذه القبائل اندثرت أسماؤها وتغيرت مساكنها وحلت محلها أسماء جديدة. وتمهيداً لمواصلة الحديث عن القبائل لا بد من التطرق إلى عموم السكان وطبيعة أعمالهم من بدو وحضر وأنماط معيشتهم في منطقة الحجاز ودورهم في تنمية مجتمعهم وتطويره.

ونحن نتحدث عن أحوال السكان لا بد من التطرق لدراسة أحوالهم التعليمية والثقافية، فالمؤسسات التعليمية زمن الحسين وبالإمكانيات البسيطة كانت أفضل مما كانت عليه زمن الدولة العثمانية. ولاهتمام الحكومة الحجازية تنوعت المدارس في زمنها وتعددت دور العلم وزادت الكتب والمكتبات، وبالتعليم تزداد ثقافة المجتمعات نحو الأفضل فتعددت المؤسسات الثقافية زمن الشريف حسين من مكتبات وصحافة وأندية وزادت المطابع الحكومية والأهلية، ولشعور الحكومة الحجازية بأهمية الصحة أولتها أهمية كبيرة وعملت على تطويرها وزيادة مؤسساتها الصحية المختلفة التي لها الأثر الأكبر في تأمين مواطنيها ومتابعة شئونهم الصحية.

وبناء على ما تقدم سنتناول في هذا الفصل أربع نقاط رئيسة تتعلق بالقبائل ومكانة كل قبيلة، وعموم الناس ومكانتهم،وأحوال التعليم والثقافة، ثم المؤسسات الصحية.

القبائل ومكانة كل قبيلة

يعد الحجاز جزءاً مهماً من شبه الجزيرة العربية وهو يقع في الجهة الشمالية والغربية[1] منها ويمتد من معان والعقبة شمالا حتى يصل إلى أقصى نقطة في منطقة الليث والقنفذة على الشاطئ الشرقي للبحر الحمر جنوباً. ويضم الحجاز مدنا وقرى وبوادي كثيرة كمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع ومعان والعقبة وغيرها الكثير[2]. وأغلب سكانه قبائل بدوية متشابهة الأسماء والبطون ولا نستطيع ان نفصل قبائل الحجاز عن قبائل شبه الجزيرة العربية لأن القبائل في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية أسماؤها (متشابهة ومن الصعب تحديدها تحديداً دقيقاً)[3] وعلى هذا الأساس فان قبائل شبه جزيرة العرب (قبائل نجدية وقبائل حجازية)[4].

ولذلك اتفق العلماء على تقسيم قبائل شبه الجزيرة إلى قسمين رئيسيين هما[5]: القحطانيون والعدنانيون. وترجع معظم القبائل العربية المعروفة إلى هذين الفرعين وهو ما توضحه شجرة الأنساب (انظر الملحق رقم «٢»).

---

(١) حافظ وهبة، المرجع السابق، ص١٤، عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٢) المختار، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) حمود بن خاوي القثامي، شمال الحجاز معجم المواضع والقبائل، ط٣، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص ٣٦٨.

(٤) القثامي، المرجع نفسه، ص ٣٦٨.

(٥) محمد طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، جـ١، ط١، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٢، ص ٧٣-٧٦.

أما فيما يتعلق بأسماء القبائل الرئيسية والفرعية في الحجاز وأعدادهم ومساكنهم خلال فترة البحث فالجدول التالي يوضح ذلك[1]:

(١) البتنوني، المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.

جدول بالقبائل الحجازية واعدادها ومساكنها

إسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
عنزة	الحسنة. حلاس. (ومنهم الرُوَله والمخْلف) وبشير (ومنهم ماجد وسَلْقى) وأولاد على (ومنهم المشارقة. المُشْطا. الحَمَامْدة. الجدَالْة وطلاح)	٣٥٠٠	شمال المدينة في شرق مدائن صالح إلى خيبر.
الحويطات	الجازي. الريضات. عمران. بنو عطية. دبور. بدول. السبابحة. الترابين. والبطحة.....	٧٠٠٠٠	من محطة العلاء إلى معان والعقبة وغزة .
بلي جهينة	بنو مالك (ويتفرع منهم قبائل الصيحة. العيايشة. عروة. كومة. سُنَيْنات. الحصينات. الاساورة. المسادى.الرفاعة.بنو كلب. الحيادلة. الحمدة.والمواليد). ثم بنو موسى (ويتفرع منهم البراهمة. الموال. المرادين. العلاوين. زيبان. العوامرة. تنرة. والسمايحة).	٣٠٠٠٠ ٥٠٠٠٠	من العقبة إلى جنوب الوجه شرق وشمال المدينة إلى الوجه
عبس وهيثم	مُهيميزان. ذوي الرشيد. ذوي براك. النوامسة. الشرارات. والهمّان.		قبيلة صغيرة في شمال ينبع

حرب	بنو سالم (ومنهم ميمون وتتفرع إلى محامدة.رلاوعة. رحله. عَمْرو. حيدر أحامدة. صبح ثم المراوحة وهي الحوازم وتتفرع إلى نوامية. قراف. ظواهر. جبول. حنيطات. ذرعات. حجلة. مزَينة. ردادِدَه. حناينه). ثم بنو مسروح (وتتفرع منها عطور. مناشك بشر. معبد. البَلاّديّة. حمران. البدارين. بنو جابر. عوف. زبيد).	٨٠٠٠٠٠	يسكنون من الحمرة شمالاً وشرقاً وغرباً إلى عسفان
النخاولة	قبيلة حقيرة يستعملهم أهل المدينة المنورة في خدمتهم وفي زراعة بساتينهم وحقولهم وهم رافضة ولا يسمون أبناءهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة. ويسمون أولادهم المرون وهم يحللون نكاح المتعة. وأهل المدينة لا يصاهرونهم.	١٢٠٠٠	ضواحي المدينة
مطير	دويش. ميمون. بنو عبد الله	٤٠٠٠٠	شرق المدينة شمالاً إلى نجد وجنوباً إلى الصفينة.
بنو سليم	....	٢٠٠٠	شرق المدينة بجنوب إلى حاذة
عُتيبة	برقا وبريا (ويتفرع منها قبائل روسان. الروقة.الشيابين.الدعاجين. العصمة. جذعان.والحناتيس).	٢٠٠٠٠	شرق البادية الواقعة على طريق الشرق بين مكة والمدينة
قَريش	....	٢٠٠٠	شمال عرفة والطائف.
هُذيل	العلوين. التدويين. بنو خالد	١٠٠٠٠	الجبال التي بين مكة والطائف
ثقيف	بنو سفيان. بنو سعد. ناصره. ربيعة. عيله	٣٠٠٠٠	جنوب وشرق الطائف
البقوم البجوم	....	٢٠٠٠	شرق الطائف.
عدوان	....	٢٠٠٠	// //

بنو الحارث	....	٢٠٠٠	////
بني سعيد	....	٣٠٠٠	جنوب الطائف.
بني لحيان	....	١٥٠٠	بين مكة وجده.
الجحادلة	....		وادي يلملم إلى البحر.
قبائل	بنو فهم. يزيد. بجالة. منعان. أشراف ذوي زيد. بنو هلال. بنو عفيف. أشراف ذوي حسن. بلأسود. بَلْأعْوَر. بنو سليم. بنو عمر. بنو علي. بنو زيدان.	١٠٠٠٠	جنوب مكة وعلى طريقها إلى الليث
قبائل	رفاعة العبيدات. الهجالجة. بنو كبير. أكلوب. العبادله. البيشة. بنو سعد. بنو سعد ميمون. بنو مالك. زهران. غامد. شمران. وبَلْقَرْن. بنو الأسمر. ناصر. بنو الأحمر. وشهران.	٦٠٠٠٠	شرق الطائف إلى الجنوب. في جنوب الطائف إلى عسير

وهذه القبائل كانت تسكن جزيرة العرب في صدر الإسلام ولا زالت وهي تحمل نفس الأسماء في وقتنا الحاضر ولكن كثيراً منها اندثر وتغيرت مساكنهم وتبدلت أسماؤهم بأسماء جديدة وعلى كل حال «فإن السكان حاليا في شبه الجزيرة من نسل هذه القبائل القديمة» [١].

وبعد استعراض قبائل الحجاز على ذلك النحو يتعين علينا توضيح قبيلة الشريف حسين والى أي الفروع ينتمي:

(١) أبو العلا، المرجع السابق، ص ٧٣. لمزيد من التفاصيل حول القبائل البدوية انظر: فتحي ابو عيانة دراسات في جغرافية شبة جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص ٤٠-٤١، ص ١٢٩.

ينتمي الشريف حسين بن علي للأشراف الهاشميين والأشراف كما تبين شجرة الأنساب[1] الخاصة بهم قبيلة عربية قرشية[2] الأصل ترجع جذورها إلى قبيلة عدنان[3] التي خصها الله سبحانه وتعالى وشرفها بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم منها.

وقد حكم الأشراف الهاشميون إمارة مكة المكرمة ما يقارب ألف عام ووجودهم فيها يزيد على ألفي عام لذلك تعد من الأسر العريقة والقديمة والمعروفة في المنطقة. ووجودهم ليس مقتصراً على مكة المكرمة وإنما لهم وجود في مناطق عديدة من الحجاز[4] كالطائف والمدينة وتربة ووادي فاطمة وفي بعض البلاد العربية كاليمن وليبيا ومصر والأردن والعراق وعُمان والجزائر[5].

ولقد تداول حكم إمارة مكة ثلاث عوائل من الأشراف هم[6]: عائلة زيد بن محسن من أحفاد حسن بن نمي، وعائلة عبد الله بن حسن بن نمي ملقبون بالعبادلة، وعائلة بركات أخو الحسن بن نمي. وقد تناوبت على حكم مكة مدة ثلاثة قرون ونصف القرن، انتهى حكمهم بحكم الشريف حسين بن علي[7] الذي ينتمي الى فرع العبادلة[8]. وقد امتاز حكم إمارته الأولى «بالتواضع والعدل والغيرة على أهل مكة والدفاع عن

---

(١) القثامي، المرجع السابق، ص ٣٧٧، البتنوني، المرجع السابق، ص٥٢.

(٢) البتنوني، المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) نفسه، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٤) حمد الجاسر، معجم القبائل في المملكة الحجازيةالسعودية ـ قسم ١، النادي الأدبي في الرياض، ط١، ١٩٨١، ص٢٤-٢٥.

(٥) القثامي، المرجع نفسه، ص٣٧٧، البتنوني: المرجع السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٦) أنظر وهيم، المرجع السابق، ص ١٥-٢٥، أنيس: المرجع السابق، ص٣٣، القثامي، المرجع السابق، ص ٣٧٩، انظر أيضاً السباعي: المرجع السابق، ص ٣٥٠-٣٩٠.

(٧) انظر أمين سعيد، المرجع السابق، ص٤٣-٤٧

(٨) محمد بن منصور بن هاشم، قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ط١، ١٤٠١هـ، ص٣٩-٥٠.

مصالحهم كما أنه اشتهر أيضا بالشجاعة وعلو النفس ونقاء الذيل»[1] فهو يعد «أفضل الأشراف المتأخرين وأقلهم ظلما وأعلاهم جميعا نفسا وأعظمهم شخصية»[2]. فهو أول عربي جعل للبلاد العربية شخصية دولية وشأنا لا ينكر في أوروبا بصرف النظر عما انتهت اليه سياساته[3].

عموم الناس ومكانتهم

معظم سكان الحجاز هم قبائل بدوية متفرقة يعيشون حياة البداوة ويشكلون ٧٥٪ من السكان والنسبة الباقية (٢٥٪) تعيش في المدن والقرى والأرياف والواحات[4]. وجميعهم من العنصر العربي السامي مع خليط من أقوام غير عربية[5].

والعنصر العربي السامي هم القبائل العربية الموجودة فيه ويشكلون النسبة الكبرى كما ذكر وتبين الدراسات أن جزيرة العرب تضم ما يزيد على ثلاثمائة قبيلة ينتشر افرادها في جميع أنحائها[6]. اما الأجناس غير العربية مثل الأتراك والأفارقة

---

(١) وهبة، المرجع السابق، ص٢١٤.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه. ولمزيد من التفاصيل حول الشريف حسين وحكمه انظر البتنوني: المرجع السابق، ص٨١.

(٤) عبد الرحيم، المرجع السابق، ص٩٢، أبو العلا، المرجع السابق، ص٧٧. للتفاصيل حول عدد سكان الحجاز انظر أيضاً موسى، الثورة العربية، ص ١٧أ انظر أيضاً جمال الدين الألوسي، محمد كرد علي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٢٤. انظر أيضاً: عبد العزيز صبري بك، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٥) عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١١٤-١٢١.

(٦) أبو العلا، المرجع السابق، ص ٧٥-٧٧.

والهنود والبنغال والأفغان وغيرهم[١]، فقد اتخذت من الحجاز موطناً محببا لها لمكانته الدينية المقدسة[٢] وخاصة في مكة والمدينة وجدة.

وعلى هذا يختلف الحجاز عن باقي مناطق شبه الجزيرة العربية بتعدد عناصره السكانية [٣] لأنه «بلد ذو مركز ديني وتجاري مهم في مواسم الحج والعمرة»[٤]. وليس وليس هذا فحسب وإنما حدث اختلاط وتزاوج واضح بين السكان الأصليين والأجناس المختلفة[٥] لا سيما الأتراك الذين حكموا العالم العربي مدة طويلة تزيد على أربعة قرون ونتيجة للمصاهرة والتزاوج بينهم ظهرت جماعات سكانية كان لها الدور الأكبر في الحياة السياسية والإدارية. ومن هذا الزواج ظهرت جماعة سكانية من أب تركي وأم عربية كان لها مركز اجتماعي ممتاز من الحكم العثماني وكانت بيدها أعلى الوظائف السياسية والإدارية في المنطقة[٦].

ويمكن تلخيص الأسباب التي جعلت الأجناس المختلفة تستقر في مدن الحجاز إلى[٧]:

---

(١) عبد الجبار، المرجع السابق ص ١٢١-١٢٤، السباعي، المرجع السابق، ص٥٣-٦٠، البتنوني، المرجع السابق، ص٤٠-٤١، سلمان حمود وسيد محمد إبراهيم، تاريخ المملكة الحجازية السعودية في إطار تاريخ الوطن الكبير، ط١، مكتبة مصر، مطبعة السنة المحمدية، د.ت، ص ١٠-١١، تركي بن مطلق القداح، دراسات حول قبيلة عتبة، دار الكتاب الحديثه، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥-٧٥.

(٢) انظر: سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣، ص ١٠٩.

(٣) المالكي، المرجع نفسه، ص١٠٩.

(٤) نازك زكي ابراهيم، التكوين السياسي والاجتماعي للمملكة العربية السعودية، ١٩٠٢-١٩٣٠، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٢٠٨.

(٥) عبد الجبار، المرجع نفسه، ص١٢١-١٢٤، المالكي، المرجع نفسه، ص ١١١.

(٦) نازك، المرجع نفسه، ٢٠٨.

(٧) المالكي، المرجع السابق، ص ١٠٩-١١٣.

١. أسباب دينية تعود للحجاج والمعتمرين الذين يأتون لمكة والمدينة لأداء مناسك الحج والعمرة ويفضلون البقاء والاستقرار فيها ولا يعودون إلى بلادهم.

٢. أسباب عسكرية تتمثل في الفاتحين والغزاة الذين جلبوا معهم أعدادا كبيرة من الرقيق والعبيد والجواري لبيعهم في الأسواق(١). وهذا ما يفسر زيادة نسبة الأفارقة في مدن الحجاز المختلفة عن السكان الأصليين.

٣. أسباب اقتصادية تتمثل في القوافل التجارية العائدة إلى بلادها وأثناء مرورها من المدن الحجازية حيث «تترك بعضا من حجاجها في الحجاز يجاورون الأراضي المقدسة ويقضون بقية حياتهم هناك.» (٢).

ويمكن تقسيم السكان في الحجاز حسب طبيعة أعمالهم ومعيشتهم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

١. **سكان البادية**(٣): ويشكلون ثلثي سكان الحجاز كما سبقت الاشارة ويعيشون ويعيشون حياة البداوة من حيث التنقل بأغنامهم وإبلهم من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلأ الامر الذي قد يؤدي في كثير من الاحيان إلى القتال والنزاع مع قبائل أخرى على المراعي أو قد تهاجر الى بلاد أخرى بحثا عن هذا المطلب. وكما هو معروف لدينا فإن لكل قبيلة شيخاً مسئولاً عنها يتم اختياره من بينهم يحكم بينهم بالعادات والتقاليد والأعراف المتعارفة بينهم وهي متوارثة. ولكل قبيلة مراعٍ وأماكن خاصة بهم

---

(١) عبد الجبار، المرجع السابق، ص ١٢١-١٢٤، نازك، المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مج، ١، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٣) عبد الرحيم، المرجع السابق، ص١٧.

يحظر على باقي القبائل الأخرى الاقتراب منها، لذلك تعد البداوة «نمطاً من أنماط الحضارة التي عاشها سكانها آلاف السنين»[١].

٢. **سكان الحضر والمدن**[٢]: وهم السكان الذين استقروا في المدن كمكة والمدينة وجدة ويعملون بالزراعة والتجارة لا سيما في مكة والمدينة وجدة باعتبارها مراكز تجارية مهمة في تلك الفترة[٣].

وقد اهتم تجار الحجاز بتصدير البضائع إلى كثير من الدول لا سيما مصر والهند فقد صدروا التمور والحناء والجلود والصمغ واستوردوا بعض المواد الغذائية كالقمح والأرز من الهند ومصر[٤] حيث يتم نقله من ميناء جدة ثم إلى مكة والمدينة والطائف ومنها الى بقية مدن الحجاز الأخرى ليتم بيعه فيها. وتعد مكة أعظم وأضخم المراكز التجارية في شبة جزيرة العرب نظرا لما تتمتع به من مركز تجاري وديني مرموق ومهم وتتمتع كذلك بموقع جغرافي فريد[٥].

وجدة تعتبر الميناء الرئيس للحجاز يعمل سكانها بالتجارة وصيد الأسماك ومن خلالها يتم استيراد وتصدير معظم البضائع المختلفة[٦].

٣. **سكان القرى والواحات**: وهم القبائل البدوية التي استقرت في بعض الأماكن كالطائف وعملت بزراعة التين والعنب[٧].

---

(١) أبو العلا، المرجع السابق، ص٨٥.
(٢) عبد الرحيم، المرجع السابق، ص١٧.
(٣) المالكي، المرجع السابق، ص١٠٩-١١٣.
(٤) عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص١٣.
(٥) نفسه.
(٦) صلاح الدين المختار، المرجع السابق، ص ٢٤، عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص ٩٢، البتنوني، المرجع السابق، ص ٤٠-٤١.
(٧) المالكي، المرجع نفسه، ص١١٠.

الأحوال التعليمية والثقافية

أهتم الشريف حسين اهتماماً واضحا بالتعليم حتى غدت المدارس في عهده أفضل مما كانت عليه في العهد العثماني[1] فلم تكن «المعارف في الحجاز في أيام تركيا راقية ولم نر لها أثراً سوى مدارس ابتدائية تركية لا يستفيد منها غير اللغة التركية وشيء من المبادئ المدرسية»[2]. وقد قسمت الحكومة الهاشمية المدارس في الحجاز إلى مدارس حكومية ومدارس خاصة[3]: والمدارس الحكومية، تتبع وزارة المعارف والمدارس الخاصة تتبع جهات خاصة (المدارس الأهلية)، والمدارس العسكرية التابعة لوزارة الحربية الحجازية[4]والمدارس الدينية التابعة لقاضي القضاة وتجدر الإشارة إلى أن التعليم في جميع المدارس بنوعيها (الحكومية و الأهلية) مجاني.

وفي مجال تنظيم التعليم أنشأت الحكومة مجلساً خاصا أطلقت عليه اسم «مجلس المعارف»[5].كما أنشأت وزارة خاصة بالتعليم سميت (وزارة المعارف)[6] واسندت للسيد علي المالكي كأول وزير لها[7]. وأنشأت أيضا لجنة خاصة عليا لتحديد الكتب

---

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ١١٤، حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٢) حسين نصيف، المرجع نفسه، ص١١١.

(٣) وهيم، المرجع نفسه، ص ١١٤، حسين نصيف، المرجع نفسه، ص ١١٢. عبد الجبار، المرجع السابق، ص ١٣٦، أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ١٣٠.

(٤) حسين نصيف، المرجع نفسه، ص١١٢، وهيم، المرجع نفسه، ص ١٢٩.

(٥) وهيم، المرجع نفسه، ص ١١٥، لمزيد من التفاصيل حول تشكيل الوزارة أنظر أيضاً: هنادي، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

(٦) القبلة، عدد ١٧ تشرين الأول ١٩١٦، أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ١٢٦-١٢٧، وهيم، المرجع نفسه، ص ١١٤-١١٥.

(٧) لمزيد من التفاصيل حول أهداف الوزارة انظر أيضاً: هنادي، المرجع نفسه، ص٧٤-٧٥.وهيم، المرجع نفسه، ص٧٨، القبلة، ١٧تشرين الأول ١٩١٦. أنظر أيضاً: داغر، المرجع السابق، ص٧٠-٧٣. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٦-١٢٧، الصواف، المرجع السابق، ص٢٨٨.

التي تدرس في المدارس مع تحديد المناهج اللازمة للدراسة فيها[١] ضمت بعض العلماء والفقهاء المتخصصين من داخل الحجاز ومن خارجه للقيام بالمهمة[٢].

واهتمت الوزارة بشئون التعليم من حيث: بناء المدارس بأنواعها المختلفة مع تعيين المدرسين والمعلمين من مختلف التخصصات. ووضع المناهج اللازمة للتدريس في المدارس والانفاق عليه ومتابعة شؤونه في جميع أنحاء البلاد وإنشاء مديريات للمعارف في المدن الحجازية للإشراف على شؤون التعليم في المناطق التابعة لها[٣].

أما مجلس المعارف فكان يهتم بتحديد المناهج التي تدرس للطلبة مع الإشراف عليها وتحديد البرامج الدراسية التي تنتهجها المدارس[٤].

أما عن المراحل الدراسية فكانت ثلاث مراحل ويدرس الطلبة فيها مجانا على النحو الآتي[٥]:

أ. المرحلة التحضيرية: ومدة الدراسة فيها سنتان وهي أولى المدارس التي يلتحق بها التلاميذ وتركز في مناهجها على المبادئ الأساسية في التعليم كالقراءة والكتابة والخط والنسخ والعلوم الدينية الأساسية: القرآن والسنة والفقه والتوحيد.

---

(١) القبلة، عدد ٢٧٤، نيسان ١٩١٩.

(٢) القبلة، عدد ١٠٥، آب ١٩١٧.

(٣) القبلة، عدد ١٦ تشرين الأول ١٩١٦، القبلة٢٥٠ كانون الأول ١٩١٨. ولمعرفة المزيد من التفاصيل حول عمل مديرية المعارف انظر: محمد بهجت البيطار، الرحلة النجدية الحجازية، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٦٧، ص٣٥-٤٠.

(٤) القبلة، عدد ٣٠ تشرين الأول ١٩١٦ .

(٥) وهيم، المرجع السابق، ص ١١٥-١١٧.

ب. المرحلة الابتدائية: وهي أعلى من المرحلة التحضيرية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات[1] يدرس التلميذ فيها مواد أعلى من المرحلة الأولى كالعلوم الدينية (القرآن والفقه والتجويد وتفسير القرآن وعلم التوحيد والعقيدة الإسلامية) والعلوم العربية (النحو والصرف والبلاغة والخطابة والإملاء والنسخ) والتاريخ العربي قبل الإسلام، وجغرافية جزيرة العرب وقارات العالم، والرياضيات، والحساب والهندسة والتربية الرياضية وأصول مسك الدفاتر، والتربية بأنواعها المختلفة.

ج. المرحلة التجهيزية: وهي المرحلة النهائية من مراحل التعليم بحيث يتعمق الطالب في الدراسة بشكل أكثر دقة[2] ويدرس مواد أكثر شمولية من المرحلتين السابقتين: الجبر والمقابلة والتفسير والميكانيكا، والعلوم التطبيقية، والفلك، والهندسة.

وقد حدد واضعو المناهج بأن تكون مرحلة المدارس التجهيزية إعداداً حقيقياً للطالب للالتحاق بفروع التعليم المهني بفرعيه (الزراعي والصناعي)[3].

أما بالنسبة لمعلمي المدارس في المراحل الثلاث فقد وضعت وزارة المعارف شروطا خاصة لمن أراد أن يصبح معلما حيث يخضع لاختبار في دائرة المعارف معد إعدادا خاصا لمزاولة مهنة التعليم، ويتم قبول من يحقق نجاحا في ذلك الاختبار ويصبح معلماً. وكانت الوزارة تعلن عن حاجتها لعدد من المعلمين في الجريدة الرسمية[4].

---

(١) القبلة، عدد٣٠، تشرين الثاني ١٩١٦ وعدد ٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨.

(٢) القبلة، عدد٢٢٦ تشرين الأول ١٩١٨ لمزيد من التفاصيل حول المراحل الدراسية أنظر: وهيم، المرجع السابق، ص ١١٥-١٢٥.

(٣) القبلة: عدد ٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨.

(٤) القبلة: عدد ٥٧٧، نيسان ١٩٢٢.

أما أهم المدارس التي أنشئت في الحجاز في تلك الفترة هي:

أ. **المدارس في مكة المكرمة:**

١. المدرسة الخيرية الهاشمية أولى المدارس التي أنشئت في منطقة السعي عام ١٩١٨م[١].

٢. مدرسة حارة الباب أنشئت عام ١٩١٦م، مقرها في دار لآل الفتيانة.

٣. المدرسة الرشيدية أنشئت عام ١٩١٦م، ومقرها في سوق المعلاة.

٤. المدرسة الراقية أنشئت عام ١٩١٦م، في جبل الهند.

٥. المدرسة الفخرية أنشئت عام ١٩١٨م.

٦. مدرسة الفلاح أنشئت عام ١٩١٨م[٢].

٧. ثلاث مدارس ابتدائية عام ١٩١٨م[٣].

ب. **المدارس في مدن الحجاز الأخرى:**

وجميعها أنشئت بعد عام ١٩١٨م[٤]:

١. المدرسة التحضيرية الهاشمية في جدة[٥].

٢. مدرسة الفلاح في جدة (اسم المدرسة موجود في أكثر من مدينة حجازية).

---

(١) القبلة، عدد ٣٢، كانون الأول ١٩١٦، حسين نصيف، المرجع السابق، ص١١٢.

(٢) القبلة عدد ٣٢، شباط ١٩١٧، حسين نصيف، المرجع السابق، ص١١٢.

(٣) القبلة ع٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨، عدد ٢٢٤، كانون الأول ١٩١٨، عدد ٣٢٢، تشرين الأول ١٩١٩، عدد ٤٠٩، آب ١٩٢٠، عدد ٢٧٧، ٢٢ نيسان ١٩٢٠، عبد الجبار، المرجع السابق، ص١٣٦.

(٤) القبلة ع٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨، عدد ٢٢٤، كانون الأول ١٩١٨، عدد ٣٢٢، تشرين الأول ١٩١٩.

(٥) القبلة، عدد ٣٥، كانون الأول ١٩١٧، عدد ٣٢، شباط ١٩١٧، عبد الجبار، المرجع نفسه، ص ١٣٦- الأنصاري، المرجع السابق، ص ١٦٢.

٣. المدرسة التحضيرية الهاشمية ومدرسة الفلاح في الطائف[١].

٤. المدرسة التحضيرية الهاشمية في ينبع[٢].

٥. المدرسة التحضيرية الهاشمية في ضبا[٣].

٦. المدرسة التحضيرية الهاشمية في مدينة الوجه[٤].

٧. المدرسة التحضيرية الهاشمية في الشوبك، والعقبة، والطفيلة، والمدينة، المنورة[٥].

٨. مدرستان ابتدائيتان في جدة.

٩. مدرسة ابتدائية في الطائف.

١٠. مدرسة ابتدائية في المدينة المنورة[٦].

كما شجعت الحكومة الأهالي على إنشاء المدارس الخاصة في جميع المدن الحجازية نذكر منها[٧]:

١. مدرسة النجاح الخاصة داخل الحرم الشريف في مكة[٨].

٢. مدرسة الفلاح الخاصة في مكة.

٣. مدرسة الفلاح الخاصة في جدة.

---

(١) القبلة، عدد ٢٢٤، كانون الأول ١٩١٨، ع٤٠٩، آب ١٩٢٠، ع٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨.

(٢) القبلة، ع٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨، عدد ٢٢٤، كانون الأول ١٩١٨.

(٣) القبلة، ع ٢٢٤، كانون الأول ١٩١٨، ع ٢٢٦، تشرين الأول ١٩١٨.

(٤) القبلة، ع ٥٧٧، نيسان ١٩٢٢.

(٥) القبلة، عدد ٣٢٢، تشرين الأول ١٩١٩.

(٦) عبدالجبار: المرجع نفسه، ص ١٣٦.

(٧) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٨) سعيد، أسرار الثورة، ص١٣٠، عبد الجبار، المرجع السابق، ص١٣٦.

٤. مدرسة السولطية[١] الخاصة بمكة.

٥. مدرسة دار الفائزين بمكة.

٦. الخيرية الخاصة في مكة.

٧. المدرسة الفخرية في مكة.

٨. مدرسة العلوم الشرعية في المدينة.

وعن المدارس الحكومية الخاصة التي تميزت بمهن معينة، المدرسة المهنية الزراعية الهاشمية التي أنشأتها الحكومة في منطقة عين زبيدة بجانب جرول مكة أطلق عليها اسم مدرسة جرول الزراعية[٢] ولأهميتها الحقت بوزارة المالية عام ١٩٢٠م[٣] وتهدف إلى تخريج كوادر علمية وعملية مدربة لخدمة البلد وتزويده بالأيدي العاملة المدربة[٤]. وقد حددت الدراسة في المدرسة بنظامين إحداهما عملي والآخر نظري[٥] وجهزت المدرسة بمختبر خاص بها لإجراء التطبيقات العملية اللازمة في حقلها الخاص بها في عين زبيدة.

وقد حددت الوزارة شروط الالتحاق بهذه المدرسة حيث يجتاز الطلبة المتقدمون للالتحاق امتحانات عامة في التاريخ والجغرافية والحساب واللغة العربية والهندسة، واليوم الدراسي فيها يبدأ من الساعة السابعة صباحا حتى الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق[٦].

---

(١) السولطية اسم نفس المدرسة التي ذكرها عبدالجبار، المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٢) القبلة، عدد ٣٥٤، شباط ١٩٢٠، محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص٢٧١.

(٣) القبلة، عدد ٣٩٧، ٥ تموز ١٩٢٠.

(٤) القبلة، عدد ١٠٩، أيلول ١٩١٧.

(٥) القبلة، عدد ٣٩٧، تموز ١٩٢٠.

(٦) وهيم، المرجع السابق ص ١٢٣، القبلة، عدد ٣٥٤، شباط ١٩٢٠.

كما حُددت المناهج التي تدرس فيها وقد عرضنا لها من قبل في مجال الزراعة[1] ولقلة المدرسين في الحجاز وندرة التخصصات التي تدرس في المدرسة فقد استعانت الحكومة بالمصريين والسوريين لتدريس المواد المختلفة فيها[2].

ولأهمية الصناعة فقد اقترحت الحكومة الحجازية إنشاء مدرسة صناعية وقد وجهت دعوتها للمتخصصين من السوريين والمصريين للتدريس فيها، لكن لصعوبة إمكانية قيام الصناعة في المملكة لم تر المدرسة النور على أرض الواقع الفعلي[3].

وأشارت التقارير والدراسات المختلفة الى أن حلقات العلم التي كانت تعقد في المسجد النبوي والمساجد الأخرى إبان الحكم العثماني قد استمرت في فترة حكم الهاشميين، فقد كان الفقهاء والعلماء يعقدون حلقات للعلم لتدريس مختلف العلوم في المساجد الحجازية الرئيسية لا سيما مكة والمدينة حيث درسوا علوم البلاغة والنحو والفقه والحديث والقرآن الكريم بعلومه المختلفة وكان أبرز العلماء والفقهاء الذين عقدوا حلقات العلم علي المالكي وجمال المالكي[4].

والنوع الآخر من المدارس والذي اهتمت به الحكومة الحجازية المدارس العسكرية أو المدارس الحربية وقد أدرك الشريف اهميتها في رفد القوات العسكرية بأفراد مؤهلين ومدربين للخدمة العسكرية وعهدت للمتخصصين السوريين إدارة ورئاسة المدرسة[5].

---

(١) وهيم، المرجع نفسه.
(٢) القبلة، عدد ٣٥٤، شباط ١٩٢٠.
(٣) القبلة، عدد ٣٦٥، آذار ١٩٢٠. وهيم، المرجع نفسه، ص ١٢٣-١٢٤ .
(٤) وهيم، المرجع نفسه، ص ١١٨. القبلة، عدد ١٧٦، آذار ١٩١٧.
(٥) حسين نصيف، المرجع السابق، ص١١٢.

أما فكرة تأسيس المدرسة فتعود لأحد الضباط المصريين وهو محمود القيسوني وكيل القائد العام في مكة الذي طرح الفكرة على الشريف وأعجب بها وأمر بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ (آذار ١٩١٧م) بتأسيسها[١].وقد أسست في الثكنة العسكرية في منطقة جرول وتحت إشراف وزارة الحربية[٢] ووضعت شروط من حيث القبول تضمنت المعرفة البسيطة بالقراءة والكتابة والحساب ووضع لها لباس خاص بالطلبة فيها (لباس موحد) وخصصت[٣] أماكن لمبيت الطلبة وحُددت سن القبول ما بين سبعة عشر عاما وتسعة عشر عاما[٤] وحددت طبيعة الدراسة فيها بحيث تضمنت نوعين وهما:

أ. التعليم النظري وتدريس الحساب والرياضيات والعلوم الدينية واللغة العربية.

ب. التعليم العملي العسكري وهو ميداني للتدريب على فنون القتال ومعرفة الأسلحة بأنواعها المختلفة.

وكان الهدف من إنشائها تخريج ضباط مؤهلين علمياً وعسكريا للخدمة في القوات المسلحة[٥].

وتشير أغلب الدراسات إلى أنه لا توجد إلا مدرسة عسكرية واحدة والتي شرحت من قبل وسميت (المدرسة الحربية الهاشمية) وقد أسندت قيادة المدرسة عند تأسيسها لضابط سوري خدم في جيش الإمارة هو شكري الشوربجي.

---

(١) وهيم، المرجع السابق، ص١٤٣، محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص ٢٧٠، القبلة، عدد ١٠٨، أيلول ١٩١٧.

(٢) امين سعيد، اسرار الثورة، ص ١٢٢.

(٣) القبلة، عدد ٣٣، كانون الأول ١٩١٧، القبلة، عدد ٦٢، آذار ١٩١٦.

(٤) القبلة، عدد ٦٢، آذار ١٩١٦.

(٥) القبلة، عدد ٣٣، كانون الأول ١٩١٧، وهيم، المرجع نفسه، ص١٤٣.

والنوع الآخر من المدارس هو مدرسة القضاء الشرعي التي تتبع لدائرة القضاة وقد حددت الشروط الواجب توفرها فيمن يقبل في المدرسة وهي[1]:

١. الإلمام بالفقه وأصوله والخط العربي.

٢. أن يبلغ من العمر عشرين عاما أو أكثر للمتقدمين للقبول وقد حددت الدراسة في المدرسة بثلاث سنوات هي:

أ. السنة الأولى: تدرس فيه الطلبة بعض العلوم كعلم الفرائض والمناسخة والخط النسخي والحساب والفقه في المعاملات.

ب. السنة الثانية: يدرس الطالب فيها خط الرقعة والفارسي والحساب والفقه ومبادئ الأمور المالية وأصول المحاكمات.

ج. السنة الثالثة: يدرس الطالب فيها عموم العمليات الحسابية والفرائض والمناسخات وبعض الدراسات المتخصصة في الإفتاء.

ويمنح الطالب بعد اكمال الدراسة الفعلية (الثلاث سنوات) شهادة لمزاولة القضاء ويتقاضى الطلبة خلال فترة الدراسة رواتب تختلف من سنة إلى أخرى[2].

وهكذا نلاحظ أن المملكة الهاشمية اهتمت بالحركة التعليمية اهتماما واضحا من خلال تعدد المدارس المنتشرة في مدن الحجاز بحيث اكسبت «الحجازي معلومات جعلته يكد ويجتهد ويعرف كيف العلم وما هو فوائده»[3].

---

(١) القبلة، ع ٢٨٤، ١٩١٩، وهيم، المرجع نفسه، ص ٨٥.

(٢) القبلة، عدد ٢٨١ ، آذار ١٩١٩، وهيم، المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١١٢.

الصحافة

اهتم الشريف بإصدار الصحف ورعايتها اهتماما كبيرا وقد بلغ عدد الجرائد التي صدرت في عهده أربع جرائد وهي: القبلة والحجاز وبريد الحجاز والفلاح. وصدرت مجلة واحدة اسمها مجلة جرول الزراعية أو مجلة مدرسة جرول الزراعية.

جريدة القبلة: وكانت تتصدر كل أعداد الجريدة الآية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[(١)]. وهي الجريدة الرسمية للحكومة والناطقة باسمها وصدرت في مكة ١٥ شوال ١٣٣٤هـ (١٥ آب ١٩١٦م) عقب قيام الحسين بالثورة ضد الأتراك في حزيران ١٩١٦م، وقد عهد الشريف بإدارة الجريدة لبعض المتخصصين والمتنورين من العرب والذين عملوا معه خلال هذه الفترة ومنهم محيي الدين وفؤاد الخطيب والطيب الساسي وحسين الصبان ورشيد رضا وخير الدين الزركلي[(٢)].

الجريدة: جريدة دينية ثقافية أدبية واجتماعية وسياسية وتعنى بكل الثقافات جميعها وتصدر مرتين في الأسبوع[(٣)] وتذكر المصادر أن الشريف كان مهتماً بها اهتماما واضحا حتى لقد كتب لها عدة مقالات[(٤)]. وكانت تطبع في المطبعة الحكومية التي كانت موجودة منذ زمن الحكم العثماني وكان يشرف عليها مدير الجريدة الرسمي (رئيس التحرير).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٣ـ١٠٥. الزركلي، ما رأيت، ص١٣٥. انظر أيضاً: السباعي المرجع السابق، ص ٢١٠ـ٢٩٠. وهيم، المرجع السابق، ص ٦٦.

(٣) الشامخ، المرجع السابق، ص ٨٨. وأيضاً وهيم، المرجع نفسه، ص ٦٧. وراجع أعداد الجريدة كلها.

(٤) الزركلي، ما رأيت، ص ١٣٥.

وكان محيي الدين الخطيب أول رئيس تحرير لها ثم خلفه حسين الصبان[1] وكانت تصدر في أربع صفحات من الحجم الكبير وتتصف بالترتيب وحسن المظهر والرونق في أعدادها المختلفة[2].

وكانت الجريدة توزع في مدن الحجاز بشكل خاص وبعض الأقطار العربية خاصة مصر والعراق وايضا في الهند لكي يطلع عليها المسلمون هناك،[3] وذلك دليل واضح على أهميتها من حيث الإقبال الشديد على اقتنائها وفي ذلك قال رئيس تحريرها: «الحقيقة إن القبلة لا يباع منها في القطر الحجازي إلا بضع مئات من النسخ وبقية الخمسة آلاف نسخة منتشرة في العالم كله» [4].

وكان الشريف يتكفل بكل المصاريف المالية للجريدة وبالتالي لم تعان من المصاعب المالية ولو أن دخلها من الإعلان كان يقل عن دخلها من التوزيع الذي بلغ خمسة آلاف نسخة في عام ١٩١٩م[5].

وتعد جريدة القبلة التي ظلت تصدر مدة تزيد على ثماني سنوات أهم صحف العهد الهاشمي وأشدها تأثيرا في الحياة الثقافية والاجتماعية في الحجاز في تلك الحقبة ولقد حققت من النجاح في الميدان الصحفي ما لم تحققه أية صحيفة من صحف العهدين العثماني والهاشمي، كما أسهمت في تطوير صحافة الحجاز أكثر مما أسهمت به جريدة الحجاز أو صحيفة أخرى من صحف الفترة[6].

---

(١) القبلة، عدد ٤٢٠، ٣٠ أيلول ١٩٢٠.
(٢) الشامخ، المرجع نفسه، ص ٩٨. أيضاً وهيم، المرجع نفسه، ص ٦٦.
(٣) الصواف، المرجع السابق، ص٢٧٩ـ٢٨٠.
(٤) القبلة عدد ٣٣٩، ١١ كانون الأول ١٩١٩.
(٥) الشامخ، المرجع السابق ص ٩٨. أيضاً القبلة، عدد ٣٣٩، ١١ كانون الأول ١٩١٩.
(٦) الشامخ، المرجع نفسه، ص ٩٨.

وقد صدر عن القبلة ما يزيد على ثمانمائة وثلاثة وعشرون عددا وظلت تصدر حتى ٢٥/ ٢/ ١٣٤٣هـ (٢٥/ ٩/ ١٩٢٤م) عندما هاجم الوهابيون الطائف فتوقفت عن الصدور خلال فترة تنازل الشريف حسين عن عرشه لنجله الأمير علي في ٥ تشرين الأول ١٩٢٤م[١].

جريدة الحجاز: وقد صدرت في ٩/ ١٢/ ١٣٣٤هـ (٧/ ١٠/ ١٩١٦م) كجريدة سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية. وفي البداية كانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثم أصبحت تصدر خمس مرات في الأسبوع[٢].

وكان حمزة غوش أول رئيس تحرير مسئول عنها وفي نفس الوقت تحمل أعباء الإدارة فيها ثم أنيطت شئون التحرير للصحفي السوري بدر الدين النعساني الذي تولى مسئولية كتابة الافتتاحيات وكتابة المقالات العديدة[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن جريدة الحجاز كانت تهتم بالقضايا العثمانية والحرب الدائرة بين العرب والعثمانيين وأنها «مجندة للدعاية السياسية ولخدمة القوات التركية المحاصرة في المدينة فإنه لم يكن فيها سوى القليل مما يمكن أن يحظى باهتمام القارئ المدني العادي»[٤]. فهي جريدة عثمانية أصدرتها السلطة في المدينة المنورة التي بقيت في أيدي العثمانيين حتى عام ١٩١٩م ولما تخضع لسلطة الشريف بعد.

وكانت الجريدة تصدر من المدينة المنورة[٥]. لكن أعدادها أخذت في التناقص بسبب محاصرة قوات الشريف للمدينة وقلة وصول الورق[١] اللازم للطباعة وقلة بيع

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ٦٧ . الشامخ، المرجع نفسه، ص٩٣-٩٤.
(٢) القبلة ع ٧٢، ٢٤ نيسان. ١٩١٧.
(٣) الشامخ، المرجع نفسه، ص ٩٣-١٠١.
(٤) الشامخ، المرجع السابق، ص ٩٣-١٠١.
(٥) القبلة، ع ٧٢، ٢٤ نيسان ١٩١٧.

الأعداد الصادرة منها وبقائها في المدينة (دون بيع) ومع ذلك فقد صدر عنها ما يزيد على مائة نسخة وكانت تطبع في مطبعة خاصة بها وهي تتألف من أربع صفحات في بداية صدورها ثم تقلصت إلى صفحتين من النوع الصغير حتى توقفت عن الصدور عام ١٩١٩ وهي سنة سقوط المدينة المنورة بيد قوات الشريف حسين[٢].

جريدة الفلاح: وهي الجريدة الثانية بعد القبلة من حيث الأهمية وكان عمر شاكر[٣] المثقف السوري قد أسسها في دمشق سنة ١٩١٩م ولكن عندما دخلت القوات الفرنسية دمشق عام ١٩٢٠م ذهب عمر إلى مكة وأصدر جريدته بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٢٠م لتكون جريدة سياسية واجتماعية وعلمية وفيها مواد فكاهية ضاحكة وتركز على نشر الصور الفوتوغرافية التوضيحية وقد تميزت بالوضوح والإشراق والترتيب وحسن المظهر والأداء[٤].

وقد شجعت حكومة الحجاز جريدة الفلاح على الصدور بهدف «إعانة جريدة القبلة»[٥] ومساعدتها في نشر آرائها السياسية والاجتماعية والعلمية وتوضيح سبب قيام النهضة ودور الهاشميين في تحرير العرب ومخاطر الاتحاديين على الإسلام والمسلمين باعتبار أن الجريدتين (القبلة والفلاح) كان لهما الدور الأكبر في إثارة الحماس لدى المسلمين والمساعدة في إنجاح النهضة العربية التي يخوضها الهاشميون.

---

(١) أشار إلى ذلك محرر جريدة القبلة حسين الصبيان بقوله: «في العدد الذي اطلعنا عليه منها أمور لا بأس أن نذكرها، فمن ذلك أنها مطبوعة على وريقة صغيرة من نوع رديء، وفيها اعتذار عن احتجابها قبل صدور ذلك العدد لعدم وجود الورق، وأن أحد الموظفين أهدى لإدارتها مقدارا من ذلك الورق الذي لا يصلح للطباعة والكتابة فنشرت به ذلك العدد الذي اطلعنا عليه، ولكن على وجه واحد بسبب رقة الورق». انظر، القبلة: ع ٧٢، ٢٤نيسان ١٩١٧.

(٢) الشامخ، المرجع نفسه، ص ١٠٠-١٠٣.

(٣) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٣. وهيم، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٤) شامخ، المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٥) وهيم، المرجع السابق، ص٦٧. حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٣.

وليس من المعروف على وجه الدقة الأعداد التي صدرت منها في تلك الفترة فالبعض يؤكد أنه صدر منها ستة وأربعون[1] عددا، ويؤكد آخرون أنها تزيد على الخمسين عددا[2].

ولقد تعرضت الجريدة لبعض الصعوبات المالية مما كان له أثر على تناقص أعدادها ثم توقفت عن الصدور لمدة عام بسبب ذهاب مديرها عمر شاكر إلى القاهرة ثم أعاد إصدارها من جديد بعد عودته ومهما يكن من أمر فقد كان لجريدة الفلاح دور بارز ومهم في الصحافة في العهد الهاشمي فكانت «تتمتع بشيء من الحرية في التعبير عن ميولها والتنويع في أساليبها الصحفية ولذلك فقد كانت متنفسا لمشاعر محررها. كما حاولت أن توسع من أفقها الصحفي وان تدخل ألوانا صحفية جديدة في ميدان الصحافة الهاشمية» [3].

وكانت الجريدة تصدر في أربع صفحات من الحجم الكبير بواقع مرتين في الأسبوع ثم أصبحت تصدر كل اسبوع مرة واحدة في عام ١٩٢٠م وكانت تدافع في مقالاتها بشكل عام عن العروبة وتطالب باستقلال البلاد العربية أي أنها جريدة وطنية عربية الأصل أغلب مقالاتها تتسم «بالحماسة واستثارة العاطفة وكانت تكرس نفسها لخدمة القضية السورية ولكن هذا الحماس بدأ يتضاءل بعد ذلك وصار اهتمامها بشئون الحجاز يزداد يوما بعد يوم حتى أصبحت شبيهة بجريدة القبلة في آخر الأمر» [4].

---

(١) حسين نصيف، المرجع نفسه.

(٢) الشامخ، المرجع نفسه، ص ١٠٦-١٠٨.

(٣) نفسه.

(٤) الشامخ، المرجع السابق، ص ١٠٤.

وتوقفت عن الإصدار في عام ١٩٢٤[١] إثر تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه الأمير علي وبالتحديد عندما (انسحبت القوات الهاشمية من مكة)[٢].

جريدة بريد الحجاز[٣]: تنازل الشريف حسين عن الحكم لنجله الأمير علي عام ١٩٢٤م أصدر الحزب الوطني الحجازي في جدة جريدة «بريد الحجاز» في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٤م لتتحدث باسمه وتعبر عن رأيه[٤]. وأسباب صدورها كما يذكر وهيم في كتابه «مملكة الحجاز» هي الاضطلاع «بدور صحيفة القبلة التي توقفت عند سقوط الطائف ـ كصحيفة رسمية»[٥]. وهي جريدة سياسية بحت لم تنشر أية مقالات اجتماعية أو أدبية أو ثقافية أو اقتصادية أو دينية. فكان محمد صالح نصيف المدير المسئول عنها والطيب الساسي رئيس تحريرها وكانت تصدر مرتين في الاسبوع في أربع صفحات من الحجم الصغير وتطبع في جدة في المطبعة الشرقية وصدر عنها تسعة وخمسون عددا[٦].

وقد توقفت الجريدة عن الإصدار بعد تنازل الأمير علي عن العرش ومغادرته جدة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٥م وسقوط جدة كآخر مدينة في المملكة الهاشمية وزوال الحكم الهاشمي من الحجاز[٧].

---

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ٦٧. الشامخ، المرجع نفسه.
(٢) الشامخ، المرجع نفسه.
(٣) بريد الحجاز، عدد ٣٨٤ من كتاب الشامخ، المرجع نفسه، ص ١٠٨.
(٤) بريد الحجاز، عدد ٣٨ من كتاب الشامخ، المرجع نفسه.
(٥) وهيم، المرجع نفسه، ص ٦٧.
(٦) الشامخ، المرجع نفسه، ص ١٠٩-١١١. انظر أيضاً: بريد الحجاز من كتاب الشامخ، المرجع نفسه، ص ص ١٠٩.
(٧) وهيم، المرجع السابق، ص ٦٧. الشامخ، المرجع السابق، ص ١١١.

مجلة جرول الزراعية: تأسست عام ١٩٢٠م وكانت المجلة الوحيدة في الحجاز التي اهتمت بالشؤون الزراعية كما يتضح من اسمها فقد صدرت في مكة فهي مجلة «فنية زراعية تجارية صناعية تصدر في أول اسبوع من كل شهر»[١]. وقد سميت بذلك نسبة للمدرسة الزراعية في منطقة عين زبيدة. وكان يتولى أمر تحريرها عدد من طلبة المدرسة وبعض معلميها[٢] فالعدد الأول من المجلة جاء على الصورة التالية[٣]:

الافتتاحية بقلم المدير المسئول ثم المقالات التالية: الغاية من تأسيس المدرسة الزراعية بقلم التلميذ عباس سالم وبرنامج مدرسة جرول الزراعية بقلم المدير المسئول وملخص الترصدات الجوية في المدرسة الزراعية بقلم التلميذ عمر مهدي وظهور الخيل وأول من ركبها بقلم أمين بك مطر والمناظر الطبيعية والزراعية في الحجاز بقلم التلميذ عمر صيرفي ومتفرقات بقلم المدير المسئول والقواعد الأساسية لاستعمال الأسمدة الصناعية والطبيعية بقلم التلميذ عمر مهدي وتطور النبات وتغير الشخص بقلم هـ. م.

وكانت المجلة تصدر في ثلاثين صفحة أو اثنتين وثلاثين لكنها لم تعمر طويلا حيث صدر منها ثلاثة أعداد كان لها دور كبير في رسم الصحافة الحجازية ولذلك فإن ظهورها يعتبر مهما من الوجهة التاريخية، لأنها تمثل لونا جديدا من ألوان الصحافة في الحجاز وترسم اتجاها يخالف ذلك التيار السياسي الذي سيطر حينذاك على الصحافة الهاشمية.

---

(١) الشامخ، المرجع نفسه، ص ١١٢. انظر أيضا: حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) وهيم، المرجع نفسه، ص ٦٧.

(٣) الشامخ، المرجع نفسه، ص ١١٣.

المكتبات

اهتمت الحكومة الحجازية الهاشمية بالثقافة اهتماما كبيرا وواضحا وأولتها عناية خاصة لذلك ركزت على المكتبات لدورها في تثقيف الناس. وفي هذا الخصوص ضمت المكتبات «نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة وكثيرا ما درس الباحثون والمؤرخون ونقلوا منها الكتب النادرة التي أصبحت بعد طبعها في متناول العلم والمعرفة»[١]. وقد أبقت حكومة الشريف حسين على المكتبات التي كانت في العهد العثماني[٢] مع تزويدها بما يلزم من المخطوطات والمطبوعات المختلفة،ولقد بادر بعض الأهالي بإنشاء مكتبات خاصة بهم واقتناء الكتب التي تحتاجها.

وتقسم المكتبات في العهد الهاشمي إلى ثلاثة أقسام[٣]:

أ. المكتبات العامة (الحكومية).

ب. المكتبات الخاصة (الأهلية).

ج. المكتبات المدرسية.

المكتبات العامة: وهي المكتبات التي أنشأتها الحكومة وتكون لعامة الناس يدخلونها بسهولة ويسر ومن هذه المكتبات:

١ . مكتبة الحرم الشريف[٤]: وهي ملاصقة للحرم الشريف بنيت في عهد السلطان عبد المجيد عام ١٨٤٩م[٥] وقد احتوت على كثير من المطبوعات والمؤلفات والمصنفات والكتب النادرة وجمعت اليها مختلف أنواع الكتب من المساجد والمدارس وعامة الناس

---

(١) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، د ت، ص ٢٤١.

(٢) عبد الجبار، المرجع السابق، ص ١٨٦-١٩٨.علي حافظ، المرجع نفسه، ص٢٤١.

(٣) نازك، المرجع السابق ص ٣٠٦.

(٤) عبد الجبار، المرجع نفسه، ص١٨٩.

(٥) نازك، المرجع نفسه، ص٣٠٣.

وقد عين لها موظفون يهتمون بها وعملوا على تنظيمها وفهرستها وتزويدها بكتب غير عربية وبقيت مرجعا مهما لكثير من الباحثين والدارسين[1].

٢. مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت[2]: أسست عام ١٨٥٢م زمن الدولة العثمانية وقد أبقت عليها الحكومة الحجازية وقد احتوت على كثير من المخطوطات والنفائس والكتب النادرة بلغت الفين وثمانية كتب مطبوعة وستة آلاف وسبعمائة وستة وعشرين كتابا وأربعة آلاف وسبعمائة وثمانية عشر كتابا مخطوطا[3].

٣. المكتبة المحمودية: أسست في العهد العثماني زمن السلطان محمود الثاني سميت باسمه واحتوت على أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية عشر كتاباً مخطوطاً وثلاثة آلاف واثنين وسبعين مطبوعاً وسبعة آلاف وسبعمائة وتسعين كتاباً.

والملاحظ في هذه المكتبات أنها جميعها كانت داخل الحرم الشريف بأقسامه المختلفة فقد كانت مكتبة عارف حكمت تقع في الركن الجنوبي للمسجد النبوي أما المحمودية فتقع بالقسم الغربي للمسجد النبوي وجميع المكتبات العامة لها أوقاف خاصة بها يصرف عليها من ريعها[4].

ثم جمعت حكومة الحجاز جميع المكتبات العامة ووضعتها ضمن مكتبة عامة سميت مكتبة الحرم النبوي الشريف وهي تحتوي على كتب كثيرة لا سيما في الحديث النبوي والفقه وأصوله والتوحيد واللغة العربية، وفيها كتب من مختلف اللغات[5].

---

(١) نازك، المرجع السابق، ص٣٠٣.

(٢) البتنوني، المرجع السابق، ص٢٥٤.

(٣) علي حافظ، المرجع السابق، ص٢٤١. ولمزيد من التفاصيل انظر أيضاً: نازك، المرجع نفسه، ص٣٠٣-٣٠٦.

(٤) البتنوني، المرجع السابق، ص٢٥٥. علي حافظ، المرجع السابق، ص ٢٤١. نازك، المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٥) نازك، المرجع نفسه، ص٣٠٤. البتنوني، المرجع نفسه، ص ٢٥٥.

المكتبات الخاصة (الأهلية): كثيرة وعديدة وتسمى بأسماء أصحابها أبرزها[1]: مكتبة الكشميري، مكتبة الصافي، مكتبة الغازانية، مكتبة آل مدني، مكتبة حوش، مكتبة الشيخ الوزير، مكتبة السنوسي الصادقية، مكتبة آل هاشم، المكتبة الحضرمية لصاحبها أحمد عمر باخريبه، مكتبة الشيخ محمد نصيف من جدة ومكتبة الشيخ محمد ماجد كردي من مكة.

المكتبات المدرسية: وهي المكتبات الموجودة في كل مدرسة لتكون مرجعاً لطلاب المدرسة للاستفادة منها ومن الأمثلة على هذه المكتبات مكتبة مدرسة الفلاح، ومدرسة جرول الزراعية[2].

وتجدر الإشارة إلى أن مصر كانت المورد الأساسي للمؤلفات الأدبية التي اقتنتها جميع مكتبات الحجاز بأنواعها المختلفة[3].

الأندية

اهتم الشريف حسين بالرياضة لدورها الكبير في التربية، وعمل على إقامة مختلف الأندية في جميع مدن الحجاز. ففي جدة أقيم نادي الصلاة[4] الذي يهتم بالنواحي الثقافية والرياضية فكانت أغلبية أعضائه من وجهاء وأعيان جدة يجتمعون فيه مساء ويتبادلون مختلف الأحاديث والآراء السياسية والاجتماعية والثقافية والرياضية والأدبية والفكرية وغيرها[5].

---

(١) علي حافظ، المرجع السابق، ص ٢٤٤. نازك، المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٢) عبد الجبار، المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) عبد الجبار، المرجع نفسه، ص ١٨٩-١٩٧. نازك، المرجع نفسه، ص ٣٠٤-٣٠٥. علي حافظ، المرجع السابق، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٤) هنادي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٥) عبد القدوس الأنصاري، المرجع السابق، ص ١٨٨-١٩٠.

ولعل إقامة الأندية تدل على أن حكومة الحجاز كانت «تشجع نشر الوعي السياسي والثقافي والفكري ودعم الرياضة وتعميمها بين الأهالي» [1].

إذاً تطورت الثقافة في العهد الحجازي تطورا واضحا ومميزا بحيث اختلفت عما كانت عليه في العهد العثماني، وقد تمثل ذلك بالمؤسسات المختلفة التي اهتمت بالتعليم بأنواعه والمكتبات والأندية والصحافة والمطابع. فالصحافة مثلا تطورت وتميزت عما كانت عليه في الفترة العثمانية حيث مثلت صحف العهد الهاشمي مظهرا من مظاهر التطور في صحافة الحجاز فقد توافر لها من الكفاءة في التحرير ما جعلها تمتاز على صحف العهد العثماني التي كانت أقصر عمرا وأقل نجاحا في تحقيق أهدافها الصحفية بوضوح الفكرة وجمال الأسلوب ومن حيث الشكل والمضمون واتسمت أساليب تحريرها بالوضوح والجزالة[2].

وقد انعكس تطور الثقافة في الحجاز على الأدباء الحجازيين الذين أسهموا إسهامات كبيرة وعظيمة في بلورة الحياة الأدبية في الحجاز بشكل خاص بفضل رعاية القيادة الهاشمية من حيث فتح المجال للتعبير عن الرأي وإبداء المشورة.

وفي هذا الخصوص برز كثير من الأدباء الحجازيين إلى حيز الوجود نذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر وهم: محمد حسن والطيب الساسي ومحمد سعيد العامودي ومحمد صبحي وعبد الوهاب آشي وحامد كعكي وجميل حسن مقادمي ومحمد سرور الصبيان وغيرهم[3].

---

(١) هنادي، المرجع نفسه، ص ٨٠ .

(٢) الشامخ، المرجع السابق، ص ١١٤ .

(٣) عبد الجبار، المرجع السابق، ص ١٣٧ .

المطابع

لتنمية الثقافة في المملكة الحجازية شرعت الحكومة بإنشاء المطابع الرسمية والسماح للقطاع الخاص بفتح المطابع مع تطوير المطابع القائمة زمن الدولة العثمانية.

وبهذا يمكن تقسيم المطابع في العهد الهاشمي إلى نوعين هما[1]:

أ. المطابع الحكومية. ب. المطابع الأهلية الخاصة.

أ. المطابع الحكومية: كانت هناك مطبعتان هما:

١. مطبعة المدينة المنورة.

٢. مطبعة مكة المكرمة وهي مطبعة عثمانية طورتها الحكومة، واستفادت منها في طبع جريدة القبلة، ومجلة جرول الزراعية.

ب. المطابع الخاصة، كانت هناك مطبعتان:

١. مطبعة في جدة اسمها الشرقية.[2]

٢. المطبعة المخصوصة في مكة[3].

وللمطابع دور كبير في ترسيخ الأدب والثقافة في المجتمع الحجازي فقد طبعت جريدة القبلة ومجلة جرول في مطبعة مكة الحكومية أما جريدة بريد الحجاز فقد طبعت في المطبعة الشرقية في جدة[4].

---

(١) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) شامخ، المرجع السابق، ص ١١١.

(٣) نفسه، ص ١٠٤.

(٤) شامخ، المرجع نفسه، ص ١١١. ولمزيد من التفاصيل حول المطابع في العهد الهاشمي، أنظر أيضاً: السباعي، المرجع السابق، ص ٦٠٠-٦٥٠.

المؤسسات الصحية

اهتمت حكومة الحجاز بالمؤسسات الصحية بأنواعها المختلفة، خصوصا وأن الحجاز كان معرضا للإصابات المنوعة خلال موسم الحج، حيث يستقبل أجناسا من مختلف الأقطار العربية والإسلامية[١]. ولهذا أضاف الشريف حسين للجهاز الاداري وزارة للصحة كان الدكتور نديم أول وزير لها[٢]. وكذا تأسيس دائرة الصحة العمومية للقيام بمهمة الصحة العامة الضرورية في البلاد اسندت مهمتها للطبيب محمد سالم (رئيس عموم الأطباء في المحكمة)[٣] مع تزويد الدائرة بالأثاث والأدوية الضرورية اللازمة.

وتولت وزارة الصحة من خلال مديرياتها مهام متابعة النظافة في الشوارع والمحلات التجارية[٤]، بالتعاون مع البلديات[٥]، واصدار ارشادات وتوجيهات عامة للأهالي حول الصحة العامة، وشراء الأدوية والعقاقير الطبية اللازمة للمراكز والمستشفيات ومكافحة الأمراض بأنواعها المختلفة (العادية والمعدية)، والعمل الاعتيادي اليومي المتمثل بالمعالجة والمداواة والتوجيه والإرشاد[٦] وإقامة المحاجر الصحية في السواحل الحجازية[٧] وبناء المستشفيات بأنواعها والمراكز الصحية

---

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ١١٩.

(٢) القبلة: عدد ٥١٧، تشرين الأول ١٩١٦. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ١٢٦-١٢٧. انظر أيضاً: أسعد داغر، المرجع السابق، ج١، ص ٤٠-٩٣.

(٣) أسعد داغر، المرجع السابق، ص ٧٠-٧٣. القبلة، ع ١٧، تشرين الأول ١٩١٦.

(٤) القبلة ع ٣٧٧، ٢٢، نسيان ١٩٢٠.

(٥) القبلة ع ٢٩٨، تموز ١٩١٩، ع٣٧٨، نيسان ١٩٢٠، وأيضاً وهيم: المرجع السابق، ص ١١٩.

(٦) وهيم، المرجع نفسه، ص ١١٩-١٢١.

(٧) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢.

المختلفة[1] مع توجيه اهتمام خاص بصحة الحجاج والمعتمرين من خلال تشكيل هيئة لمراقبة أعمال الحجاج لا سيما الصحية[2] وعقد جلسات صحية خاصة بالحجاج في جدة.

وتتكون المؤسسات الصحية التي أوجدتها حكومة الحجاز عام ١٩١٦م من خمس مؤسسات على النحو التالي[3]:

أ. المراكز الصحية بالمدن:

أنشأتها الحكومة في المناطق الحجازية المختلفة تقدم الخدمات الطبية اليومية المعتادة للأهالي من حيث العلاج والارشاد الصحي كما تقوم بتقديم المطاعيم والمعالجة لبعض الأمراض القائمة في تلك الفترة كالجدري والطاعون بحيث ترشدهم وتوجههم لخطورة هذه الأمراض بشتى الوسائل المتاحة ومنها الإعلان في الجريدة الرسمية[4]. فمثلا قدر عدد الذين ترددوا على دائرة صحة مكة بين (٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ ٥٠٠٠) شخص في الشهر ويحال من يقتضي بقاؤه في المستشفى إلى غرف الراقدين لمعالجته.[5].

---

(١) لمعرفة التفاصيل حول بناء المستشفيات انظر أعداد القبلة ارقام: ٤٩٣، ٢٠حزيران ١٩٢١، ١٠٩، أيلول ١٩١٧، ٧٧، آذار ١٩١٧، ٢٤٧، نيسان ١٩١٩.

(٢) القبلة ع٣٧٧ ، نيسان ١٩٢٠.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الخدمات الصحية، انظر أعداد القبلة: ٢٩٥، تموز ١٩١٩، ٧٤، آذذار ١٩١٧، ١٩١٧، ٤٩٣، ٢٠حزيران ١٩٢١، ١٠٩، أيلول ١٩١٧، ٧٧ آذار ١٩١٧، ٢٧٤، نيسان ١٩١٩، و٣٧٧، ٢٢ نيسان ١٩٢٠. انظر أيضا: حسين نصيف، المرجع نفسه، ص ١٠١-١٠٢. وأيضا: وهيم، المرجع نفسه، ص ١١٧-١٢٥ .

(٤) القبلة، ع٦٣، آذار ١٩١٧، ع ٣٠٢، تموز ١٩١٩، ع٥٦، شباط ١٩٢٠، ع٥١٦، أيلول ١٩٢١، ع٤٧٧، ع٤٧٧، نيسان ١٩٢١.

(٥) وهيم، المرجع السابق، ص ١٢١ .

ب. المستشفيات الثابتة والمتنقلة[1]:

أنشأتها الحكومة في بعض المدن الرئيسية الحجازية وكانت على النحو التالي:

مستشفى الغرباء في المدينة المنورة ومستشفى إدارة الصحة العمومية في مكة ومستشفى مكة الوطنية والمستشفى العربي في جدة ومستشفى في جدة للأمراض العادية ومستشفى في جدة للأمراض المعدية (السارية).

واستهدفت الحكومة من إقامة المستشفيات في جدة للأمراض المعدية نظرا لأنها مدينة تستقبل الحجاج والمعتمرين من كل البلاد وقد انتشر في تلك الفترة بعض الأمراض السارية كالجدري والطاعون فمن خلال هذه المستشفيات تتم معالجة الحجاج والمعتمرين المصابين بهذه الأمراض ومن ثم يسمح لها بالدخول لأداء مناسك الحج.

أما المستشفيات الميدانية، فقد أنشأت حكومة الحجاز مستشفى ميدانياً واحداً خاصاً بالحجاج في منطقة بحيرة بين جدة ومكة لمعالجة الحجاج القادمين من جدة وقبل دخولهم مكة[2] من حيث معالجتهم وتوجيههم وإرشادهم صحياً. وضمت المستشفى عدة أقسام أهمها[3]: قسم للطوارئ، قسم العيادات الخارجية، غرف للعمليات، صيدلية لصرف الأدوية، منامات للأطباء والممرضين.

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول المستشفيات انظر أعداد القبلة: ٤٩٣، ٢٠حزيران ١٩٢١و ١٠٩، أيلول و٧٧ آذار ١٩١٧ و٢٤٧، نيسان ١٩١٩.

(٢) القبلة ع ٢٩٥، تموز ١٩١٩.

(٣) انظر الهامش وهيم، المرجع نفسه، ص ١٢١.

ج. المحاجر الصحية:

وهي مناطق خصصتها الحكومة في السواحل الحجازية أهمها جزيرة سعد[١] وجزيرة واسط[٢] بهدف حجز الوافدين من الدول المجاورة سواء للعمل أو لأداء فريضة الحج والعمرة وفحصهم طبيا وحجز المصابين منهم بالأمراض المعدية كالجدري والطاعون مدة عشرة أيام تتم فيها معالجتهم ثم السماح لهم بالدخول الأراضي الحجازية[٣]. اما المشكوك فيهم فيتم حجزهم خمسة أيام يتم فحصهم والتأكد منهم والسماح لهم بعد ذلك بدخول الأراضي الحجازية[٤].

ولكل محجر مدير عام تعينه الحكومة ومفتش، ومجموعة من الموظفين لخدمة المحجر مع وجود كادر طبي متخصص في كل محجر[٥].

د ـ المؤسسات الصحية العسكرية[٦]:

خاصة بالقوات المسلحة الحجازية حيث تحتوي الكتائب العسكرية على شعب صحية عسكرية فيها رئيس للصحة وأطباء وممرضون وكادر طبي كامل وشامل.

---

(١) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠١.
(٢) وهيم، المرجع نفسه، ص ١٢٠ .
(٣) حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢.
(٤) القبلة، ع٧٤ ، آذار ١٩١٧. لمزيد من التفاصيل حول المحاجر الصحية. أنظر أيضاً: وهيم المرجع السابق، ص ١٢٠. وأيضاً: القبلة، ع٧٧ ، آذار ١٩١٧.
(٥) وهيم، المرجع نفسه، ص١٢١.
(٦) وهيم، نفسه، ص ١٤٢.

الفصل الرابع

علاقة الشريف بالقوى السياسية في شبه الجزيرة العربية

الفصل الرابع

علاقة الشريف بالقوى السياسية في شبه الجزيرة العربية

إذا ألقينا نظرة عامة على الأوضاع الداخلية في الجزيرة العربية بعد إعادة العمل بالدستور في الدولة العثمانية فإننا نجد أن عرب الجزيرة شاركوا باقي إخوانهم العثمانيين عامة والعرب خاصة فرحتهم وابتهاجهم بنجاح ثورتهم سنتي ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م[١]، وتمنوا الخير الكثير على يد رجال جمعية الاتحاد والترقي. غير أن شعورها هذا وما ترتب عليه من مواقف عملية اختلف اختلافا بينا في الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة عنه في باقي العالم العربي ويرجع سبب ذلك إلى أن الجزيرة العربية كانت متخلفة حضاريا وثقافيا عن باقي الجماعات العربية التي في خارجها تبعا للظروف الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية فيها فالجزيرة العربية تتميز بأنها وحدة سكانية وحضارية واجتماعية واحدة بالرغم من وجود بعض الاختلاف بين مناطقها وقد أدى هذا الوضع الجغرافي الاقتصادي إلى تحديد أوضاع اجتماعية خاصة بالجزيرة بوجه عام وأوضاع اجتماعية معينة مقصورة على بعض مناطقها. على أن الوحدة الاجتماعية السائدة في الجزيرة كلها هي القبيلة بكل ما لها من صفات فكرية ونفسية

(١) رافق، المرجع السابق ص ٣٨٤. الدسوقي، المرجع السابق، ص ٢٠٣.

وأوضاع اقتصادية واجتماعية تؤدي كلها إلى سلوك ومواقف تختلف تماما عما في العراق والشام مصر.

وقد أدى هذا الوضع الاجتماعي بالتالي الى تشكيلات سياسية خاصة أيضاً، فكانت الوحدة السياسية في الجزيرة تتمثل في الامارة أو المشيخة المحددة المساحة التي تعتمد على النفوذ الأسري القبلي في ظاهره، أو الإمامة التي تقوم على فكر ديني مذهبي وتفرض سلطانها على منطقة يسكنها الاتباع والمريدون الى جانب غيرهم كما كان الحال بالنسبة للإمامة الزيدية في اليمن.

وإلى جانب الأوضاع الخاصة بالجزيرة والتي أدت إلى التفتيت السياسي لسكانها فإن الاستعمار الأوروبي وخاصة الانجليزي كان من العوامل المؤكدة لهذا التفتيت. ذلك لأن بريطانيا أدركت الأهمية الاستراتيجية الكامنة في الجزيرة العربية لتأمين طريقها الى الهند فاحتلت عدن في سنة ١٨٣٩م[١]، وبدأت تتوسع لبسط نفوذها في السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية، كما زادت رغبتها في ذلك بعد افتتاح قناة السويس في سنة ١٨٦٩م[٢]، فأصبحت القاعدة الرئيسة، لمستعمراتها الآسيوية في الهند[٣]. وقد أدى التدخل البريطاني في الجزيرة العربية الى تفتيت وحدتها السياسية الى جانب ما أصيبت به من عوامل تفتيت داخلية، وكان كل ذلك مؤدياً بالتالي إلى تغيير أفكار ومواقف أهل الجزيرة العربية عن باقي أجزاء العالم العربي العثماني[٤].

ظهر الأختلاف بين عرب الجزيرة، وبقية العالم العربي العثماني حول أساليب العمل الإيجابي لتحقيق المطالب القومية ومن التجاوز حقيقة أن توصف أفكار أهل

---

(١) الدسوقي، المرجع نفسه، ص ١٢٧.

(٢) رافق، المرجع السابق، ص ٤٣٩.

(٣) رافق، المرجع نفسه، ص ٣٣٧.

(٤) السيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، اليمن والامام يحيى (١٩٠٤-١٩٤٨)، ط ١، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة ١٩٦٣، ص ١٩٠-١٩١.

الجزيرة في العشرينيات من القرن العشرين بأنها أفكار «قومية»، إذ أنهم كانوا ينادون بصورة جديدة للحكم في بلادهم، أو بمطالب معينة مثل «اللامركزية» بالصورة التي عرضها حزب اللامركزية العثماني، الذي اتخذ القاهرة مقراً له، أو تحويل الامبراطورية العثمانية إلى امبراطورية ثنائية الطابع وفقا لما نادت بها الجمعية القحطانية. لكن الأوضاع الخاصة لأهل الجزيرة جعلت أفكارهم تتبلور حول مطلب واحد تمسكوا به إزاء الاتحاديين، وهو أن يتركوهم وشأنهم يديرون أمرهم بأنفسهم دون تدخل حكومي (مهما كان نوع هذه الحكومة وجنسيتها) مع رضائهم واعترافهم بالسيادة العثمانية، تماشياً مع عقائدهم الدينية المتحكمة، ونظريتهم المقدسة للخلافة الاسلامية التي كان السلطان عبد الحميد قد أحيا شأنها معتمداً على جمال الدين الافغاني ومحمد عبده اللذين كانا من دعاتها، هذا الى جانب تميز وسائل أهل الجزيرة في تحقيق مطالبهم عن غيرهم من سكان البلاد العربية الشمالية كالعراق والشام ومصر، فبينما كان أسلوب القوميين العرب يتمثل أساساً في تكوين الجمعيات والأحزاب السياسية، وعقد المؤتمرات والالتجاء الى التشكيلات السرية، والاعتماد على المنشورات في نشر دعوتهم، إذا لم يتمكنوا من إصدار صحف ومجلات، فإن عرب الجزيرة عبروا عن عدم رضائهم عن حكم الاتحاديين بالثورات المستمرة ضد الحاميات العثمانية الموجودة في أراضيهم، أي أن الأساليب السلمية في التعبير عن المطالب القومية كانت مجهولة لديهم، لهذا كانوا يلجأون إلى طريقتهم الخاصة، التي ألفوها حتى في منازعاتهم الشخصية، وهي القتال والكر والفر، والالتجاء الى الجبال والفلوات أو الهجوم المباغت الى غير ذلك من أساليب القتال الشائعة بين رجال القبائل العربية وقد كانت حياة عرب الجزيرة ببساطتها الاولية توحي اليهم بنوع التفكير وأسلوب العمل.

بدأت علاقة الاتحاديين بالجزيرة العربية بعملين لهما أهميتهما بالنسبة لتطور الأحداث في الحجاز في تلك الفترة، أولهما: افتتاح سكة حديد الحجاز رسميا في شهر

أيلول ١٩٠٨م، وكان الخط قد بلغ المدينة، وثانيهما: النتائج العملية التي ترتبت عليهما، فوصول خط سكة حديد الحجاز الى المدينة معناه تأكيد سيادة ونفوذ الدولة العثمانية في الحجاز لأنه ضمن لها وسيلة فعالة لنقل الجنود والمعدات في أسرع وقت وأسلم طريق، وهذا ما حدث فعلاً، إذ أصبح الحجاز مركزاً تنطلق منه الوسائل التنفيذية لإخضاع المتمردين في جهات الجزيرة المختلفة وخاصة في بلاد الحجاز كما أن تعيين الشريف حسين كانت له أهميته وخطورته كذلك، إذ أن الاتحاديين عينوه بالرغم من إرادة السلطان عبد الحميد، وكانوا يطمعون كثيراً في أن يكون أداة طيعة في أيديهم واذا كان الشريف حسين سيساعدهم حربياً ضد الإدريسي وسيسهم بنصائحه واتصالاته بالامام يحيى سعياً وراء الصلح بينه وبين السلطان، فإن الخلاف سرعان ما دب بين الاتحاديين وبين الشريف حسين نظرا لقيامه منذ وصوله إلى مكة بجذب القبائل حوله وحول الأشراف، بعد أن كانوا قد أهملوا في أثناء حكم من سبقه، لهذا خشي الاتحاديون من سياسة الحسين الذي يريد أن يثبت وجوده في بقعة هامة داخل دولتهم، فرفضوا من ثم وساطته بينهم وبين الإدريسي والإمام يحيى.

وقد أدى وجود زعامات محلية بالجزيرة العربية الى تحديد الخطوط العامة لخريطتها، وهم الذين استطاعوا أن يستمدوا كيانهم وسلطتهم من ظروف اجتماعية وتاريخية خاصة بمناطقهم، فكان هناك الشريف حسين في مكة، وعبد العزيز آل سعود في الرياض، والإدريسي في صبيا في عسير، والإمام يحيى فوق الجبال الشمالية في اليمن، وآل الرشيد في حائل في شمال الجزيرة، والصباح في الكويت، والى جانب هؤلاء كانت هناك مشيخات وإمارات الساحل الشرقي والجنوبي للجزيرة العربية.

وقد كان العثمانيون والانجليز يمثلون القوتين الفعالتين في أحداث الجزيرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكان نفوذ العثمانيين يختلف قوة وضعفاً من مكان الى آخر في هذه البقاع، تبعاً لصلتهم بالزعماء المحليين وتبعاً لقوة

الحامية العثمانية التي تمثلهم في المنطقة، فبينما كان الشريف حسين في الحجاز، والدولة ترقب تصرفاته بحذر، وكانت لها حامية عثمانية دائمة في المدينة، فقد كان أمراء آل الرشيد في حائل يعترفون بسيادة العثمانيين عليهم، وكثيراً ما كانوا يستنجدون بالاتراك ضد عدوهم عبد العزيز آل سعود.

أما عبد العزيز آل سعود فقد كان في خصام مع الترك لأنهم يساعدون آل الرشيد ضده في القصيم، لذلك قويت علاقته مع الكويت التي كانت تخضع للحماية البريطانية منذ ١٨٩٩م، وكان الشيخ مبارك الصباح يعتمد على مساندة بريطانيا له وخاصة منذ سنة ١٩٠٣م وقد تعاون الصباح مع ابن سعود في مهاجمة عشائر المنتفق بالعراق، وكان الأتراك كثيراً ما يعتمدون عليهم ضد ابن سعود كما هاجم كلا الأميرين ـ الصباح وابن السعود ـ جبل شمر أيضاً، خاصة أن الامير سعود بن الرشيد الذي تولى الامارة سنة ١٩٠٨م كان طفلا صغيراً وتولى الوصاية عليه أبناء عمومته، وكانت للعثمانيين السيادة العسكرية في الاحساء إلا أنها لم تدم طويلاً، ففي ربيع سنة ١٩١٣م، انقض عبد العزيز آل سعود على «الاحساء» وأخذ «الهفوف» ثم بعد فترة قصيرة استولى على «القطيف» وأخرج الترك عسكريين ومدنيين من هذه المنطقة، بعد أن مكثوا بها أكثر من أربعين عاماً، وهنا بدأ ابن سعود محاولاته للاتصال بالانجليز والاستعانة بهم، وكان لأمير الكويت دور في التقريب بين الطرفين.

أما في جنوب غرب الجزيرة فقد كان الإمام يحيى والإدريسي يتمتع كل منهما بوضع خاص في اليمن وعسير ويناوئان الحكم العثماني هناك واستمر الصراع دائراً بينهما وبين الدولة العثمانية حتى عقد صلح دعان في سنة ١٩١١م، مع الامام يحيى [1]، بينما واصل الإدريسي ثورته ضد الأتراك حتى بعد قيام الحرب العالمية الأولى، أما نفوذ

---

(١) السيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص ١٩٦-٢٢٠.

العثمانيين في الساحل الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية فقد كاد يكون معدوماً، إذ كان الإنجليز هم أصحاب النفوذ الفعلي المباشر في هذه الجهات عن طريق الاحتلال والسيطرة الفعلية، وكذلك عن طريق المعاهدات مع الزعماء المحليين.

وعندما تسلم الشريف الحسين بن علي الإمارة عام ١٩٠٨م بدأ يعمل على اكتساب صداقة القوى السياسية المجاورة تأمينا لحكومته وإدارته الحجاز، فحصد نتائج سياسته واكتسب ود الحجازيين وعرب الجوار[١]، واستمر في طريق تحسين علاقاته مع تلك القوى وفي نفس الوقت أخذ يرتب شؤون إمارته الداخلية[٢].

كانت خريطة القوى السياسية في شبه الجزيرة العربية عند تسلم الشريف الحكم كما يلي[٣]:

١. ولاية الحجاز والسلطة فيها للشريف والوالي العثماني.

٢. ولاية اليمن والسلطة فيها للإمام يحيى بن حميد الدين الزيدي.

٣. منطقة عسير والسلطة فيها لمحمد بن علي الإدريسي، والمتمركز في جبال عسير، ويستمد قوته من البريطانيين[٤].

٤. إمارة نجد وعاصمتها الرياض والسلطة فيها لعبد العزيز آل سعود.

٥. إمارة جبل شمر وحاضرتها حايل والسلطة فيها لابن رشيد.

---

(١) انظر: سيار الجميل، المرجع السابق، ص١٠-٤٠. حسين نصيف، المرجع السابق، ص١١٦-١١٧.

(٢) انظر: وهبه، المرجع السابق، ص١٤٠-١٩٥. حسين نصيف، المرجع نفسه.

(٣) سليمان الموسى، الحسين بن علي، باعث النهضة العربية الحديثة، وزارة الشباب الأردنية، ط٢، عمان ١٩٩٥م، ص٤٠. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٠.

(٤) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٥.

٦. عدن ومشيخات وإمارات الخليج العربي المعروفة بساحل عمان وتخضع لبريطانيا.

وقد كانت علاقة الشريف بهذه القوى المحيطة في مجملها تتسم بالعداء مع بعضها أحياناً وبالتفاهم والود مع بعضها الآخر وحسب مقتضى الظروف، فقد كان يعمل بإخلاص للدولة العثمانية من واقع تبعيته لها في ولاية الحجاز ويحرص كل الحرص على الإبقاء عليها، حتى لقد حارب جيرانه الأمراء من العرب كي يبقي على هيبة الدولة وقوتها، وبنفس الوقت معلنا الولاء والطاعة للدولة وأنه مخلص لها وسيحارب من أجلها ومع العمل على المحافظة على حقوقه في إطار توثيق علاقته سلميا مع جيرانه من أمراء ومشايخ الخليج[١]. لكنه وعلى ما يبدو اتضح له أن توثيق العلاقة بهذا الشكل لم ينفع، فبدأ بممارسة نشاطه بالقوة العسكرية، من أجل توسيع نطاق إمارته[٢] فاصطدم بالقوى الأخرى.

وعلى هذا سنتناول في هذا الفصل علاقة الشريف بنجد وعلاقته مع عسير، ومع اليمن ومع إمارة حايل.

العلاقة مع نجد

طلبت الدولة العثمانية من الشريف محاربة كل من يحاول الاعتداء عليها أو الانفصال عنها، ذلك أن الأمير عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة نجد لم يعترف بالدولة العثمانية بل خرج عليها، وكان يمارس ضغوطا على قبيلة عتيبة التابعة للشريف ـ والتي

(١) فريحات، الثورة العربية، ص٦٤. موسى الحسين بن علي، ص٣٩. المومني، المرجع السابق، ص ٤٠٩.
(٢) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٣١٥ـ٣٢٥. Hogarth : Arabia, p122.

تشكل منطقتها حدا مشتركا للحدود مع نجد ـ من خلال مطالبتها بدفع الزكاة والضرائب، فكانت رغبة الدولة العثمانية فرض سيادتها وسيطرتها على ابن سعود[1].

وعلى هذا أرسل الشريف كتابا إلى ابن سعود يأمره بالكف عن الاعتداء على القبائل المجاورة لا سيما قبيلة عتيبة، ويأمره بإعلان الولاء والطاعة للدولة العثمانية، لكنه رفض ذلك، فما كان من الشريف إلا أن أعد حملة عسكرية من البدو والحضر لمقاتلته، وتحرك بهم في عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) حتى وصل وادي الخرمة من أراضي عتيبة (نجد)، وهاجم قبيلة الدواسر وكان معهم سعد شقيق الأمير عبد العزيز بن سعود الذي جاء لمحاربة جيش الشريف [2]، لكن قوات الشريف تمكنت من تحقيق النصر على الخارجين من قبيلة الدواسر وأسر سعد.

ثم تحركت قوات الشريف باتجاه الشرق حتى وصلت إلى منطقة خربة القصيم (منزل القويعية) ودارت مراسلات عديدة بينه وابن سعود لوقف القتال وفك أسر سعد، وتوسط خالد بن لؤي[3] أمير واحة خرمة بينهما وحثهما على التفاهم بشكل

---

(١) موسى، الحسين باعث النهضة، ص٣٨.

(٢) كنت وليمز، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، تعريب كامل صموئيل، مسبحة المطبعة الادبية بيروت، ١٩٣٤، ص٦٠-٩٠. سعيد عوض باوزير، المرجع السابق، ص١١٥ ـ ١٢٥، حسين نصيف، المرجع السابق، ص١٨. خير الدين الزركلي، شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، أيار ١٩٩٠، ص٣٠٧. موسى، الحركة العربية، ص٥٢.

Philby john. H. St. Saudi Arabia,Library of Lebanon,Raed Saleh Beirut published in 1966. P. 257.

(٣) خالد بن لؤي أحد الأشراف الذين اعتمد عليهم الشريف حسين في إمارة الخرمة عام ١٩٠٩ خلفا لأخيه الذي كان بدوره خلفا لوالده منصور بن لؤي.وقد ظل خالد مواليا للشريف حتى حصار المدينة ١٩١٨. وجدير بالذكر ان أشراف الخرمة كانوا يعينون من قبل شريف مكة. أنظر: أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ج١، مطابع المؤسسة العربية، جدة، ١٣٨٥ هـ، ص ٢٠٧. وأيضا: أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج٢، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ت، ص ٨١.

سلمي[1]، وقد جاء في إحدى الرسائل أن الشريف طلب من ابن سعود أن يتنازل عن الحكم ويعلن الولاء والطاعة للدولة العثمانية.

أبدى ابن سعود استجابة لمطلب الشريف، وتوقف عن القتال بعد أن كان قد استعد لمقاتلته[2]، لكنه تراجع لسببين، أولهما يتعلق بخوفه من جيش الشريف، والثاني خوفه على شقيقه سعد الموجود في الأسر، لذا أعلن الطاعة والولاء للعثمانيين[3]. وأرسل إليه قائلا: «ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الدستورية، وتعرضوا إخلاصنا وخدماتنا الصادرة في مرضاة دولتنا الدستورية، وتروني حاضرا استعدادا مع عموم أهل نجد لكل ما تكلفوننا به، افدي السدة العثمانية بعزيز روحي» [4].

وقد رحب الشريف بكتاب ابن سعود فأطلق سراح شقيقه وأعاده إلى أهله معززا مكرما[5]، ووقعت بين الطرفين وثيقة اعتراف وصلح، إلا أن الريبة ظلت تطغى على جو العلاقات رغم ما لاح فيها من المشاعر الودية في حينه، جاء فيها «هذا ما تعهد بإنفاذه والعمل بموجبه حضرة الأمير عبد العزيز آل سعود ولحضرة أمير مكة الحسين علي باشا:

- عدم التعرض لعتيبة كافة بحال من الأحوال أو كل ما يحسب ويعد من التعرض عليهم من زكاة أو خلافه.

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣١٩. خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ص٣٠٧ .

(٢) علي فهمي، الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية، مجلة المنار، م ١٣، ج١، ١٩١٠ ص ٧٩٣. انظر ايضاً: .P257. Phil by Saudi: Arabia,

(٣) Phil by Saudi : Arabia, p257 . أمين سعيد، اسرار الثورة، ص١١٢.

(٤) حافظ وهبة، جزيرة العرب، ص ٢٠٧ ـ٢٣٢.

(٥) علي فهمي، المرجع السابق. موسى، الحركة العربية، ص٥٢.

- عدم اخذ الباج[1] منهم بأي صورة كانت من أي قرية أمدوها، وإذا وقع منهم ما يخالف يخير فيه.

- إطاعتي لأمير مكة بأي أمر يأمره حسبما تقتضيه حقوق ومنافع الدولة العلية كما ذكرت في كتاب سابق.

- القصيم وبريدة وتوابعها خيرة أهلها إذا جاءت منهم مضبطة بأنهم مختارون إمارة الأمير عبدالعزيز الموصى إليه صاحب هذا العهد فيبقى تحت يده ويدفعون ثلاثة آلاف مجيدي سنويا باسم الخزينة العامرة السلطانية بمكة المكرمة وان ما جاء منهم مضبطة فيتعين أمير برضاهم ويدفعون المبلغ المذكور ويكون وصول المضبطة في أواخر شهر شوال ١٣٢٨هـ أي تشرين الأول ١٩١٠م» [2].

لقد كان هدف الشريف الأساسي «رفع العلم التركي (العثماني) على إقليم كان تابعاً للدولة العثمانية، تركيا، وهو كل ما كانت تطلبه تركيا في الصحراء» [3].

وبعد الانتهاء من الحملة كانت العلاقات السياسية بين الحكومة العثمانية وابن سعود تحسنت، ولو أنها تدهورت فترة من الفترات بعد تعرض قبائل من نجد التابعين لابن سعود لولاية الإحساء الموالية للدولة العثمانية بالنهب والسلب والفتك[4].

وإذا تمعنا في الحملة التي قادها الشريف الحسين ضد ابن سعود نجد أنها قد تمت بأمر الحكومة العثمانية كيف لا والشريف نفسه كان تابعا للدولة، وقد أكدت الروايات

---

(١) الباج: اتاوة (ضريبة) تؤخذ على الغنم، انظر معجم اللغة العربية باب الباء.

(٢) موسى، الحركة، ص١٧٢ـ١٧٣.

(٣) سانت جون فيلبي، الذكرى العربية الذهبية، ترجمة مصطفى كمال فايد، ملتزم الطبع والنشر مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٩.

(٤) محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص٢٥٩ـ٢٦١.

أن مراسلات عديدة تمت بينه وبين الحكومة العثمانية بهذا الشأن لأن موقف الدولة في هذه الحملة لم يكن واضحاً وغير مفهوم «لابن سعود نفسه»[1]، وعندما أرسل ابن سعود رسالته للشريف ضمن فيها قوله: «بأنه ليس نزاعاً مع الحكومة العثمانية وان أهل نجد الذين اختاروه حاكما يعترفون بسيادة السلطان عليهم»[2]. ومن هنا يتضح لنا أن ابن سعود كان يعترف بسيادة الدولة العثمانية.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م قررت الحكومة الاتحادية دخولها إلى جانب ألمانيا، فدارت مراسلات بين الشريف الحسين وأمير نجد بهذا الخصوص، وأخذ كل منهما موقف الحذر والمراقب بشكل دقيق للأحداث، وفي هذا الخصوص أرسلت الحكومة الاتحادية زعيم البصرة طالب النقيب للأمير سعود لحثه على العمل بالمعاهدة لا سيما البند المتعلق بمساعدة الدولة في حال اندلاع الحرب من أجل نصرتها وتزويدها بالمؤن والأسلحة، وأن يأمر ابن سعود بمهاجمة الشريف الحسين الذي بلغ النزاع بينه وبين الاتحاديين ذروته عام ١٩١٤م[3].

وبدأت مفاوضات جديدة تدخل إلى حيز الوجود بين بريطانيا وابن سعود، وقد مثل بريطانيا في المفاوضات الكابتن شكسبير وكيلها في الكويت، لا سيما في موضوع الخلافة لأن بريطانيا تقول: «إذا كان سلطان تركيا سوف يزول فإن الخلافة ستؤول بموافقة المسلمين الجماعية ـ الى أسرة النبي ـ التي يمثلها في الوقت الراهن شريف مكة، وإذا ما بلغت الأمور هذا الحد فإن الشريف سيحصل على تعضيد ابن سعود» [4]، وفي نفس العام بعث شكسبير رسالة ثانية إلى كوكس مفوض بريطانيا في الهند أوضح فيها

---

(١) الفواز، المرجع السابق، ص٨٠ـ٨٣.

(٢) فتوح عبد المحسن الخترش، العلاقات السعودية اليمنية، ١٩٢٦ـ١٩٣٤م، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣م، ص٥٢.

(٣) امين سعيد، اسرار الثورة، ص١١٢. موسى، الحركة، ص١٧٧.

(4) P.R.OF.O 882/15 .

أن أمير نجد تسلم رسالة من الشريف يطلب فيها إعداد قوة عسكرية للمشاركة في الحرب.

وقد أرسل ابن سعود لشكسبير رسالة أوضح فيها أنه سيقنع الشريف بعدم دخول الحرب لصالح الاتحاديين، أو التزام الحياد، لأن البريطانيين سيهاجمون جدة إذا ما دخل الشريف الحرب لصالح الاتحاديين[١]، وقد أوضح شكسبير في رسالته أن الشريف إذا تعاون مع الاتحاديين فإن ابن سعود سيجد نفسه وبصورة عفوية يدخل الحرب مع قبائله وعربانه لصالح الشريف حسين[٢].

وأثناء الحرب قام أمير نجد (ابن سعود) بإرسال الرسائل الى أمراء العرب الشريف حسين، وشيخ الكويت، وابن رشيد وقال فيها: «قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب فأرى أن نجتمع للمذاكرة علنا نتفق فننقذ العرب من أهوالها، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا[٣]». وكان جواب ابن رشيد أنه سيقف إلى جانب الاتحاديين في الحرب.

ومع ذلك ظلت علاقة الشريف الحسين بأمير نجد ابن سعود قائمة على الود والاحترام مع التحفظ على مسألة الحدود، والدليل على ذلك[٤]، أنه عام ١٩١٥م ثارت قبيلة العجمان في منطقة الإحساء التابعة لابن سعود ضده فخرج ابن سعود لتأديبهم لكن هُزم وقُتل أخوه سعد فاغتنم ابن رشيد الفرصة لمهاجمة القصيم التابعة لابن سعود، فلما علم الشريف بحملة ابن رشيد أرسل ابنه عبدالله الى نجد لنصرة ابن سعود، ولما علم ابن رشيد بقدوم حملة الشريف ارتد إلى جبل شمر وعاد الأمير عبدالله

---

(١) موسى، الحركة، ص١٧٧ .

(2) P.R.OF.O 371/6237 .

(٣) امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، بيروت ١٩٢٨م، ص ١٩٦.

(٤) انظر موسى، الحركة العربية، ص١٧٦ـ١٨١. انظر أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢ـ ١٠١.

إلى الحجاز. ولما وقع ابن سعود في ضائقة مالية كبيرة أرسل للشريف رسالة يطلب منه ان يقرضه ستة آلاف ليرة، وقد لبى الشريف طلبه.

وعلى ما يبدو فإن الدولة العثمانية لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه الأحداث التي أخذت تظهر وتشكل خطراً حقيقياً عليها لا سيما أحداث الحرب العالمية الاولى والاتفاقيات التي تنوي بريطانيا عقدها مع ابن سعود وغيره، فبدأت تتحرك وتتحالف مع أمراء الجزيرة العربية لمساندتها في القضاء على البريطانيين وحليفهم الشريف حسين، ومن هنا أرسلت حكومة الاتحاديين وفدا برئاسة السيد طالب النقيب زعيم البصرة للتفاوض مع أمير نجد ابن سعود وعقدت اجتماعات عديدة وكثيرة كان آخرها الاجتماع الذي عقد بالكـويت وتم فيه التوقيع على معاهدة بين الحكومة العثمانية وأمير نجد بتاريخ ١٥ أيار ١٩١٥م ومن أهم بنودها(١): الاعتراف بابن سعود متصرفا على الإحساء والتزامه بمساعدة الدولة إذا دخلت الحرب ويتعهد برفع العلم العثماني في منطقته واستخدام الطوابع العثمانية في ولايته في مقابل اعتراف الدولة العثمانية بولاية ابن سعود على نجد هو وذريته من بعده مع عدم السماح له بالتدخل في الشؤون الخارجية، وعدم استعانته بأية دولة أجنبية مهما كانت الظروف.

وفي العام نفسه أدركت بريطانيا خطورة الموقف والتحالف الذي عقد بين (الاتحاديين وابن سعود) والذي يشكل خطراً حقيقياً يهدد مصالحها ووجودها في المنطقة فبدأت باتصالاتها ومفاوضاتها مع ابن سعود انتهت بتوقيع معاهدة في ٢٦ كانون الأول ١٩١٥م أطلق عليها اتفاق العقير اعترفت بريطانيا بموجبه بالدولة السعودية وتبادل المصالح المشتركة بينهما وتوثيق أواصر الصداقة. بعد هذه الحادثة

---

(١) موسى، الحركة العربية، ص١٧٧.

عادت العلاقات الطيبة ذات التعاون المبني على المصالح المشتركة أكثر مما كانت عليه بعد توقيع وثيقة الاعتراف[(١)].

ولكن عندما قام الشريف بالثورة في حزيران ١٩١٦م لإسقاط الحكم التركي لم يُبدِ ابن سعود موقفا واضحا منها، فقد تلقى النبأ بتحفظ زائد مع القلق والخوف من مطامع الشريف التي قد تؤثر على مصالحه وحكمه، غير أن بريطانيا لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على مصالحها بمساعدة الشريف وتطمين ابن سعود من خلال مفوضها كوكس الذي تربطه علاقة صداقة واحترام مع ابن سعود وكلفته بالتخفيف من تخوفه وتطمينه. لكن تأكيدات كوكس لم تجد نفعا فقد عبر ابن سعود عن قلقه برسالة بعثها له في ٢٠ تموز ١٩١٦م يستفسر فيها عما إذا كان الشريف قد حصل على تعهد بريطاني يمنحه الحق في زعامة العرب، مبديا تخوفه من انعكاسات ذلك على نجد أرض آبائه وأجداده، وقد اقترح تخفيف المساعدات الممنوحة للشريف وفي الوقت نفسه لم يظهر ابن سعود أي احترام وتقدير للشريف[(٢)].

وفي محاولة لتهدئة قلق ابن سعود أرسل له الشريف أموالا ورسائل ودية[(٣)]، يحثه على مقاتلة العثمانيين، ولتخوف ابن سعود من أمر الأموال التي أخذت تتوالى عليه أخذ يتحقق من الأمر وبدأ بالتشاور مع أمراء وشيوخ نجد في الوقوف مع الشريف، وفي آب ١٩١٦م أرسل رسالة للشريف أكد فيها وقوفه لجانبه في القتال والاستعداد لإرسال أخيه للإسهام في ذلك. غير أن ابن سعود وتجنبا للمشاكل أكد للشريف ضرورة ترسيم الحدود المشتركة بينهما، فما كان من الشريف إلا أن غضب منه واتهمه

---

(١) انظر موسى، الحركة العربية، ص١٧٦ـ١٨١ .

(٢) موسى، نفسه.

(٣) صلاح الدين المختار، المرجع السابق، ص ١٨١ـ١٨٢ . موسى، الحركة، ص٦٠٢ .

بالجنون، وحثه على نزع الشكوك من نفسه وبأنهم «شركاء في كل شيء إلا ما حرمه الله»[1].

على أية حال لم يطمئن ابن سعود من حديث الشريف لا سيما في مسألة الإهانة، ومن ثم اتصل بالشريف علي حيدر الذي اختاره الاتحاديون شريفا لمكة بدلا من الشريف حسين، وابدى له استعداده للوقوف بجانبه ضد الشريف حسين في رسالة في آب ١٩١٦ أوضح فيها استبداد حكم الشريف حسين وظلمه لبلده وأهله وأنه يراوغ ويخادع ومحاولاً إثارة الفتنة والبغضاء بين أمراء وسكان الجزيرة العربية وكل ذلك خدمة لمصالحه الشخصية وأشار إلى أنه على استعداد لتقديم العون والمساعدة ويحتاج لكميات كافية من الامدادات الحربية للقضاء على الشريف الذي أصبح وضعه ضعيفاً ويمكن دحره بسهولة[2]. كما اتصل بفخري باشا قائد المدينة المنورة، وأعرب له عن استعداده لمساعدته، لكنه اعتذر عن قبول ذلك[3] اعتقاداً منه أنه سيحافظ على المدينة بمقاومتها، لكنه بعد أشهر أدرك أهمية دعوة ابن سعود فوجه دعوة له في ١٧ أيلول ١٩١٦م، طالباً منه مساعدته وتعاونه معه ضد الشريف حسين الذي وصفه بأنه عدو مشترك لكليهما وقد طلب منه أن يعد الظرف المناسب لذلك.

لم تكن تلك التطورات الأخيرة بطبيعة الحال خافية على بريطانيا وحفاظا على مصلحتها ومعالجة الموقف المتأزم بين الحاكمين أرسلت لابن سعود تطمئنه وتؤكد

(١) الريحاني، ملوك العرب، ص٢٣٦. موسى، الحركة، ص٦٠٢.

(٢) انظر سانت جون فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٢، ص ٣١٩، وما بعدها، وأيضاً: وهيم، المرجع السابق، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٣) ميداني، المرجع السابق، ص١٦.

وقوفها معه برسالة[1] في ٨ أيلول ١٩١٦م وفي نفس العام أرسلت برسالة للشريف تؤكد التزامها معه حسب الاتفاقيات والوعود الموقعة بينهما.

وعلى أية حال فإن امتعاض ابن سعود من إهانة الشريف حسين الأخيرة[2]، وبغض النظر عما كانت تعنيه من الاصرار النابع من الثقة بالنفس والقوة، فضلاً عن المخاوف والشكوك والضغائن القديمة، ما يبرر على ما يبدو الاتصالات التي تمت بين ابن سعود والعثمانيين خلال الشهور الأولى من الثورة بهدف عرقلة الشريف واحباط عزمه وجهوده.

لم يكن للسلطان موقف ثابت مع الشريف حسين وكان يزداد استياؤه كلما ارتفع شأن الأخير واستجابت بريطانيا لرغباته والحقيقة - لولا اعتراض بريطانيا ـ لما تقاعس عن مهاجمة نده ابن سعود دون الالتفات الى أي اعتبار آخر، ويبدو أن الحسين قد أدرك أهمية ابن سعود وولائه، إذا ما قامت الدولة العربية المنتظرة في المستقبل وهذا ما دفعه للتفكير باهتمام بالعلاقات القوية بين ابن سعود وموظفي حكومة الهند في العراق وإمكانية ضغطهم بهدف الحصول على ضمان ولاء ابن سعود وقد بذل المسؤولون هناك بعض الجهود في هذا السبيل[3].

بقى ابن سعود قلقاً وخائفاً خاصة بعد تسلمه رسالة الشريف حسين في شهر أيلول ١٩١٦م من نوايا الشريف وتخوفه أن يكون في هذه الرسالة ما يفهم أنه تابع له في الحجاز لا سيما بعد فرضه كلمته على العرب[4].

---

(١) أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص٧٩.

(2) David Howarth, the desert king. Ibn sau'd and his Arabia, New York.1964 p114.

(3) philby, Op, cit, 255.

(4) Bullard. Sir Reader. The Camels Must go.London Faber and Faber,1961. P.137

لم يجلس ابن سعود مكتوف اليدين بل حاور جيرانه الانكليز مجدداً بما يدور في ذهنه وأرسل بنسخة من رسالة الحسين السالفة الذكر، الى كوكس (وهو من موظفي حكومة الهند) طالباً منه لقاءه للمشاورة والتباحث بينهما حول ما يهم الطرفين ـ الانجليز وابن سعود ـ[1]، وقد ردت على ذلك كما يبدو مما نشرته وزارة الخارجية البريطانية بمذكرة الزمت الشريف حسين بنصوص المعاهدة المعقودة بينها وبين ابن سعود [2]،ووجهت انذاراً للشريف حسين بتاريـــخ ٣ تشرين الثاني ١٩١٦م، بأنها ستتخذ عقوبات فعالة في حالة حدوث نزاع بينه وبين ابن سعود لا سيما في الخلافات الاقليمية البارزة بينهما[3].

لقد أدرك كوكس مبدأ التناقض الموجود في السياسة الانجليزية واصطدام الوعود التي تغدقها للشريف حسين بوعودها لابن سعود عاجلاً ام آجلاً، وسيتهم الاخير أو كلاهما بريطانيا بنقضها للوعود، إلا أن كوكس كان مضطراً لمتطلبات الحرب أن يتبع سياسة آنية يتجاوز فيها الحقائق من أجل الاهم والأفضل لصالح العثمانيين وإعاقة الحملة البريطانية في العراق، بالاضافة لاحتمال مهاجمة الشريف حسين أيضاً وتثبيط مساعي لورنس وجهوده في الحملة المتجهة نحو سوريا، ومن هنا ومنعاً لهذه الاحتمالات وللمكانة التي يتمتع بها عند ابن سعود، حاول كوكس طمأنة الأخير والتقليل من شأن تصوارته وادراكاته حول حجم المساعدات الانجليزية للشريف ووعده بتسوية الأمور بين الطرفين سلمياً والتأكيد على المعاهدة المعقودة بينه وبين

---

(1) Hawarth, op, cit, 114.

(٢) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٠. انظر أيضاً: سانت جون فيليبي، تاريخ نجد، ص٣١٨ وما بعدها.

(٣) وهيم، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

الانجليز، بما في ذلك استغلال نجد وعدم تبعيته لأحد مع اعتراف الشريف بذلك، الأمر الذي لن يعارضه الشريف لعدم موافقة بريطانيا له[1].

ما كادت العلاقات تفتر بين الطرفين، حتى فاجأ الشريف حسين العالم عامة وابن سعود خاصة بإعلان نفسه ملكا على العرب في ٢ تشرين الثاني ١٩١٦م[2]. فاستاء للنبأ واحتج كالعادة لدى حليفه في العراق (بريطانيا)، الذين كانوا والحكومة البريطانية عموماً غير مقتنعين بهذه الخطوة وعلى ما يبدو فإن بريطانيا استطاعت أن تبطل وتنهي مفهوم اللقب الذي تلقبه الشريف كما يظهر فيما بعد وقد اقتنع ابن سعود بموقف بريطانيا حتى كان أول المدافعين عن الشريف والثورة التي تزعمها ضد الدولة العثمانية وسياستها الهدامة، في خطاب ألقاه في الكويت في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٦م، فما كان من الشريف إلا أن أعرب عن ارتياحه لهذا التبدل من جانب أمير نجد[3].

جدير بالذكر أن اجتماعاً تم بين ابن سعود وكوكس [4]، قبل قدومهما لمؤتمر الكويت بناءً على طلب الأول، للتشاور والتباحث ببعض الأمور، يكون ظاهرها مقاومة آل الرشيد أما حقيقتها فهي محاولة استجلاء الموقف الانجليزي من الشريف حسين لا سيما بعد إعلان الملكية[5]، فقد أكد كوكس ومن جديد في هذا الاجتماع على استقلال نجد بالكامل، مع ضرورة عدم الاصطدام مع الشريف، إذ أن انجلترا ستعتبر أي اعتداء على الشريف اعتداء عليها، وقد اسفر الاجتماع عن تخصيص مساعدات مالية وعسكرية لابن سعود[6].

---

(١) فيليبي، تاريخ نجد، ص ٣١٩ وما بعدها.

(٢) نفسه.

(٣) وهيم، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٤) الاجتماع المقصود به الذي تم في العقير في تشرين الثاني ١٩١٦ بين كوكس وابن سعود.

(٥) فيليبي، تاريخ نجد، ص ٣١٩

(٦) نفسه.

وخولت حكومة الهند معتمدها في الكويت تنفيذ ذلك لما فيه من حفظ لسلامة مواصلاتها في الخليج فما كان من ابن سعود إلا أنه أخذ بنصائح صديقه كوكس واعتبرها بمثابة تأكيدات جديدة له.

وعلى ما يبدو فإن الشريف حسين كان لا يُلم بخفايا ما يدور في القسم الشرقي من الجزيرة، وأبدى تعجبه واستغرابه لوجود خلاف مع ابن سعود، لا سيما أن الأخير لم يزل يستلم منه خمس دفعات من النقود كان بعضها بناءً على طلبه، وهذا ما أوضحه المعتمد البريطاني في جدة (الكولونيل ولسن) في رسالة للسير ونجت (المعتمد البريطاني في مصر) في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٦م، وقد أشار كذلك لحقيقة اللقب الذي تلقبه الشريف، وفي كونه لا يتعدى رغبة الأخير في اتخاذ لقب يساعده في الارتقاء بالخلافة فيما بعد، دون أن يعني هذا اللقب سلطة حقيقية وفعلية على حكام العرب عامة وامراء الخليج خاصة[١].

وعلى ما يبدو فإن السبب الرئيس لهذه الخلافات أو أي خلاف آخر بين حكام الجزيرة يعود في حقيقته الى التناقض الموجود في السياسة البريطانية أو بكلمة أخرى الى التناقض الواقع في السياسة البريطانية نفسها ممثلاً ذلك بالخلاف القائم بين حكومة الهند والمكتب العربي في القاهرة والذي ينعكس بشكل فعال على حلفائها في الجزيرة العربية، وقد لعبت هذه السياسة دورا كبيرا ومهما في شؤون المنطقة لا سيما العلاقات الحجازية النجدية[٢].

والظاهر أن الشريف كان في طليعة حكام الجزيرة الذين تحسسوا ولمسوا هذا التناقض بعد اكتشافه معاهدتي كل من الادريسي وابن سعود مع بريطانيا، رغم تناقضهما مع المعاهدة الرئيسة التي عقدها مع مكماهون كممثل للعرب حينها، ولم يكن

(1) Philby,op,cit, p.255

(٢) وهيم، المرجع السابق، ص ٢٨٩.

بوسع السير (ونجت) في اجابته عن استفسار الشريف بصدد هذه النقطة سوى الدفاع عن سمعة بلاده والتزامها بوعودها، وبأنها كانت قد أبلغته بالمعاهدات أو التي لا يعتقد بتضاربها مع نص المعاهده، المبرمة معه أو إخلالهما بمصالح العرب عامة.

ظل أمير نجد ـ رغم امتثاله لتوجيهات (كوكس) ـ ينظر بعين القلق والاستياء لقوة الشريف حسين المتزايدة بسبب زيادة المساعدات البريطانية، في الوقت الذي لم تتعد مخصصاته الشهرية خمسة آلاف جنيه وابدى خشيته من أن توجه هذه القوة ضده يوماً ما، وارتاب فيما إذا كان قد خدع من قبل بريطانيا أو فرض عليه مهادنة خصمه لحين تكامل قوته، ليسهل عليه القضاء وإزاحته عن نجد(١)، فأخذ بحشد حلفائه وهدد بإزاحة الشريف حال انقطاع إعانتهم له، وأعرب عن ثقته بأن أهل الحجاز سينظرون له بمثابة المنقذ لهم(٢).

ومع ما كان للتناقض المنوه عنه في السياسة البريطانية من الأثر في هذا المجال، فإن الحكومة البريطانية، ولارتياحها للنتائج التي حققتها قوات الشريف حسين، لم يكن أمامها سوى إغفال هذا التناقض والتأكيد على التسوية بين ابن سعود والشريف حسين، ولو وقتياً تماشياً مع أهدافها ومصالحها، والظاهر أن المكتب العربي في القاهرة كان عازماً على تنسيق سياسته مع موظفي حكومة الهند في بغداد لسير ضمان العلاقة الودية بين ابن سعود والشريف حسين، والحيلولة دون تحول غيرة ابن سعود الى أعمال جنونية ضد الحجاز، قد تلحق الضرر بالأوضاع العسكرية الجارية حينذاك فبعث المكتب العربي بالقاهرة بالسير رونالد ستورس الى بغداد للتشاور مع السير برسي كوكس (٣)، واجتمع الأخير مع المس جرثرود بل في آذار ١٩١٧م، واقترح عليه حينها

---

(1) Hawarth,op, cit, p 113-114.

(٢) وهيم، المرجع نفسه، ص٢٩٠.

(3) Hawarth, op.cit. p 115

الاجتماع مع ابن سعود، إلا أن ستورس لم يتمكن من مواصلة السفر الى الرياض ثم الى بغداد بسبب مرضه، رغم أن الاجتماع المؤمل لم يكن يمنع الأخير من طرح وجهة نظر المكتب العربي والتحدث بصوت واحد عن جانبين ذوي مصالح متناقضة وعلى أية حال فإن البادرة الأخيرة ورغم اخفاقها قد أفسحت المجال للأخذ بفكرة الاتصال بأمير نجد، رغم انقطاع ذلك منذ وفاة الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير[١]، وانسحاب معظم البعثات الانجليزية التي كانت هناك وفي الوقت الذي كانت تجري فيه هذه المساعي، كان ابن سعود يعمل على مد نفوذه في منطقة الحدود وعن طريق نشر الوهابية بين قبائل تلك المناطق، فأمست واحة الخرمة وهابية، فيما انتمى اليها الكثير من قبيلة عتبة، الى الحد الذي دفعها الى الافصاح عن مقاومتها للشريف حسين في مناطقها مما أثار الحسين ودفعه لإبلاغ المندوب السامي في القاهرة عن أعمال ابن سعود وضرورة وضع حد لذلك، واستجابت الحكومة البريطانية وارسلت مسؤوليها الى بغداد في نهاية تشرين الأول ١٩١٧م، برئاسة الضابط المعروف فيلبي بينما ترأس ستورس الوفد الذي أقرته القاهرة للقيام بالمهمة[٢].

كان على بعثة فيلبي إضافة لمهمتها المشار اليها أن تدفع بابن سعود تجاه ابن رشيد الذي ما يزال يدعو للدولة العثمانية ويساندها ويساعدها في محاولة لإضعافه من إعاقة تقدم العمليات العسكرية باتجاه الشمال[٣]، والتثبت فيما إذا قد يجبر ابن سعود على الوقوف في جانب العثمانيين، والتعرف على ما يحتاجه من الأسلحة حالة موافقته لأهداف الانجليز ومهاجمة عدوه اللدود ابن رشيد لا سيما أن العثمانيين قد ضاعفوا

---

(١) أنظر فيلبي: تاريخ نجد، ص ٣١٩ وما بعدها.

(٢) وهيم، المرجع السابق، ص ٢٩١.

(3) Philbly, Arabian jubiliee. London. 1952. P.54

من امداداتهم العسكرية والمادية لحليفهم ابن رشيد، وأمسى مصدراً للاضطراب والازعاج والقلق للجميع[1].

أصر فيلبي لدى اجتماعه بابن سعود في نهاية تشرين الثاني ١٩١٧م، على التأكيد على تجنب الصدام مع أمير الحجاز لا سيما أن الأخير ما زال يثير دعاويه بالملكية على العرب، في الوقت الذي كانت تحتم الظروف تقدير أهمية حملة الأمير فيصل[2] وضرورتها لدعم القوات البريطانية في فلسطين، وعلى ما يبدو فإن فيلبي استطاع اقناع ابن سعود بعدم القيام بعمليات عدائية ضد الشريف حسين مشترطاً ابن سعود على بريطانيا أن تكبح جماح الشريف وتمنعه من أي تجاوز ضد إمارته وتؤكد للشريف على ضرورة احترامه استقلالية نجد حسب ما جاء في (اتفاقية العقير)[3].

من جانب آخر لم يوفق ستورس (ممثل القاهرة) في المجيء كما اتفق لمعارضة الشريف، بحجة المخاوف التي تحف بالطريق المؤدي الى إمارة نجد، واضطراب الوضع القائم في مسألة الحدود، دون التوضيح عن عدم رغبته في إجراء مفاوضات بين الانجليز وحليفهم ابن سعود، لاعتقاده بعدم خدمتها لمصالحة، وترجيحها كفة ابن

---

(1) Philby Arabian days. Hale. London 1948. P.256.

(٢) فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الهاشمي الحسني (١٨٨٣ ـ ١٩٣٣) ولد بالطائف وترعرع في خيام بني عتيبة في بادية الحجاز ورحل مع والده للآستانة وعاد معه. واختير نائباً عن مدينة جدة في مجلس المبعوثان العثماني سنة ١٩١٣ انتسب لجمعية (الفتاة العربية) تولى قيادة الجيش الشمالي ثم قائداً عاماً للجيش العربي في فلسطين. دخل سوريا عام ١٩١٨ في اعقاب جلاء الاتراك. مثّل والده في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩٢٠. نودي به ملكاً على سوريا ورحل عن سورية بعد دخول الفرنسيين ثم رشح لعرش العراق ونودي به ملكاً للعراق عام ١٩٢١. توفي في مدينة برن السويسرية. انظر طلاس: المرجع السابق، ص١٩٠، الهامش.

(١) أنظر فيلبي: تاريخ نجد، ص٣١٨.

سعود عليه، إذ أن أي اتفاق بنظره بين البريطانيين وابن سعود إجحاف باتفاقه وإياهم، وإذا ما تم الاتفاق فهو يرغب ان يكون عن طريقه[١].

والحقيقة أن ما تذرع به الحسين بشأن سفر ستورس، إنما كان حجة واهية.إذ أن الأخير أبلغ الأمير عبد الله في ١٦ كانون الأول ١٩١٧م عن عدم حاجته في سفره لابن سعود لحرس أو مؤونة نظراً لسفره جواً اختصاراً للوقت، فقد كان على بعثة بغداد أن تتولى معالجة الأمور بنفسها دون مساعدة القاهرة[٢]الأمر الذي حال دون تنسيق بين سياسة الطرفين. بيد أن فيلبي ـ كأحد موظفي حكومة الهند المناوئة للشريف ـ كان قد تعمد خلال انتظاره ستورس بالسفر الى الحجاز للاجتماع مع الحسين بعد أن أقنع كلاً من كوكس وابن سعود بذلك[٣] ووصل إلى جدة في ٢٩ كانون الأول ١٩١٧م، فلم تتجاهل القاهرة وجود فيلبي في جدة، والاجتماع به بعد أن تعذر ذلك في الرياض، فبعثت بالدكتور هوغارث في ٦ كانون الثاني ١٩١٨م للتباحث معه والتشاور في أمور أخرى، وقد حضر الشريف حسين بنفسه في اليوم التالي ليبدأ أسبوعاً من اجتماعاته [٤] وأوضح الشريف خلال اجتماعاته ما تعهد به ابن سعود في صلح عام ١٩١٠م وعدم تنفيذه ما جاء فيه، وانما راح يمارس نشاطه بين قبائل عتيبة لاستمالتهم وتوجيههم ضد الشريف مع إجبارهم على اعتناق الوهابية[٥] وموضحا العلاقات الطيبة بينه وبين

---

(١) أنظر الريحاني: تاريخ نجد، ص ٢٢٠- ٢٥٨.

(2) Phiby. Arabion jubiliee P 55

(3) Philby Arabian days p155

(4) Philby Arabian days. p. 158

(٥) الوهابيون هم اتباع طائفة الوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١٧٠٣ ـ ١٧٩٢) الذي ولد ونشأ في العينية بنجد ورحل مرتين إلى الحجاز وزار الشام ودخل البصرة وعاد إلى نجد، وكان أبوه قاضياً، ثم بدأ دعوته السلفية إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع، وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. ذهب لنجد عام ١٧٤٤ ونشر دعوته فرحب به أميرها محمد بن سعود وآزره وساعده كل آل سعود، انتشرت الوهابية في الحجاز. استولوا على أجزاء من اليمن ومكة والمدينة والحجاز وتأثر بهم رجال الاصلاح في العراق والهند ومصر وبلاد الشام. أطلق على حركتهم اسم=

العثمانيين لا سيما الرسائل المتبادلة بين ابن سعود وقائد المدينة فخري باشا[1]. واستمر متهماً إياه بتحريض قبائل الحدود على إثارة الاضطرابات وتحريض عشائر الخرمة النجدية ضد الشريف وقد برر فيليبي ذلك فرد على تهمة تواطؤ ابن سعود مع فخري بإخراجه رسالتين تبودلتا بين الأخيرين كان قد تسلمهما فيليبي من ابن سعود قبل مجيئه للحجاز، كما أكد فيليبي على تسلمهما أوقراءتهما أما بالنسبة لاتهام ابن سعود بتحريض القبائل فأكد فيليبي على استغاثة أهالي الخرمة بابن سعود - خلال وجوده في الرياض ـ وطمأنة السلطان لهم بحماية بريطانيا ودفاعها عنهم على أن يقاوموا أي هجوم حجازي ضدهم وهو على استعداد لمساعدتهم ومناصرتهم عند الشدة واللزوم[٢].

ولم يقتصر تجاوب الموقف مع ابن سعود على صديقه فيليبي فحسب، بل ضم هوغارث أيضاً ولو بصيغة الارشاد، والتوجيه فقد أبدى عدم تسليمه بما وصفه الشريف حسين لإبن سعود من التهم والاكاذيب، وهو أو (بريطانيا) يتوقع احترام الملك المعاهدة الموجودة بين بريطانيا وحليفها ابن سعود إضافة الى حقوقه الاقليمية والعشائرية ومعاملته بصورة صحيحة، وعليه فإن مساعدة بريطانيا حليفها ابن سعود عسكرياً ومادياً وتشجيعهم له على مهاجمة ابن رشيد فإنهما يعتبران حسب رأي الساسة البريطانيين عملاً متفقاً عليه وضمن أهداف العرب المنصوص عليها في الاتفاقيات المعقودة بينهم (البريطانيين والعرب)[٣].

=(إخوان من أطاع الله) لكن اسم الوهابيين اختفى بصوره سريعة من خلال خصومهم توفي محمد بالدرعية واحفاده يعرفون اليوم في الحجاز بيت (الشيخ). له كتب كثيرة وعديدة. انظر طلاس: المرجع السابق، ص١٢٤، الهامش. لمزيد من التفاصيل أنظر ايضا: محمد أنيس، المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٣٥.

(1) Philby Arabian days.p. 161-162

(٢) انظر وهيم: المرجع السابق، ص٢٩٤.

(٣) وهيم، المرجع السابق، ص٢٩٥. أنظر أيضاً فيليبي : تاريخ نجد، ص ٣١٨ وما بعدها.

لكن الشريف حسين لم يكن يثق بصدق نوايا ابن سعود تجاهه او تجاه بريطانيا ولم يأبه بآراء هوغارث أو فيلبي واعتبرها غير صحيحة. إذ كان على خوف من ابن سعود وخطورة حركته الدينية - الوهابية. على العرب عامة والحجاز خاصة[١]. ولم يعز خوفه من قوة السعوديين أو ثبوت تفوقها على اتباعه من البدو فحسب، وإنما يرجع ذلك أيضاً إلى ابتعاد قواته العسكرية وانشغالها في قتال القوات العثمانية في جميع الجبهات (فيصل في الشمال وعبد الله في حصار المدينة).

أما الأمر الآخر الذي كان يحول دون تفاهم الشريف وكل من هوغارث وفيلبي بشأن العلاقات مع نجد، فهو عدم اعتراف ابن سعود بالشريف ملكاً على العرب. إذ كان الحسين وعلى ما يبدو يطمح لنيل هذا اللقب لا مجرد ملك على الحجاز فحسب ذلك اللقب المجرد الصغير والذي وصفه بأنه (شبح بلا معنى). وهذا ما أكدته بريطانيا في أكثر من موقف وتمثل ذلك بما أشار إليه فيلبي بإحدى رسائله إلى كوكس من أن الحسين يريد حقاً موافقة عبد العزيز بن سعود على ملكيته بدلاً من أي عمل مستقل له (عبد العزيز بن سعود) كحليف لنا[٢]، فيما أضاف هوغارث بهذا الصدد أن الشريف لا يستطيع أن يحكم أكثر مما تراه عيناه وتراه بريطانيا بشكل خاص[٣].

وعلى أية حال فإن الشريف - رغم ما أبداه بشأن خلافه مع ابن سعود - لم يكن يرغب في إثارة النزاع معه، لا بحجة استمرار الحرب العالمية على حد تعبيره، بل لأنـــه - بنظر الانجليز - أضعف من أن يفعل ما يرغب، فولاؤه للانجليز ولاء عاطفي محدود وليس شخصياً وهو بذلك لا يرغب بإثارة ما يضر مصالحها، إلا أنه سيراقب أي

---

(١) وهيم، المرجع نفسه.

(2) Philby Arabian days. P. 162.

(٣) وهيم: المرجع السابق، ص٢٩٦.

حركة هجومية لابن سعود ضد جيرانه العرب، ليحصل على الدليل الذي يستند إليه في إثبات عدم تأييد ابن سعود وحدة العرب وعدم إخلاصه لبريطانيا.

وعلى كل حال ونظراً للسلبيات التي تقدم ذكرها، بات استمرار هذا اللقاء غير مجد وقد يقود إلى نتائج سيئة، الأمر الذي دفع بكل من هوغارث وفيلبي بطلب الاذن في العودة، إلا أن الشريف وتعبيراً منه عن عدم الرضى من فيلبي بأنه لم يسمح له بالعودة عن طريق الحجاز[1] مخافة أن يعد ابن سعود ذلك عملاً عدائياً موجهاً ضده. فكان على فيلبي مصاحبة هوغارث إلى القاهرة والعودة بعد ذلك إلى نجد عن طريق الخليج العربي[2].

إن اعتبار مطالب الشريف في الاجتماع الأخير سبباً لفشله، لا يبدو مقنعاً دون ربطه بالنزاع المنوه عنه بين الساسة الإنجليز في مدرسة الهند والقاهرة، ولعل السطور التي أجاد بها فيلبي في هذا الأمر خلال اجتماعه بهوغارث ما يلقي الضوء على هذه الزاوية، باعتبارهما ممثلين عن المدرستين المتناحرتين للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط، فقد أثنى فيلبي طبعاً على ابن سعود كحليف له والنتائج التي حققها في تطويره قوات السعوديين في وسط الجزيرة وخلافاً لما توقع، لم تحظ توضيحاته باهتمام هوغارث وبدا عليه الاستياء، كان ينظر إلى مستقبل العرب من خلال الأشراف، فمع تأكيده ما ذهب إليه فيلبي عما حققه ابن سعود من النتائج في ضبط قبائله المشاكسة وتنظيمها، فإن الأخير بنظره لا يعدو أكثر من كونه شيخاً بدوياً يتمتع بسمعة ومكانة طيبة ولا يترك وراءه أثراً واضحاً في التاريخ، أو عملاً منظماً ودائماً، وبوفاته لا يختلف الأمر بالنسبة للأشراف بما يمتلكونه من المكانه الدينية والتاريخية والسياسية، الأمر الذي سيمكنهم من إقامة شيء ثابت ودائم في البلاد العربية يعينها في احتلال مكانتها

---

(1) Philby Arabian days. p162.

(٢) وهيم: المرجع نفسه.

من العالم الحديث. ومن هنا يؤكد هوغارث التزام دولته بقضية الاشراف وعدم استعدادها لتحطيم ما أقامته، تنفيذاً لمطالب ابن سعود وافتراضاته[1]، وقد رد فيليبي مدافعاً عن صديقه مجرداً إياه من أية مطامع شخصية وبين أنه يحافظ على استقلالية بلاده ويرفض سيادة الشريف حسين عليه وضرورة تحديد الحدود بين الطرفين بعد انتهاء الحرب وبدأ يشرح أفضال ابن سعود العديدة والكثيرة[2].

العلاقات مع عسير

نظر الشريف الحسين للإدريسي نظرة تجاهل واستخفاف، وأن إمارته ستزول عما قريب، وذلك لسيطرة الشريف على بعض مناطق الإدريسي، لكن بعد تزايد قوة الإدريسي وهيبته والتفاف عدد كثير من القبائل حوله بدأ تخوف الشريف منه لا سيما على حدوده الجنوبية المتاخمة لحدود الإدريسي.

وقد استغل الإدريسي انشغال الدولة العثمانية بخلافها مع الحكومة الايطالية[3] حول طرابلس الغرب، بالإضافة لاستيلاء الاتحاديين على السلطة عام ١٩٠٨م، فأخذ يخطط للانقلاب عليها. وهكذا فقد شق الإدريسي عصا الطاعة وأعلن بصورة واضحة أنه لا ولاء للحكومة بعد اليوم، وأعلن انفصال ولاية عسير عن الحكومة المركزية في اسطنبول وعمل على تجميع العربان والقبائل البدوية حوله وتحصن في العاصمة أبها، وتزعم الثورة ضد الدولة العثمانية[4] وفضلاً عن ذلك كان الشيخ الإدريسي على صلة وثيقة مع الطليان في اريتريا[5].

(1) Philby Arabian days. p. 158-159.

(٢) وهيم المرجع نفسه، ص٢٩٦-٢٩٨.

(٣) وليمز، المرجع السابق، ص٥٥-٦٢. انظر أيضاً العقيلي: المرجع السابق، ص٩٨-٩٩.

(٤) الفواز، المرجع السابق، ص٨٣-٨٧. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٤-١١٧. السيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص١٦٧.

(٥) موسى، الحركة، ص٥٠-٥٥، الريحاني. ملوك العرب، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

وعلى ما يبدو فإن الإدريسي رأى أن الموقف يحتم عليه ضرورة الاتصال بايطاليا والاستجابة لرغبتها في التعاون بينهما وبخاصة بعد أن تركته الدولة العثمانية خارج نطاق الحلقة الاسلامية وتخلى عنه حليفه بالأمس الامام يحيى، بل أن الدولة قبلت أن تعقد صلحاً مع الامام تعترف بوضعه الخاص في اليمن سنة ١٩١١م، بينما رفضت أن تفعل ذلك مع الادريسي برغم ما كان يتمتع به من مكانة ونفوذ بين قبائل عسير والمخلاف السليماني، فضلاً عن تعاون الدولة العثمانية مع الامام يحيى في القضاء على الإدريسي، بل إن إيطاليا في الوقت نفسه كانت تمد يدها للإدريسي لتتعاون معه تحقيقاً لمصالحها الاستعمارية المعروفة.

وقد ثارت ضد الإدريسي موجة شديدة من السخط نظرا لاتصاله بالطليان لا سيما يوم ضربت السفن الحربية الايطالية القواعد العثمانية على سواحل إقليم عسير أثناء حرب الطليان في ليبيا، بالإضافة إلى سحب العثمانيين قسما كبيرا من قواتهم العسكرية من طرابلس لمواجهة الثورة في إقليم اليمن وعسير بالرغم من علمهم باستعداد الطليان لغزوهم ليبيا، وقد أحرز الإدريسي الانتصارات في ثورته في إقليم عسير، واستطاع أن يقضي على القوة التركية الموجودة في العاصمة أبها نهاية عام ١٩١٠م[١]، لكن حكومة الاتحاديين توصلت لعقد صلح مع الإدريسي بوساطة متصرف ولاية عسير سليمان شفيق باشا إلا أن الصلح باء بالفشل[٢].

وأمام تطور الموقف رأت القيادة العثمانية في اسطنبول الاستعانة بالشريف حسين للقضاء على الإدريسي فأبرقت له لاجراء اللازم للقضاء على الإدريسي والعمل على فك الحصار حول أبها، فاستجاب الشريف لأمر الحكومة لا سيما أنه كان يشعر بخطر الإدريسي على منطقة الحجاز، لذا أرسل رسائل عدة له يطلب التفاهم

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٤-١١٥. أنظر أيضاً: العقيلي: المرجع نفسه، ص١٠٢.
(٢) حسين نصيف، المرجع السابق، ص١٨-٢١.

والاتفاق ووعده بتنفيذ مطالبه إلا أن الإدريسي رفض ذلك وأصر على مواجهة الدولة العثمانية وعلى محاصرة أبها[1].

ثم وجهت الدولة العثمانية رسالة للشريف الحسين لقيادة حملة عسكرية[2] لمقاتلة الإدريسي الذي زاد نفوذه وسيطرته على مناطق عسير، وأعد الشريف قوة عسكرية قادها بنفسه في شبه الجزيرة العربية عام ١٩١١م بهدف تخليص أبها ـ عاصمة إقليم عسير ـ من الحصار المفروض عليها من قبل قوات الإدريسي، وقد تمكن الشريف من تخليص أبها من الحصار، وإرجاعها للسيادة العثمانية.

لكن الإدريسي تمكن من استعادة نشاطه ونفوذه في مناطق عسير، مما جعله يشكل خطراً على الدولة العثمانية، لذا طلبت الحكومة العثمانية من الشريف إعداد حملة جديدة لمقاتلة الإدريسي، أبرق الشريف الحسين لولديه فيصل وعبد الله[3] ـ اللذين كانا عضوين في مجلس المبعوثان العثماني ـ ليقودا حملة عسكرية لمساندة القوات العثمانية ضد الإدريسي، وقد لبى الأميران طلب والدهما مما زاد من قدر الشريف في نظر العثمانيين واعتزازهم بجهوده التي تدل على اهتمامه بالدولة العثمانية[4].

وقبل قيام الحملة بمهمتها ألقى الشريف كلمة في أعيان وكبار موظفي مكة والأشراف جاء فيها «أنه يسافر مع أولاده وقبائله بأمر جلالة السلطان للتضحية بنفسه في سبيل بلاده ووطنه وسلطانه الذي نذر نفسه لخدمتهم»[5]، وقد شارك في الحملة

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٤-١١٥.

(٢) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٣١٩ ـ ٣٢٠. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٤-١١٥.

(٣) عبد الكريم الغرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ - ١٩١٩م، ج١، العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م، ص٣٢٦.

(٤) الفواز، المرجع السابق، ص٨٤.

(٥) جريدة الأهرام، ٨ أيار ١٩١١م. العقيلي، المرجع السابق، ص١٠٣.

العثمانيون والعرب ممثلين بجيش نظامي، وكذلك جيش من العربان والقبائل البدوية[1].

وبينما يرى البعض أن الشريف استجاب لأوامر الدولة العثمانية لتحقيق رغبته رأى البعض الآخر أن الشريف كان يرغب في بسط نفوذ الدولة في تلك الأنحاء لأنه معروف بحبه وتفانيه وإخلاصه للدولة[2]وايّا كان السبب فإن الشريف عمل بهذا الأمر وآزر الحكومة «مؤازرة عظيمة»[3].

وقد وعدت الدولة الشريف بأنه إذا نجح في حملته هذه فإنها ستنصب أحد أبنائه أميرا على عسير[4]، تحركت الحملة في ١٦ نيسان ١٩١١م بقيادة ابنه فيصل، وتمكنت من إخضاع كثير من العربان والقبائل البدوية على طول الطريق، وقد كانت القبائل تقدم العون والمساعدة، وتعلن الولاء والطاعة للدولة العثمانية والشريف [5]. ثم وصلت تهامة وحررتها، وتمكنت في تموز من فك حصار مدينة أبها بعد شهرين من القتال، بعد ذلك استولوا على القنفذة لكنها توقفت بسبب قلة المياه وانتشار الأمراض والأوبئة وإصابة الأمير فيصل بالحمى وأصيب الأمير عبدالله ببعض الجراح وقد

---

(١) محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص٢٥٩. أنظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص١٨-٢١.

(٢) جريدة المؤيد، الخميس ٣٠ اذار ١٩١١، ع٦٣٢٧، م:١. علي فؤاد حمزه، الحملة المصرية من باريس الى صحراء التيه، نقله للعربية نجيب الارمنازي، مطبعة حماة، ١٩٢٢م، ص٧٤. محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص٢٥٩. فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٣٢٠. موسى، الثورة العربية، ص٣٢.

(٣) وليمز، المرجع السابق، ص٦٠.

(٤) البركاتي، المرجع السابق، ص١٤. توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري، ١٩٠٨-١٩١٤م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٠م، ص٢٤٧. أنظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص ١٨-٢٠.

(٥) انظر البركاتي، المرجع نفسه، ص١٥-٨٥. جريدة المؤيد، ع٦٣٩٨، السبت ١٩١١م، م:١-٢ .

عادت الحملة الى الحجاز بينما بقي الادريسي صامدا وثابتا على موقفه المعادي للدولة، بل لقد تحصن في الجبال القريبة من عسير، وجعلها مقرا له(١).

وقد عانى سكان أبها من الحصار المفروض عليها معاناة شديدة، طوال عشرة أشهر، حتى لقد مات أكثر من خمسة آلاف شخص جوعا رغم أن الناس أكلوا القطط والكلاب(٢). وقد شاهد الشريف فضائح من قبل الجنود الأتراك والضباط تجاه أبناء عسير والعربان والقبائل البدوية(٣).

وعاد الشريف إلى الحجاز بعد أن تمكن من فك حصار أبها عام ١٩١١م وانتشرت الأفراح في جميع ولايات الدولة العثمانية، وتدهور نفوذ الإدريسي في عسير، كما وصلت الشريف الكثير من الكتب والرسائل التي تحمل في طياتها الشكر والتقدير والعرفان له بالجميل(٤) إضافة الى نيله وسام الامتياز المرصع(٥) من الحكومة العثمانية وتقلده وسط احتفال كبير في إمارة الشريف ـ مكة المكرمة ـ وتضمن الحفل فقرات من الخطب والأشعار المنظمة بهذه المناسبة.

وتذكر الكثير من المصادر أن سبب عودة الشريف إلى الحجاز كان يرجع إلى الخلاف الذي وقع بينه وبين متصرف عسير سليمان شفيق الذي رفض التعاون معه،

---

(١) موسى، الحركة، ص٥٤، انظر عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٧٨ـ٨٥.

(٢) موسى، الحركة العربية، ص٥٤. أنظر ايضا: فاروق عثمان اباظة، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٢٠.

(٣) مصطفى طلاس، المرجع السابق، ص١٣٨، حيث يذكر أن الفضائح التي ارتكبها الجيش التركي بحق السكان المدنيين من العرب كانت عاملا أساسيا في تغيير الخط السياسي الذي كان الشريف حسين يسير عليه عندما شاهد ما يصنعه الأتراك من تمثيل بجثث القتلى اليمنيين، حيث شاهد الجثث التي ادخل الأتراك أعمدة الخيام في أدبارها حتى خرجت من حلوقها، كما عرض عليه ستة رؤوس قطعت عن أجسادها وقد وضع العضو التناسلي لكل رجل منهم في فمه.

(٤) موسى، الحركة العربية، ص٥٣ـ٥٥. انظر عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٧٨ـ٨٠.

(٥) جريدة المؤيد، ع٦٤٧٨، السبت ٣٠ ايلول ١٩١١م، م:١.

لأنه كان يرى أن الشريف يهدف من حملته على عسير بسط نفوذه وسلطانه عليها لا سيما المنطقة التي يحكمها حينئذ آل عايض حلفاء الشريف، كما أن سليمان باشا وصف الشريف بأنه « إدريسي مجهز بالبنادق» [1].

ولم تلبث الدولة العثمانية أن طلبت من الشريف حسين أن يعد العدة لمقاتلة الإدريسي للمرة الثانية عام ١٩١٢م[2] بعدما علمت أن ايطاليا ساعدته للخروج عليها [3] واستجاب الشريف وجهز حملة عسكرية بقيادة ابنه فيصل بدأت بمقاتلة الإدريسي في أيار من عام ١٩١٣م، لكن لم تحدث معركة فاصلة فعادت الحملة من عسير[4] وحاول الشريف التوسط لحل الخلاف بين الإدريسي والحكومة العثمانية، لكن الأتراك رفضوا ذلك بسبب شكوكهم حول نية الشريف التوسع على حساب إمارة عسير، وأصبح موقفهم أكثر صلابة وقوة ويتضح ذلك من الرسالة التي بعثها الشريف الحسين الى أخيه الشريف ناصر عضو مجلس الأعيان، وطلب منه أن يبلغها للصدر الأعظم وجاء فيها «يا سيدي.. ودهم يخسفوا بنا الأرض رغما عما نحن قائمون لهم به من الخدمات المهمة ما هو من جهة الإمارة، لا، لا يا سيدي بل لمقام الخلافة التي هي الآن الوحدة الإسلامية... لكن يا أخي كان يقتضي اذا سمعت مثل هذا تروح لحضرة الصدر أو مستشاره وتقول له بلغنا كذا وأنا متأسف بأنكم تسعون في خروج الحجاز من أيديكم وهو الآن أول ولاية في الخضوع والسكوت، ويلزم تعلمون أن الدولة ليست محصورة في الترك بل لنا النصيب الأعظم في الشورى وحق الرأي فيما يتعلق بأساسها فما نراه

---

(١) علي فؤاد، المرجع السابق، ص٧٤.

(٢) المومني، المرجع السابق، ص٨١.

(٣) موسى، الحركة العربية، ص٥٥، Baker. Op...cit. P.24، محمد بن أحمد عيسى العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، جـ٢، طبع بمطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٩٦١، ص٩٩.

(٤) أمين سعيد، اسرار الثورة، ص١١٥.

اصلح نعمل به وما نراه مضراً ومخالفاً بمنافعها فنرده بالمراجعة لهم فيه ما هو لكسب شهرة أو منفعة ذاتية بل لخدمة جماعية المسلمين خلاصة يا أخي أنت ما أرسلناك تصير أعيان، انت من طرفي اذا سمعت مثل هذا تروح تستوضح الصدارة عن مثل هذه المواد وتعرضه عليها» [1].

وتناقلت الأخبار في الحجاز بعد عودة الشريف من حملة الإدريسي بأن الشريف ناصر بن محسن أحد بني غالب أشاع أن الشريف الحسين قتل وهزم في حملته الأخيرة، وقد علم الشريف الحسين بهذا الأمر، ولحظة وصوله الى الطائف جاء الوالي العثماني حازم بك ومعه وفد كبير لاستقبال الشريف، كان من ضمنه الشريف ناصر بن محسن وعندما شاهده الشريف الحسين أمر بإخراجه وطرده، لكن الوالي غضب من ذلك وقال للشريف: إنه معي، فرد الشريف وإن كان معك، فقال الوالي انا امثل السلطان العثماني هنا، فرد الشريف بل انا امثل السلطان هنا لا انتم[2].

وبعد ثلاثة أيام وصلت من الصدر الأعظم برقية للشريف يطلب منه أن يقدم اعتذاره للشريف ناصر ومما جاء في البرقية «لقد بلغت المسامع السنية التي وقعت من ذاتكم الهاشمية على الشريف ناصر بن محسن الذي هرع لاستقبالكم مع عطوفة حازم بك والي الحجاز، وان الرغبة السلطانية منصرفة إلى استدعاء الشريف إلى مقامكم السامي وتلطيفه وإرضائه» [3].

لكن الشريف أجاب بأن ناصر بن محسن قد أشاع خبراً كاد يؤدي إلى خلق ثورة وزعزعة لأمن البلاد وذلك واضح من البرقية التي أرسلها الشريف في قوله «بما ان الأسباب الموجبة لما نال الشريف ناصر بن محسن من زجر وإخراج لا يتعلق بي

(١) موسى، الحركة العربية، ص٥٦.

(٢) الفواز، المرجع السابق، ص٨٧.

(٣) عبد الله بن الحسين، الاثار الكاملة، ص٨٧.

شخصيا فإنا لا أرى أن علي إظهار الندم على ما فعلت وان ما أشاعه المومأ إليه من أخبار اضمحلال القوى التي كانت معي لم يقصد منه إلا إيجاد حركة ثورية هنا، فهو يستحق ما لقي مني وقد بلغني الخبر من مكتوبي الولاية، ثم جاء به الوالي وهو يعرف ذلك وفي هذا من المداهنة والفساد ما ليس من خلقي» [1].

ولم تقتنع الحكومة الاتحادية بدورها بهذا الجواب إذ رد الصدر الأعظم يقول: «إن الباب العالي لا يستطيع غض النظر عن كسر الرغبة السنية التي تبلغتموها بالبرقية السابقة، والتي نؤيدها بهذه بل مؤكدين انتصار جلالة السلطان النتيجة» [2]، وهنا أبرق الشريف فورا الى الصدر الأعظم يقول: «إنني بعد ولي العهد في المكانة، ولا أظن أن الرغبة السنية تقصد الحط من هذا المركز القديم، والباب العالي الذي لا يستطيع غض النظر عن نفوذ الذات السنية، كيف يوجه هذه التهمة الشائنة إلى رجل لم ينفض بعد غبار السفر عن رجله في مجد السلطان؟ وان الباب العالي حر في ما يجب ان يفعله» [3].

لذا بقي الخلاف بين الشريف والسلطان العثماني طوال شهر رمضان، وفي نهايته وتحديدا بداية العيد حضر قائد الجندرمة عثمان بك للأمير علي بن الحسين واخبره أن الوالي العثماني حازم بك يرغب بزيارة الشريف ليقدم اعتذاره، وقد تم ذلك ودخل القائد على الشريف حيث تبادلا أطراف الحديث وقدَّم القائد الاعتذار وسأل عن أحوال الشريف وتقدم عثمان بك وقبل يدي الشريف، وقد أبرق الشريف إلى الصدر الأعظم سعيد باشا الذي حل محل الصدر الأعظم إبراهيم حقي، يقول: «أرجو ان تلاحظوا البرقيات المتبادلة بين الصدارة والإمارة من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا وبها

(١) عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٨٧.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

تفاصيل الحادث»[1]، وخلال ثمان وعشرين ساعة كان الوالي العثماني حازم بك منقولا إلى ولاية بيروت[2].

أما موقف الإدريسي من ثورة الشريف عام ١٩١٦م فقد رحب بذلك بحكم العداء مع الدولة العثمانية واستجاب لدعوة الشريف بمساعدته في ثورته[3]، وبقيت العلاقة خاملة بين الطرفين حتى عام ١٩٢٠م حتى توصلا لمشروع معاهدة وتحالف نصت على تحديد الحدود بينهما، والدفاع المشترك، والمنافع التجارية، لكن وفاة محمد الإدريسي حاكم صبا ١٩٢٣ م حالت دون نجاح المشروع.

العلاقات مع اليمن

أما عن علاقة الشريف الحسين بالإمام يحيى في اليمن فإنها كانت تسير بشكل طيب وودي ومبنية على التفاهم والحب والإخلاص للعرب مهما كانوا قبل تأسيس المملكة الحجازية. وفي عام ١٩١٠م[4]واجه العثمانيون ثورة كبيرة وشديدة في اليمن خلال قيادة الإمام يحيى بن حميد الدين والذي كان يتمتع بنفوذ قوي في منطقته، وكان الهدف من الثورة تأكيد زعامته في اليمن وما جاورها وعدم الاعتراف بالسيادة العثمانية عليها.

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) توفيق برو، المرجع السابق، ص٢٥٠، لمعرفة التفاصيل حول النزاع القائم بين الإمام والدولة العثمانية، انظر السيد مصطفى سالم: المرجع السابق، ص٩٦ وما بعدها.

(٤) هارولوا لديف يعقوب، المرجع السابق، ص١٤٥. Hogarth: Arabia, P121، انظر أيضاً: السيد مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص١١٠-١٦٣.

ولما تمكن الامام من الاستيلاء على صنعاء، أرسلت الدولة العثمانية حملة عسكرية بقيادة عزت باشا تمكنت من تحقيق انتصار على قوات الإمام وإعادة صنعاء الى سيادة الدولة العثمانية، مع انها تكبدت خسائر فادحة من قوات الإمام وخاصة في المعدات والرجال، وبقي الإمام يحيى متحصنا بالجبال يهدد القوات العثمانية بين الفترة والأخرى[1].

وفى هذا الصراع لجأ الاتحاديون لاستشارة الشريف حسين فنصحهم بالاتفاق مع الامام سلما[2]، وأكد استعداده للقيام بالمصالحة بأية شروط تكون مقبولة لديه، وكان الشريف يستهدف منع أي ثورات تحدث في المستقبل تؤثر على الدولة العثمانية بشكل سيىء. وقد بذل الشريف كل جهوده لمصالحة الإمام يحيى والمحافظة على سيادة الدولة العثمانية، لذا طلب من السلطان احمد سلطان لحج الذي تربطه بالإمام علاقة صداقة قوية التدخل وإقناعه بقبول الصلح مع الدولة العثمانية، وقد كتب الشريف بنفسه كتابا للإمام ودعاه باسم الرابطة الإسلامية أن يقبل الصلح مع الدولة العثمانية لتقوية مركز الخليفة العثماني[3].

ونتيجة محاولات الشريف المتكررة والعديدة استجاب الإمام وقبل بالصلح، وقد عقدت الدولة العثمانية معاهدة دعان[4] بينها وبين الإمام في شهر آب عام ١٩١١م اعترف به زعيما روحيا على آل زيود، واعطاه بعض الامتيازات في إمارته[5] وقد بقي الإمام وفيا ومخلصا للدولة العثمانية حتى انتهاء الحرب العالمية عام ١٩١٨م.

---

(١) موسى، الحركة العربية، ص٥٢.
(٢) المومني، المرجع السابق، ص٨٢. الفواز، المرجع السابق، ص٨٢-٨٣.
(٣) هارولوا لديف يعقوب، المرجع السابق، ص١٤٥-١٤٦.
(٤) السيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص١٣٦. أنظر أيضاً أباظهة: المرجع السابق، ص١٧٩.
(٥) Hogarth: Arabia، P121. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٠-١١١.

ولعل أهم ما يميز العلاقات بين الشريف والإمام اقتراح الشريف إقامة تحالف بينهما عام ١٩٢٢م[١] نتيجة تخوف الشريف من ابن سعود الذي اخذ يهدد المنطقة بعد دخوله منطقة عسير وتحالفه مع الإدريسي، إضافة للضائقة المالية التي ألمت بمملكة الشريف. وعلى هذا أرسل الشريف لليمن وفدا للتشاور والتباحث حول فكرة التحالف ورحب الإمام بالوفد ودارت مباحثات عديدة بين الطرفين انتهت بإرسال الشريف مبعوثيه الريحاني وقسطنطين يني لليمن للمرة الثانية للسير في خطوات مشروع التحالف[٢]، وقد تم ذلك بالفعل في أوائل حزيران ١٩٢٢م ومما جاء في الاتفاقية[٣]:

١. التأكيد على الوحدة العربية بكل معانيها الدينية والقومية.

٢. اعتراف الطرفين بملكية وإمامة أحدهما للآخر.

٣. مساعدة كل منهما للآخر في حالة حدوث عدوان خارجي او داخلي.

٤. تأمين الاتصالات بين الحجاز واليمن.

٥. الاتفاق على تداول النقود الفضية التي تسك في الحجاز بين الدولتين.

٦. تعيين مندوب واحد في كلا المملكتين تسهيلا للتشاور والمفاوضات.

٧. تأسيس مصنع للأسلحة لسد حاجة البلدين.

٨. تنفيذ بعض المشاريع المختلفة كسكة الحديد والأسلاك البرقية.

---

(١) الريحاني، ملوك العرب، ص١٩١-١٩٦.

(٢) الاستقلال، ص٥١، ١٥ آذار ١٩٢٢م. القبلة، ع٥٥٨، ٦ شباط ١٩٢٢. أنظر أيضاً: السيد سالم مصطفى، المرجع السابق، ص٣٢٥.

(٣) وهيم، المرجع السابق، ص٢٧٣-٢٧٥.

٩. يقدم كل منهما ما يتمكن من تقديمه من المساعدة التي يطلبها الحاكم الآخر حالة ظهور عدو مشترك لكليهما على أن يتحمل صاحب الطلب التأمينات اللازمة والضرورية للقوات المساعدة من معدات وأسلحة ونفقات وغيرها.

١٠. يتمتع كل منهما بالإشراف على سياسة بلده داخلياً وخارجياً على أن لا يحق لأحدهما عقد اتفاقية أو إبرام معاهدة مع أية دولة أجنبية تتعلق بما تحت إدارة الحاكم الآخر، أو يتدخل في شؤونه دون المشاورة، كما ليس لكليهما نقض اتفاق للآخر سبق هذه الاتفاقية فضلاً عن كون الاتفاق ذاته غير نافذ في البلد الآخر، إضافة إلى أن هذه الاتفاقية لا تنقض أي اتفاق قديم بين الإمام والحكومة العثمانية أو بين الشريف حسين والحكومات الأخرى.

١١. مدة المعاهدة عشرون عاما قابلة للتعديل أو التبديل.

وقد حمل يني نقاط الاتفاقية مع رسالة الإمام إلى الشريف حسين ورسالة أخرى من الريحاني إلى الشريف أوضح فيها اهتمام الإمام بالمشروع مطالباً الحسين بالموافقة على بنود المشروع لصعوبة اتمامه في المستقبل في حال فشله في الوقت الحاضر.

من جهة أخرى بعث الإمام بمبعوثه السيد محمد زيادة إلى الشريف حسين في أيلول ١٩٢٣م لمعرفة رأي الشريف - فيما يبدو من المعاهده المذكورة - وللتباحث معه للوصول إلى الصياغة النهائية للمعاهده فما كان من الشريف إلا أنه أظهر حسن نيته وأكد لمبعوث الأمام أنه مستعد للتضحية في سبيل الإسلام والعرب مهما كلفه الأمر[١] وانتهى الاجتماع بصيغة اقتراح للاتفاق عليه فيما بعد تضمن[٢] قيام اتحاد عسكري بين

---

(١) القبلة، عدد ٧١٦، ٢ إيلول ١٩٢٣.

(٢) وهيم، المرجع السابق، ص٢٧٥-٢٧٦.

البلدين يقضي بتعاونهما مع إناطة السياسة الخارجية للاتحاد بوزارة الخارجية في الحجاز وأن يكون هناك عقد اتفاق كمركي وبريدي بين الجانبين وتخصيص مبالغ مالية يتفق عليها بين الطرفين سنوياً لإقامة المشاريع وعمل الإنشاءات بين البلدين مع تعيين أئمة صنعاء بإرادة تصدر من الشريف بصفته رئيساً أعلى للدولة العربية.

وبعد المشاورات والمباحثات التي تمت بين الطرفين لم يوفقا في وضع الصيغة النهائية للتحالف وقد باءت الجهود بالفشل وتذكر بعض المصادر ان أسباب فشل صيغة المشروع تعود لما يلي:

- استحواذ الشريف على السياسة الخارجية واعتراف الإمام بالشريف ملكاً على العرب وهوما رفض رفضاً قاطعاً من اليمنيين(١).
- إصرار الشريف على رئاسة الاتحاد بينما يدير اليمنيون شؤونهم الداخلية بأنفسهم.
- خضوع اليمن اسمياً للحجاز وهو ما رفض جملة وتفصيلاً من قبل الإمام.
- رفض بريطانيا قيام مثل هذه التحالفات لأنها تؤثر على مصالحها في منطقة البحر الأحمر.
- مداهمة حركة الوهابيين للحجاز عام ١٩٢٤م والقضاء على المملكة الحجازية.

---

(١) لقد أوضح الريحاني خلال مفاوضاته مع الإمام يحيى أن الأخير رفض ما أراده الريحاني في وضع صيغة المادة الثانية من المعاهدة، فقد كانت هذه المادة في النسخة الأولى للمعاهدة تقترح اعتراف الإمام بالحسين ملكاً على العرب، وقد أخفق الريحاني في محاولة اقناع اليمانيين بذلك، واضطر بعد أسبوع من النقاش بهذا الشأن إلى موافقتهم في إقرار الحسين على ما تحت إدارته (الحجاز) من الأمور الخارجية أو الداخلية مع إضافة كلمة (غيره) دون أن تكون تعنى بغرض الحسين. انظر الريحاني: ملوك العرب، ص١٨٩-١٩٥.

العلاقات مع إمارة حايل

كان ابن رشيد يحكم إمارة جبل شمر وعاصمتها حايل، فلم يفكر الشريف في مهاجمته بسبب ولائه وطاعته للدولة العثمانية وعندما اندلعت الثورة العربية الكبرى انحاز ابن رشيد إلى الأتراك[(١)] ضد العرب، فكان يمد القوات التركية في المدينة بالمؤن، وآلاف المقاتلين لا سيما بعد أن شنت هجوما على منطقة مدائن صالح الحجازية في المنطقة الشمالية من المدينة المنورة مما سبب وقوع العديد من المعارك بينه وبين القوات العربية انتهت بهزيمته في مطلع القرن العشرين، لكنه استجمع قوته وامتد نفوذ إلى أطراف العراق ومشارف الشام، ونواحي المدينة، وكان شوكة في خاصرة آل سعود الذين دخلوا في حكم ابن رشيد[(٢)].

وقد بقيت العلاقات بين ابن رشيد والشريف هادئة طوال فترة الحرب العالمية الاولى، لكن العداء المشترك ظل قائما لسلطان نجد ابن سعود، ثم بدأ تقارب وتفاهم وتعاون بينهما ضد ابن سعود كما يتضح من الرسالة التي بعثها أمير حائل للأمير عبدالله بن الحسين في هذا الشأن، فما كان من الشريف إلا أن طلب من ابن رشيد أن يقطع علاقته مع الأتراك، وان يكون تحت سيادته، وقد وافق ابن رشيد على ذلك بحيث تكون السيادة اسمية، وان يعطيه منطقة تيماء ومناطق أخرى كان الجيش الهاشمي قد احتلها لكن الشريف رفض ولو أن هناك مصادر تشير إلى قبوله ذلك[(٣)].

---

(١) جميل عويدات، لورنس العرب. شخصيته ودوره واختلاف الآراء فيه، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٠م، ص٤٠. حكمت فريحات، السياسة الفرنسية، ص٨٥.

(٢) السيد مصطفى، المرجع السابق، ص١٩٢٥. انظر خير الدين الزركلي، الأعلام تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٣٠ ـ ٢٨٠. حكمت فريحات، السياسة الفرنسية، ص١٨٥.

(3) F.O. 882 / 13 Negotiations between KING HUSEEN and IBN RASHED P. 172.

وقد أشارت بعض الدراسات الى أن سبب التقارب بين الحجاز وحايل يعود الى العدو المشترك لكليهما «ابن سعود» الذي قتل والد ابن رشيد، وقد حرض الشريف حسين، ابن رشيد على مقاتلة ابن سعود، وافق ابن رشيد على ذلك، لكن أتباع ابن رشيد عارضوه ومنعوه من القيام بذلك تخوفا من قوة ابن سعود، الذي استمال له[1] بعض عشائر شمر التابعة لابن رشيد لذا حث أتباع ابن رشيد أميرهم على طلب الصلح من ابن سعود، والاعتذار للشريف بحجة انشغاله بالفتن التي ألمت ببعض مناطق إمارته، وهكذا فقد ابن رشيد بعض قوته بعد الحرب العالمية الاولى، وانهزام المساعد الأكبر له وهم الاتحاديون الأتراك، ومحاصرة الوهابيين له، مما دفعه لطلب المساعدة من الشريف في مقاتلة الوهابيين، لكنه رفض ذلك ودخل الوهابيون حايل واحتلوها في اوائل تشرين الثاني ١٩٢١م[2].

تجدر الإشارة إلى أن بعض الزعماء من قبائل شمر التابعين لحايل قد بدأوا اتصالهم بالشريف الحسين مطالبينهم بإرسال احد أمراء آل رشيد ليتزعمهم ويقود قوة عسكرية لمقاتلة ابن سعود.

(١) عطار، المرجع السابق، جـ٢، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨، فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٣٨٤.

(٢) أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، القاهرة، د.ت، جـ٣، ص١٥٥. القبلة ع٧٤٣، ١٢ أيلول ١٩٢٣م. القبلة، ع٧٨٤، ٢٦ نيسان ١٩٢٤.

الفصل الخامس

أزمة الشريف مع الاتحاديين الأتراك

الفصل الخامس

أزمة الشريف مع الاتحاديين الأتراك

استقبل الشريف حسين بعد وصوله إلى جدة في تشرين الثاني ١٩٠٨م من قبل اشراف مكه والحجاز ومشايخ القبائل ووكيل الإمارة ووالي الحجاز وقائده المشير كاظم باشا بالإضافة إلى وفد حزب الاتحاد الترقي برئاسة عبد الله القاسم الذي دار بينه وبين الشريف حسين حديث طويل مفاده أن الاتحاديين سيشددون قبضتهم على الحجاز لكن الشريف أعلن بصراحة تامة حقه في حكم الحجاز وبدون تدخل الأتراك فيه، وهكذا أظهر الشريف حسين إصراره على ضرورة المحافظة على استقلال الحجاز الذاتي وحرصه على المحافظة على حقه التاريخي.

لقد أثار رد الشريف استياء أعضاء وفد الاتحاد والترقي الذي دفعهم إلى الابراق إلى مسؤوليهم في الاستانة يتذمرون من مجيئه وأنهم عازمون على التخلص منه، فكان هذا إيذاناً ببدء الخلاف العلني بينهم وبين الشريف الذي دفعهم إلى عداوة الشريف من جهة، وتصميمهم مهما كلف الأمر على تطبيق سياستهم المركزية على الحجاز من جهة أخرى.

وبذلك أظهر الشريف حسين منذ وصوله إلى الحجاز نزعته المعارضة للسياسة المركزية، التي هدف الاتحاديون تطبيقها في الحجاز كغيره من الولايات الأخرى وشرع يسعى، يدفعه طموحه لتثبيت مركزه وسيادته في البلاد.

وعندما شعر الاتحاديون بازدياد نفوذ الشريف حسين، وعلو مكانته وقوة شخصيته، وصعوبة انقياده وعدم تردده في مناقشة الحكومة والسلطان، والتعبير عن ارائه في القضايا التي تهم الدولة العثمانية عامة والحجاز خاصة، وهو ما كشفت عنه مراسلاته العديدة إبان تلك الفترة، توجسوا منه خيفة وقرروا التخلص منه والقضاء على استقلال الحجاز النوعي، واصروا على تطبيق قانون الولايات الجديدة لعام ١٩١٣م من أجل تعميم سياسة تتريك العرب.

والواقع أن هذا الاتجاه الجديد قد وضح بعد انتهاء الحرب البلقانية (١٩١٢ـ١٩١٣م) إذ اتجهت نية أنور باشا[١] وزير البحرية، وجمال باشا[٢] من أقطاب

(١) ولد أنور باشا في استانبول عام ١٨٨٢م، من أب موظف في سكك الحديد، وهو خريج الكلية الحربية في استانبول، انضم لحركة تركيا الفتاة، وهو من أشهر الضباط الاتحاديين، الذين رفعهم الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨، خدم كملحق عسكري في برلين ثم ضابط ميدان. عاد إلى استانبول ليقود الحملة ضد حكومة الباب العالي. تقلد عام ١٩١٤ منصب وزارة الحربية ووكالة قيادة الجيش قبل أن يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره. انظر: إبراهيم صالح شكر، قلم وزير، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسورية والعراق، عرض خالد محسن اسماعيل، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠، ص٩٣.

(٢) ولد جمال باشا في استانبول عام ١٨٧٢ من عائلة عسكرية وهو خريج الحربية وأحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي، تولى بعد انقلاب عام ١٩١٣ منصب الحاكم العسكري لاستانبول، ثم أصبح وزيراً للحربية ووزيراً للأشغال وقائداً عسكرياً في سوريا أبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٥ـ١٩١٧) وهناك نكل بأحرار العرب واعدم عددا كبيرا منهم، ولذا لقب بالسفاح. أرسل إلى أفغانستان على رأس بعثة عسكرية واغتيل في طريقه إلى تركية في تفليس عام ١٩٢٢. للتفاصيل انظر شكر: المرجع السابق، ص٧٦.انظر أيضاً: جعفر العسكري، مذكرات جعفر العسكري، تحقيق وتقديم فتحي صفوة، دار السلام، لندن ١٩٨٨، ص٥٤. لمزيد من التفاصيل أنظر أيضا: فائز الغصين، المظالم في سوريا والعراق والحجاز، د.م، د.ت، ص ٥ وما بعدها.

الاتحاديين إلى إلغاء نظام الشرافة بهدف التخلص من قوة عربية لها نفوذ ديني وأدبي كبير في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

وفي عام ١٩١٢م وقع اختيار الاتحاديين على ضابط الباني من منتسبي جمعيتهم ليكون والياً على الحجاز وقائداً عاماً للقوات المرابطة في هذه الولاية ألا وهو وهيب باشا المعروف بقوته وصرامته وتحمسه لمبادئ جمعية الاتحاد والترقي وجمعوا بيده كل الصلاحيات وزودوه بقوة عسكرية لمساعدته في تثبيت حكمه وحكم الاتحاديين في الحجاز وتعزيز مركز الاتراك العسكري في الجزيرة العربية للتقليل من سلطة الشريف حسين وفرض السياسة التركية عليه.

أدرك وهيب عجزه عن مواجهة الشريف لا سيما بعد أن اشتدت الأزمة بينهما خاصة وأن الشريف أخذ يراسل الحكومة العثمانية في الاستانة حتى استطاع أن يعمل على نقل وهيب باشا من الحجاز[١] وتعيين اللواء غالب باشا مكانه.

وهكذا رأى الاتحاديون أن من حسن السياسة مهادنة الشريف حسين حتى تحين الفرصة لعزله من الشرافة وتولية علي حيدر من آل زيد مكانه، رغم إدراكهم أن الشريف حسين قادر على إخضاع جميع القبائل الحجازية تحت إمرته ولنفسه كقوة عسكرية وسياسية في شبه الجزيرة العربية وعلى ما يبدو فإن النزاع في بداية الأمر بين الاتحاديين والشريف، كان نزاعاً داخلياً ينحصر في دائرة العلاقات بالدولة العثمانية ووضع ولاية الحجاز فقط. لذلك فإن الاتحاديين كانوا متخوفين من الشريف حسين

---

(١) لقد تم تعيينه قائداً للجيش الثاني في استنبول. ومن الجدير بالذكر أن نهاية هذا القائد أن أحيل إلى المحاكم المختصة فصدر بحقه القرار الآتي «صدرت إرادة لمحاكمة وهيب باشا الارناؤوط، قائد جيش الشرق في محكمة عرفية مؤلفة من رؤساء الضباط لتهمة استعمال الوسائط النقلية المختصة بالجيش لنقليات خصوصية وتبطيله بسبب ذلك إعاشة الجيش». انظر جريدة القبلة، عدد ٣٠٠، الاثنين ١٣ شوال ١٣٣٧هـ.

لأنه كان يطمح إلى استعادة الخلافة منهم ومعارضته مد خط سكة حديد بين المدينة ومكه لأنه يزيد من سيطرة الاتراك على الحجاز.

وهكذا أدرك السلطان عبد الحميد الثاني فشله في مد سكة الحديد إلى مكة لأنها كانت أحد أهدافه في استعادة التوازن في الحجاز لصالح استنبول بل نلحظ أن التوازن استمر لصالح الشريف حسين إثر تفاهمه مع القبائل وتهدئتهم على أساس عدم استمرار مد خط السكة إلى مكة.

ولعل ذلك التحفظ هو الذي جعل الشريف حسين يبذل جهداً كبيراً في التوسط لدى القبائل واقناعهم بعدم معارضة مد السكة ومع ما هو معروف عن نفوذ اشراف مكة بين تلك القبائل، وهو النفوذ الذي مكن الشريف حسين من اقناع تلك القبائل عام ١٩٠٩م، بالكف عن المقاومة، وربما كان تحركه في هذا السبيل قد جاء في النهاية نتيجة اقتناعه بأن سكة الحديد لن يقدر لها بعد ذلك الوصول إلى مكة المكرمة، ويلاحظ هنا أن اشراف مكة وغيرهم من القوى المحلية المجاورة رغم تحفظها على سكة حديد الحجاز فإنها لم تقم بجهد حربي أو تحرك سياسي مكشوف ضدها.

وعلى الرغم من ذلك فإن الشريف أظهر اخلاصة للدولة العثمانية إذ لم يتردد أبداً في الاستجابة لطلبات الباب العالي لا سيما في محاربة كل من يحاول الانفصال عنها أو محاربتها فقد حارب ابن سعود وابن رشيد، بل في بعض الأحيان كانت الدولة العثمانية تستشير الشريف في بعض ظروفها وأحوالها السياسية كما فعلت عام ١٩١٠م حين استشارته بشأن الثورة التي قام بها الأمام يحيى في اليمن.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الحكومة العثمانية أخذت تخطط لتنحيته الشريف حسين عن الحكم، على اعتبار أنه كان يخطط للثورة، وقد خلق الاجتماع الذي انعقد بين

الأمير عبد الله واللورد كتشنر[1] المعتمد البريطاني في القاهرة عام ١٩١٢م تأكيداً لتخمينات الصحافة العثمانية، إذ أصبح واضحاً أن المسؤولين الاتراك الكبار متأكدون من أن الشريف حسين يتقرب من البريطانيين من أجل المساعدة، ويبدو أن هذه التقارير قائمة على الشائعات والشكوك ولكنها لا تخلو في الوقت نفسه من حقيقة أن الشريف حسين كان يعد العدة في الخفاء للانفصال عن الاتراك وما تكليفه لابنه عبدالله بالاتصال باللورد كتشنر إلا لهذا الغرض.

ومما زاد الأمر تعقيداً طلبهم من الشريف المشاركة في الحملة العسكرية على قناة السويس، فقد طلب من الشريف أن يعزز فرقة الحجاز بقوة مساعدة بقيادة أحد ابنائه أو أن يتولى هو قيادة الحملة القادمة من الحجاز، من نظاميين ومتطوعين، فوافق الشريف على المساعدة في الحملة وأرسل نجله الأمير علي على رأسها، وعلى ما يبدو فإن الشريف قصد المهادنة الوقتية التي يرافقها الحذر والترقب الشديد والجدير بالذكر أن الحملة العثمانية قد فشلت في مهمتها أمام قوات الحلفاء، وبرر جمال باشا هزيمته بخيانة الشريف، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الشريف حسين كان جاداً في الاسهام الفعلي في الحملة ضد بريطانيا وحليفاتها في وقت كانت المفاوضات بينهما قد قطعت شوطاً كبيراً، وهل يمكن الركون إلى حادثة أوراق وهيب السرية باعتبارها السبب المباشر وراء عدم مواصلة الأشراف سيرهم مع القوات العثمانية تجاه مصر؟

---

(١) كتشنر، ايرل هوراثيو هربرت كتشنر: ١٨٥٠ ـ ١٩١٧، قائد عسكري وسياسي بريطاني استعماري، خدم في الجيش الفرنسي في فلسطين وقبرص ومصر وعين حاكماً للسودان الشرقي ثم سردارا في الجيش المصري عام ١٨٩٢ ثم رئيساً لهيئة أركان الجيش البريطاني في حرب البوير في جنوب افريقيا ثم عين قائداً عاماً للقوات البريطانية في الهند. بعد ذلك رقي إلى رتبة فيلد مارشال وعين قنصلاً عاماً في مصر وحاكماً فعلياً لها عام ١٩١١حتى عام ١٩١٤ ثم عين وزيراً للحربية البريطانية. أرسل عام ١٩١٦ إلى روسيا لتنظيم جيشها لكنه غرق مع الطرادة التي كانت تقله في ظروف غامضة عام ١٩١٧. انظر طلاس: الثورة العربية، ص١١٤ الهامش.

لا شك أنها السياسة التوفيقية المؤقتة التي كشفت مهارة الشريف الفائقة التي أخذ ينسقها بما يتساير وتلك السياسة التي بدأ بنسج خيوطها من أجل إعلان ثورته بوجه الدولة العثمانية فالتطورات السابقة والمنطق تؤكد أن الشريف لم يكن جاداً في الاسهام الفعلي في الحملة، وأنه كان على دراية تامة بنوايا الاتحاديين تجاهه، وفي ضوء ذلك يمكننا القول إن حادثة الأوراق السرية كانت ورقة رابحة بيد الشريف لمواصلة سياسته التوفيقية، رغم دورها في إعادة تدهور العلاقات بينه وبين الاتحاديين، وإن اكتشافها في هذا الوقت قدم على ما اعتقد خدمة كبيرة للشريف في مواصلة سياسته ضد الاتحاديين، ذلك أنهم في هذا الوقت كانوا يودون الابقاء على الشريف حسين لعظيم الفوائد التي يجنونها من وراء ارتباطهم به، إذ لو افترضنا أن كشفها كان قبل الحرب لكان موقف الاتحاديين منه بالتأكيد يختلف من موقفهم بعد ذلك لأنهم قبل الحرب وكما كشفت الأحداث وأفصحت عنه المفاوضات والمراسلات كانوا يودون التخلص منه بكل طريقة.

وبدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى بالرغم من نصيحة الشريف بعدم دخولها، فقد تحتم على الشريف حينها اتباع سياسة ترمي إلى نيل البلاد العربية وبما فيها الحجاز استقلالها، ومن هنا بدأ اتصالاته ومفاوضاته مع البريطانيين لتنفيذ ذلك والاتصال مع الجمعيات العربية المختلفة في دمشق والتي توجها بعمله العسكري الجريء في ١٠حزيران ١٩١٦م وإعلان ثورته على تلك السياسة الاتحادية الطورانية الحاقدة ومن أجل إنقاذ الدين الإسلامي والقومية العربية من آثار تلك السياسة الطورانية المتعصبة للدين الإسلامي والعرب والعروبة.

وبناء على ما تقدم سنتناول في هذا الفصل تدهور العلاقات مع الاتحاديين ثم زعامة الحسين للثورة ضد الاتراك (حزيران ١٩١٦م).

تدهور علاقات الشريف مع الاتحاديين

أدت السياسة العنصرية التي اتبعها الاتحاديون والتي تم تناولها سابقاً إلى نشوب أزمة بين الدولة وولاياتها التابعة أخذت مظاهر مختلفة حيث انفجرت الثورات منذ عام ١٩١٠م وشملت العديد من الولايات العثمانية لا سيما البلاد العربية في اليمن بقيادة الإمام يحيى، وفي عسير بقيادة محمد الإدريسي، وثورة جبل الدروز، والكرك والشوبك.

ورغم أن الدولة تمكنت من القضاء على الثورات في منطقة الدروز والكرك والشوبك إلا أنها فشلت في قمع ثورات اليمن وعسير، ففي اليمن قام الإمام يحيى الزيود بثورة شديدة ضد الحكومة العثمانية استطاع بحنكته ودهائه وسياسته الحكيمة أن ينتزع اعتراف الحكومة العثمانية به واجبرها على توقيع اتفاقية معه عام ١٩١١م اعترفت به رئيساً روحياً في منطقة صنعاء والجبل[١].

أما في عسير فقد ثار الشيخ محمد الإدريسي[٢]، واجبر الحكومة العثمانية على إرسال حملة لتأديبه وإخضاعه لها عام ١٩١٣م لكن لأسباب كثيرة سبقت الإشارة إليها فشلت الحملة دون أن تشتبك معه في معارك فاصلة وحاسمة، وبقي الإدريسي حاكماً رئيسياً لمنطقة حائل وعسير.

أما في الحجاز فقد تدهورت العلاقات بين الشريف حسين والاتحاديين تدهوراً شديداً الأمر الذي دفعهم إلى العمل على التخلص منه بل والغاء منصب الشرافة نظراً لازدياد نفوذه في المنطقة ومعارضته رغبة الاتحاديين في تطبيق المركزية في حكمهم

---

(١) موسى، الحركة العربية، ص٥٢-٥٣.

(٢) الصواف، المرجع السابق، ص١٤١. الريحاني، ملوك العرب، ص٢٩٨. البركاتي، الرحلة ص٦-١١.

للحجاز، ومعارضته قانون الولايات الجديدة الذي فرض التجنيد الإجباري على أهل الحجاز وكذا الضرائب.

وعلى هذا اختارت حكومة الاتحاديين وهيب بك وهو ضابط الباني من جمعية الاتحاد والترقي ليكون واليا جديداً على الحجاز وقائداً عسكريا في المنطقة[1]، وكان مشهوراً بالحزم والعزم والصلابة في معالجة الأمور وتحمسه الشديد لمبادئ حزبه[2] وقد جمعت له الحكومة السلطتين الإدارية والتنفيذية «الإدارية والعسكرية»[3] وزودته بقوة عسكرية كبيرة تألفت من سبع كتائب أرسلتها معه عن طريق البحر الأحمر حتى بلغت جدة عام ١٩١٢م وزودته بكتيبة مدفعية وكان مزودا بتعليمات للعمل على[4]: إضعاف سلطة الشريف حسين وتقليل نفوذه في الحجاز والقبض عليه إذا استوجب الأمر وإلغاء الامتيازات التي يتمتع بها الحجاز وجعله كالولايات العثمانية الأخرى وتطبيق سياسة المركزية وقانون الولايات الجديد في الحجاز والعمل على مد خط سكة الحديد من المدينة إلى مكة.

وقد أورد الفريق غالب باشا نص التعليمات التي أعطيت لوهيب في مذكراته بقوله: «إننا نعلم أن الشريف حسين عمل بكل قواه في سبيل استقلال العرب وسلخ هذه البلاد عن السلطة العثمانية ولهذا اعتزمنا عزله وتولية الشريف علي حيدر (من آل

---

(١) علي فؤاد، كيف غزونا مصر، ترجمة نجيب الارمنازي، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٧٨.

(٢) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٤.

(٣) احمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦، ص ٣٥. أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، جـ١، ص٥٤.

(٤) الفواز، المرجع السابق، ص٩٠-٩٧. عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٠-١٠٠.

زيد) بدلاً عنه فلعلك حين وصولك إلى مكة أن توجد خلافاً بين مقامي الولاية والإمارة لنتمكن من تحقيق هذا الهدف» [1].

ومن الطبيعي أن تعيين الوالي الجديد كان يعد تغيراً في السياسة العثمانية كان من شأنه إيقاع الفرقة بين أبناء الحجاز والصراع على السلطة والتصادم مع الوالي الذي لم يمض على مقدمه عدة أيام، خاصة وأن الشريف حسين كان قد تأكد من نوايا الدولة من خلال اطلاعه على المراسلات المتبادلة بين الوالي والآستانة أحياناً[2].

على كل حال وصل وهيب بك إلى الحجاز وبدأ بتنفيذ سياسته في حكم الحجاز القائمة على الاستبداد والشدة من خلال الأعمال التالية[3]:

- تشجيع شراذم الاتحاديين في الحجاز والمناطق المجاورة على مساعدته وتضييق الخناق على الحجازيين عامة والشريف خاصة.
- طلب أن تناط جميع الأحكام الداخلية في البلاد الحجازية بالحكومة وأن لا يكون للشريف أي علاقة بذلك.
- التدخل في شؤون القبائل التي تعد من مسؤوليات الشريف الخاصة.
- الاعلان عن أنه جاء ليطبق قانون الولايات الجديد ويمد خط سكة حديد المدينة إلى مكة، وأنه إذا لم يوافق الشريف على ذلك فسيعمل على عزله وتعيين علي حيدر بدلاً منه.

---

(١) سليمان الموسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ط٢، طباعة جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٩٢م، ص٥٢.

(٢) وهيم، المرجع السابق، ص٣٩، كان للشريف بعض الرقباء والجواسيس الذين كانوا يوافونه باخبار وهيب وصور برقياته الرمزية واجوبتها من الحكومة، للتفاصيل انظر الراوي: آمر اللواء الركن المتقاعد إبراهيم، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٦٩، ص١١.

(٣) الفواز، المرجع السابق، ص٩٢-١٠٠، موسى، الحركة العربية، ص٧٤-٧٨.

• الإشراف على ولاية الحجاز إدارياً ومالياً وعسكرياً.

وكان من الطبيعي أن يرفض الشريف الحسين هذه السياسة رفضاً قاطعاً، وأكد على أن التجنيد الإجباري وتطبيقه على أهل الحجاز «لن يكون باعتباره غير عملي ولا يناسب طبيعة الحجازيين»[1]، فضلاً عن أن الحجاز بلد مقدس له مكانته الخاصة ووضعه لا يسمح أن يطبق فيه ما يطبق على غيره من باقي الولايات الأخرى»[2]. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن سكان الحجاز والقبائل العربية ثاروا، حيث انتشرت المظاهرات والاحتجاجات على سياسة الوالي الجديد، وعلى سبيل المثال فقد امتنع «الجمالة» وعددهم أربعة آلاف عن نقل البضائع من ميناء جدة إلى مكة مما أغضب تجار مكة والأهلين فذهبوا إلى الشريف حسين يشكون حالهم فأرسل الشريف رجاله إلى القبائل البدوية التي اعتدت على الجماله وأقنعهم بضرورة إرسال الأحمال فوافقوا على ذلك وأعيدت الأحمال إلى أهلها[3].

وعندما علم وهيب بك الوالي الجديد بتصرف الأهالي والتجار قام بتوبيخهم وضيق الخناق عليهم واعتقلهم وسجنهم، وأمرهم أن لا يذهبوا مستقبلاً للشريف لأنه المسؤول الوحيد عن الأمن والاستقرار داخل الحجاز، وطلب من أهل مكة أن يدخلوا في الجندية لكنهم رفضوا وهكذا انقطعت المواصلات بين الساحل والداخل وبين مكة والمدينة، واشتدت الأزمة للمرة الثانية وهاجمت القبائل البدوية أي قافلة تجارية تمر عبر

---

(١) الصواف، المرجع السابق، ص١٥٩، خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ١٩٨٠-١٩٢٠، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص١٠-١٧.

(٢) طلاس، المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣) قاسمية: المرجع السابق، ص١٠-١٧. وذكرت أن الأمر قد حمل أكثر مما يحتمل بقولها: إن الشريف حسين اصطدم مع الوالي الجديد وهيب حينما عزم الأمير على تطبيق نظام الولايات الجديد في الحجاز وأصبح معروفاً أن للشريف مطامع تفوق شرافته وامتيازاتها وإمارته وكان ذلك بمثابة انذار له بالعزل من منصبه والحقيقة تشير إلى عكس ذلك. انظر أيضا: موسى، الحركة العربية، ص٧٤-٧٩.

أراضيهم. ومن ذلك مهاجمة قافلة تابعة لتاجر هندي، حيث قتلوه ونهبوا تجارته وامتنع سكان المناطق المجاورة لمكة عن جلب الخضار والفواكه وجميع مشتقات الألبان إليها. وهاجمت القبائل البدوية القوات التركية وحاصرت بعض النقاط العسكرية الواقعة بين جدة ومكة وهاجمت الزوارق والسفن المحملة بالأرز والحبوب في ميناء جدة وحطمتها وقد اتهم وهيب الشريف حسين بتدبير المظاهرات والاحتجاجات التي عمت مكة والمدينة وجدة وسائر مدن الحجاز بل وصل الحال بالقبائل البدوية أنها قطعت خطوط التلغراف بين مدن الحجاز وصادرت البريد. وأكثر من هذا فقد هاجم البدو مجموعة من الجنود الأتراك خرجت من جدة قاصدة مكة ونهبوها وقتلوا مجموعة منهم وفر الباقون.

ونتيجة لكل تلك الأحداث ارتفعت الأسعار وضاقت الحال على الناس، حتى لقد تجمع سكان مكة حول دار الحكومة العثمانية واخذوا ينادون بعدم تطبيق نظام القانون الجديد والسياسة المركزية في الحجاز، ويهتفون للشريف ويندوون بالوالي[١].

وأمام كل تلك التطورات دخل الشريف على الوالي وأوضح له أن الحجازيين متمسكون بمطالبهم وحقوقهم وامتيازاتهم ولا سبيل إلى غير ذلك، وأرسل برسالة إلى الباب العالي والصدر الأعظم يوضح فيها خطورة الموقف وسوء تصرفات الوالي الجديد، وبعد فترة وصلت رسالة من الصدر الأعظم للشريف تؤكد على حقوق وامتيازات الحجازيين وتأجيل مد خط سكة حديد مكة- المدينة، وقرأ الشريف الرسالة على أهل مكة في المسجد الحرام فهدأت الحال[٢].

(١) عبد الكريم فريحات، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠، ط٢، دار المراتب الجامعية، بيروت، ١٩٨٧، ص٧٦-٧٨. موسى، الحسين والثورة، ص٤٧-٤٨.
(٢) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٥-١٠٠.

ثم تجدد الخلاف بين الوالي والشريف وعمت على إثره الفوضى والاضطرابات مدن الحجاز من جديد، مع أن الوالي قدم اعتذاره للشريف حسين آملا في تسوية الأمر ولو وقتياً وأرسل برقية للباب العالي موضحاً فيها أنه لا يتحمل ما يحدث في الحجاز من مصاعب واضطرابات مستقبلية لا يحمد عقباها[1]، إلا أن الشريف تجاهل ذلك رغم توجيه نجله فيصل لتأديب البدو الذين كانوا سبباً للاضطرابات في جهات من مناطق جدة.

وبادر الوالي بارسال رسالة مستعجلة للباب العالي يطلب فيها إرسال قوة عسكرية إضافية لكي يخلصهم من الشريف بعد عزله من منصبه، واستجاب طلعت باشا[2] في بادئ الأمر لكن تدخل الصدر الأعظم سعيد حليم الذي وضح خطورة ذلك، وأرسل رسالة أخرى توضح حقوق وامتيازات الحجازيين من جديد[3].

وفي تلك الأثناء سافر الأمير عبد الله (عضو مجلس المبعوثان) إلى اسطنبول لحضور جلسات المجلس، وهناك تباحث مع سعيد حليم ووزيري الحربية والداخلية أنور وطلعت بشأن الأزمة الحجازية، وكان لقاؤه مع سعيد حليم يحيى طه فيه الود والتفاهم والاحترام حيث قال: «إن أبي يقرئك السلام ويقول إنه لا ينتظر أن يدافع عن الشرافة وعن مقام آبائه وأجداده في عهد صدارة سعيد حليم باشا حفيد محمد علي باشا الكبير صديق البيت، قال: إن كل الأمور سويت وقد رضي الأمير عما عرضناه عليه وأنا أرجو أن تراني غدا في الباب العالي في الساعة الرابعة بعد الظهر بعد أن تقابل وزير الداخلية طلعت باشا ووزير الحربية أنور باشا قبل الظهر، فقلت: أنا لا اذهب إليها وأنا

---

(١) موسى، الحركة، ص ٧٦.

(٢) ومن أقطاب الاتحاديين طلعت باشا الذي ولد في أضنه في عام ١٨٧٤ من عائلة فقيرة، وقد تعلم الفرنسية في مدرسة الاتحاد اليهودية، وأصبح رئيساً للكتاب في ولاية سلانيك، ومأموراً للبريد وعضواً في الخزانة العامة ثم وزيراً للحربية. للتفاصيل انظر النعيمي: المرجع السابق، ص١٠٦.

(٣) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٦-٩٧.

مبعوث مكة ولست بالموظف فلا علاقة لي بهما»[1] وعرض على الأمير الشروط التي قدمتها الحكومة الاتحادية كي يوافق على مد سكة الحديد وأن يتعاون معهم وهي[2]:

- ثلث دخل الخط للشريف يتصرف به كيفما شاء.
- تضع الحكومة الاتحادية تحت تصرف الشريف ربع مليون جنيه تنفق على القبائل البدوية وسكة الحديد.
- تكون تحت تصرف الشريف قوة عسكرية تلبي أوامره، قادرة على تأمين وتنفيذ سكة الحديد.
- أن يبقى الشريف أميرا على الحجاز مدى الحياة وهو حق له ولافراد عائلته.

وابلغه وزير الحربية أن يعود للحجاز ويعرض هذه الشروط على الشريف وان رفض ذلك فسوف تتخذ الدولة الإجراءات المناسبة، أما موضوع وهيب باشا فقد أبلغ الأمير أن الحكومة لا يهمها تغير الولاة شهراً بعد شهراً بل يهمها تغير سياسته في الحجاز.

عاد الأمير للحجاز وعرض هذه الشروط على الشريف الذي رفضها معتبرا أنها رشوة، وأرسل بدوره برقية للصدر الأعظم يبلغه فيها أنه ليس له مطامع شخصية، وأنه سيرسل له ابنه ليقدم للحكومة الاتحادية مقترحاته ومطالبه، ففعل ذلك وقابل الصدر الأعظم وأبلغه الاقتراحات بقوله: «أنا خادم الخليفة ولست بمعارض فيما يرى جلالته عمله، وإني مستعد للتنفيذ حالا ولكن إذا كان اتمام بناء الخط وتأمين ولاء العشائر ومعاشهم هو ما يريده جلالته وتريده الحكومة فلذلك وسائل لا تقتضي ربع المصروف

---

(١) نفسه، ص٩٦-١٠٠.

(٢) نفسه، ص١٠٢.

الذي بينه لي عبد الله..... فينبغي توظيف فرقة عسكرية بكاملها على طريق السكة وأشغال المياه والقرى بين المدينتين»[1].

خلاصة القول: اتبع الشريف حسين خلال الفترة ١٩٠٨ـ١٩١٤م سياسة مركزية داخل إمارته وتعظيم نفوذه فيها، ودعماً لهذه السياسة فقد استخدم الإسلام كايديولوجية سياسية تهدف لإثارة المسلمين والتعاطف معه، وكان ينوي التعاون مع الحكومة الاتحادية (العثمانيين) من أجل تنفيذ رابطة جامعة إسلامية فعالة وقوية، لكن سياسة الاتحاديين حالت دون ذلك، وبذا كان الصراع بين الشريف والاتحاديين نتيجة حتمية لا مفر منها، انتهت بفشل الاتحاديين في إضعاف سلطة ونفوذ الشريف حسين أو التخلص منه، ولعل ذلك يرجع بالدرجة الرئيسة إلى مشاكل الدولة الخارجية لاسيما في اليمن ونجد والبلقان التي اضطرتها الى التساهل مع شؤونها الداخلية، فضلاً عن المقاومة التي كان يبديها سكان الحجاز، وبالذات القبائل لسياسة الاتحاديين الجديدة، ثم مكانة الشريف حسين لدى بعض الشخصيات التركية القديمة (المحافظة) وتعاطفها معه، في وقت كان الاتحاديون عاجزين عن الاستغناء عن هذه الجماعات كلياً وهذا ما كان يدركه الشريف حسين جيداً، وما سكوت الدولة عنه أحياناً إلا مؤقت وامهال منها لا إهمالاً، إذ دفعهم عجزهم إلى تبني سياسة المهادنة المخادعة والمضللة مع الشريف لحين ان تتهيأ الفرصة للتخلص منه.

فضلاً عن ذلك فقد كشفت المراسلات المتبادلة بين الشريف والاتحاديين رغبتهم في فرض السلطة المركزية على ولاية الحجاز؛ بشموله بقانون نظام الولايات إلا أن الشريف لم يرحب بذلك وأعلن معارضته، وبالذات فيما يتعلق بإنشاء السكك الحديدية بين المدينة ومكة، إذ أكد في مراسلاته الهدف الحقيقي والواضح للاتحاديين من

---

(١) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٦-٩٧.

إصرارهم على تنفيذ مد السكك إلى مكة، لإحكام سيطرتهم وقبضتهم على مقر حكمه ومعقل نفوذه، الذي أغاظتهم منعته وقوته وهذا ما أكده في مراسلاتهم، التي أكدت صراحة ضرورة عزل الشريف والتخلص منه، لكنه كان أمنع من أن يخاطروا بعزله عزلاً سريعاً أو التخلص منه كما فعلوا بسابقيه، الأمر الذي دفعهم إلى مضايقته والحد من تصرفاته وحركاته بل ووضعه كما سنلاحظ، هو وأولاده تحت المراقبة الشديدة والدقيقة.

على كل حال ففي تلك الأثناء وفي ربيع عام ١٩١٢م وبينما كان الأمير عبد الله عضو مجلس المبعوثان (١٩٠٩ ـ ١٩١٦م) عائداً من اسطنبول إلى الحجاز مر بالخديوي عباس حلمي الثاني[١] وحل ضيفاً عليه بقصره في عابدين، وأثناء مكوثه هناك جاء اللورد كتشنر زائراً للخديوي بمكتبه بسرايا القبة وكان الأمير موجوداً عنده، وتم التعارف بينهما ثم استأذن الأمير وخرج، ولكن سرعان ما لحق اللورد به قاصداً قصره طالباً زيارته فرحب الأمير بذلك مستقبلاً إياه استقبالاً حاراً لكن الأمير خشي أن تؤثر هذه الزيارة على علاقته بالحكومة الاتحادية[٢]، ودار حديث طويل بين الأمير واللورد بين فيه اللورد أن الحكومة البريطانية راضية كل الرضى من توفير الأمن ووضع الترتيبات اللازمة لرفاهية الحجاج وتسهيل راحتهم، وأنها تكن كل الاحترام والتقدير لشخص الشريف حسين، وشكره الأمير وقال إنه سيبلغ والده بهذا الأمر[٣].

(١) الخديوي عباس الثاني (١٨٧٤ ـ ١٩٤٤). حكم مصر من (١٨٩٢ ـ ١٩١٤) الابن الأكبر للخديوي توفيق، كان طموحاً وحاول مقاومة الاحتلال البريطاني، خلفه الانكليز أثناء وجوده في الآستانة في كانون الأول عام ١٩١٤ بعد فرض حمايتهم على مصر، عاش بعد ذلك في المنفى في سويسرا إلى أن مات. أنظر طلاس: المرجع السابق، ص١٩٢ - ١٩٦.

(٢) عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص٩٠-٩٥. طلاس، المرجع السابق، ص١٩٢. انظر أيضاً: الدسوقي، المرجع السابق، ص٢٢٣-٢٢٩.

(٣) نفسه، ص٩٠-١٠٠.

وبعد مغادرة اللورد ذهب الأمير إلى المندوب السامي العثماني في القاهرة وأخبره بما جرى وطلب منه أن يبلغ الحكومة الاتحادية كذلك كي لا تكون هناك إشاعات وتأويل للأمر واستأذنه أن يرد الزيارة للورد، وبعد عدة أيام زار الأمير اللورد في دار المعتمد البريطاني بمصر، وقد أبدى اللورد اهتمامه بالأمير وأوضح له أن الحكومة البريطانية مهتمة بشؤون الحجاز وسأله عن علاقة الشريف بالوالي وهيب وعن شؤون الحج ومسائل دينية كثيرة، ولم يُجب الأمير عن هذه التساؤلات لأنه غير مخول بالإجابة أو بالأحرى أدرك بذكائه وفطنته أن الأسئلة نافذة وقوية ولها معانٍ كبيرة لكنه أجاب بشيء من الحذر من خلال إعطائه فكرة عامة عن الحجاز، لذلك أعجب اللورد بشخصية وقوة بصيرة الأمير[1].

لم يدر بين الطرفين أي حديث سياسي عن الحكومة العثمانية أو إمارة الحجاز أو غير ذلك، وفي عام ١٩١٤م التقى الأمير عبدالله في القاهرة بالمستر ستورس السكرتير الشرقي للحكومة البريطانية - الذي كان يحسن اللغة العربية - حيث كان اللقاء مجدياً وناجحاً وكان الخلاف على أشده بين ستورس والشريف من جهة والحكومة الاتحادية من جهة أخرى لا سيما بعد تعيين وهيب باشا.

بعث المعتمد البريطاني كتشنر إلى السير ادوار جراي وزير خارجية بريطانيا رسالة جاء فيها «يقيم الآن في القاهرة في زيارة قصيرة الشريف عبدالله ابن شريف مكة وقد جاء لزيارتي يوم أمس وطلب مني أن أبعث إليكم بتحيات والده وقال إن الأحوال في الحجاز لا تسير كما يجب أن تسير بسبب ما حدث مؤخرا من تعيين والٍ تركي جديد يجمع في يده بين الصلاحيات المدنية والعسكرية بالإضافة إلى أنه لا يتعاطف مع الشعب ولا يقوم بتصريف أعماله بالتعاون مع أبيه سواء في تصريف

---

(١) سليمان الموسى، المراسلات التاريخية، م١، ط١، عمان، ١٩٧٣م، ص٥-٢٠.

الشؤون الداخلية للأراضي المقدسة أو فيما يتعلق برفاهية وأمن الحجاج المسلمين القادمين من جميع أرجاء العالم وهو ما كان من صميم مسؤوليات أبيه أمير مكة منذ أمد طويل، وقد رغب إلى أن أسألكم عما إذا كانت في حال بلوغ هذا الخلاف مرحلة الحرج وفيما إذا حاولت الحكومة التركية أن تعزل أباه من منصب إمارة الأماكن المقدسة الوراثي سوف تستعملون مساعيكم الحميدة مع الباب العالي لمنع تنفيذ تلك المحاولة.. وأبدى الأمير رغبته أيضاً أن تبقى ملاحظاته هذه سرا مصوناً وأن لا يعرف عنها بأي حال من الأحوال في اسطنبول، وسألني كذلك عما إذا كنتم ستبعثون إلى أبيه برسالة ما، وكان جوابه إنني اعتقد أن من غير المحتمل أن تبعثوا برسالة ما»[1].

بعد اجتماع الأمير مع المعتمد البريطاني كتشنر بيومين أرسل برسالة إلى والده جاء فيها «ذهبت إلى كتشنر وقابلني بأحسن قبول وسألني عن الحالة بالحجاز فأجبته بأنكم أعلم بها من كل أحد.. وباحثته بالموضوع على حساب التعليمات التي تلقيتها من ولي النعم حرفيا وزدت عليها ما استنتجته من الأمر الكريم الذي تلقيته أخيراً عما فعله الوالي الجديد فأجابني في الحال أنه سيكتب تلغرافا وبدون تأخير بأنه يجب على انجلترا عدم المساعدة على تغيير حالة الحجاز وأميرها وأضاف عليها بأننا لا نريد المداخلة بحقوق أحد ولكن حيث أن الحجاز محل حج رعايانا فينبغي أن نلاحظه»[2].

وتوالت الزيارات بين الأمير عبدالله والمعتمد البريطاني كتشنر والسكرتير الشرقي ستورس، وفي يوم ٧ شباط ١٩١٤م حدث تزاور بينهما «وقال له إنه كتب بمراجعة بما ذكره الأمير وأوضح له الأمير أن الشريف ما يزال على ولائه للسلطان ولكن السلطان أصبح دون سلطة فعلية فإذا حاول الاتحاديون الذين اغتصبوا سلطة السلطان أن يعتدوا على حقوق الشريف فلا سبيل إلا الدفاع فأجابه كتشنر بأنه لا

(١) سليمان الموسى، المراسلات التاريخية، ص٥-٢٠.

(٢) الموسى، الحركة، ص٦٩. عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص١٠٠.

يعتقد أن الاتحاديين يجرؤون على الاعتداء على الشريف وخرج كتشنر ولكن لم يلبث ستورس أن عاد وقال للأمير عبدالله: أيا ما أردتم من الخدمات سنقوم بها حسب رغبتكم وشرفونا للوكالة البريطانية حتى نتحادث في الموضوع» [١].

وكان للخديوي عباس دور لا بأس به تجاه الحركة العربية التي ينوي الشريف القيام بها فقد استدعى المندوب العثماني في مصر وأبلغه أن يحذر حكومته من اتخاذ أي إجراءات ضد الشريف، وأكد له أنه لن يسمح للأمير بالسفر إلى الحجاز حتى يتأكد له من حسن نية الاتحاديين تجاه الشريف ونجله.

وعلى إثر زيارة كتشنر للأمير عبد الله زار المندوب العثماني الأمير عبدالله في مصر مرتين وأكد له حسن نية حكومته تجاه الشريف وأرسل برقية إلى الحكومة بما دار بينه وبين الخديوي» [٢]، وقد اقنع الخديوي الأمير عبدالله بأن يتصل بالسيد ستورس ويعرض عليه أمرين » [٣]، أنه إذا اضطرنا الاتحاديون للدفاع عن بلادنا فانتم تمنعونهم من ضرب سواحلنا وإنزال الجيش فيها وتفتحون لنا طريق بورسودان للمناقلات والمخابرات والإمدادات، وفي مقابل ذلك نسهل لكم التجارة ونرجحكم على كافة الدول.

وعرضت مطالب الأمير على ستورس الذي أجاب أنه يرحب بهذه الفكرة وأنه يسعى لتحقيقها منذ عشر سنوات، لكن ماذا نفعل إذا قال الترك عليكم إعادة الأمن فأجابه الأمير «لا تظن أنت ولا حكومتك أن مراجعتنا هذه ناشئة عن حاجتنا إليكم ولكننا أحببنا أحاطتكم علما بالموقف لعلمنا باهتمامكم الناشئ عن كثرة عدد رعاياكم

---

(١) الموسى، الحركة، ص٧٠. طلاس، المرجع السابق، ص١٩٦. عبدالله بن الحسين الآثار الكاملة، المرجع نفسه.

(٢) طلاس، المرجع نفسه، ص١٩٦-٢٠٠، موسى. الحركة العربية، ص٢٠٠.

(٣) نفسه، ص١٩٨.

المسلمين ونحن خشينا إذا لم نخبركم أن تتخذوا من ذلك وسيلة للاعتراض والتدخل[1] «ان الحجاز قادر على دفع الترك بقوته الحالية ولا تظنوا أننا سنضطر للخضوع حتى لو حاصرنا الترك وحاربتمونا معهم. إننا سادة بلادنا وسنخرج منها كل ذي تابعية أجنبية»[2]، فأجابه ستورس «ان تعهدتم بالحفاظ على الأمن في البلاد يكفي، ولا بد له من عرض الأمر على اللورد كتشنر»[3]، وتشير المصادر إلى أن الأمير عبدالله طلب من ستورس في المقابلة الأخيرة التي جرت عن طريق الهاتف أن تزود الحكومة البريطانية الشريف بالأسلحة والذخائر ليتمكن من مقاومة الاتحاديين[4].

غادر الأمير عبدالله القاهرة متوجها إلى اسطنبول لكنه عاد بعد شهرين وأقام في القاهرة وجرى اتصال بينه وبين السكرتير ستورس وبحث معه موضوع مساعدة بريطانيا للشريف في حال قيام ثورة ضد الاتحاديين فاجابه ستورس «إن عرب الحجاز يجب أن لا ينتظروا منا أي تشجيع وأن مصالحها الوحيدة في الجزيرة العربية سلامة الحجاج والهنود وراحتهم»[5].

غير أن بريطانيا أكدت على دعمها للشريف في حال قيام حرب ضد الاتحاديين وذلك واضح من البرقية التي أرسلت من وزير الخارجية البريطاني السير ادوارد جراي إلى ستورس بتاريخ ١/ ٩/ ١٩١٤م يقول فيها: في الوقت الذي تعلن تركيا تأييدها لألمانيا يجب في الحال تشجيع العرب لامتلاك الأماكن المقدسة والسيطرة عليها[6] وهكذا نلاحظ أن اللقاءات التي دارت بين الأمير عبد الله وكتشنر وستورس قبل

---

(١) طلاس، المرجع السابق، ص١٩٦-٢٠٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص١٩٩.

(٤) رونالد ستورس، المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٣. نقلا عن موسى، الحركة، ص٧٢.

(٥) الوثائق البريطانية عن أسباب الحرب، م١٠، القسم الثاني، ص٨٣١.

(6) Arab Legion and Palestine Questio London 1978. P.35 Tiebaw Anglo-

الحرب العالمية الأولى لم يأخذ منها الأمير أية اجابات كافية على مساعدة الانجليز للشريف لكن عندما اندلعت الحرب[1]، أيقنت بريطانيا ضرورة مساعدة العرب والاعتماد عليهم لحفظ مصالحهم وكسبهم الحرب وذلك واضح من خلال رسالتين أرسلهما ستورس إلى الأمير عبدالله في أيلول وتشرين الثاني ١٩١٤م يعرض فيهما تقديم العون والمساعدة والدعم للعرب في ثورتهم ضد الاتحاديين.

ويبدو أن بريطانيا تحمست وتلهفت للاتصال بالشريف حسين لأسباب أساسية تتعلق بالموقف العسكري والذي يكمن في أن الثورة العربية قادرة على إجبار تركيا على أن تحجز قواتها العسكرية في البلاد بعيداً عن جبهات القتال الرئيسية لا سيما الجبهة الروسية، بالإضافة إلى أن الثورة العربية في الجزيرة مهمة لأنها تستطيع أن تعزل القوات العثمانية الرئيسية في بلاد الشام والجيوش العسكرية في جنوب الجزيرة كاليمن وعسير، والسبب الأهم أن ألمانيا حليفة الدولة العثمانية تأمل أن تجد جسراً تعبر فيه من خلال الأخيرة ويوصل بين المستعمرات الألمانية في شرق أفريقيا وبين ألمانيا عن طريق اليمن، والثورة ضد العثمانيين في وسط شبه الجزيرة تفسد على الألمان هذه الخطة، وفضلاً عن ذلك أنه لما كانت الخلافة في الدولة العثمانية ولما كان المسلمون في الهند يدينون بالولاء من الناحية الدينية والروحية للسلطان العثماني، فيدعون له في خطب الجمعه، فقد رأت بريطانيا أن مركز الشرافة الديني، خصوصاً إذا تطور إلى خلافة عربية يستطيع أن يحول ولاء مسلمي الهند من الخلافة العثمانية إلى الخلافة العربية ومن الاستانة إلى مكة[2].

وفي شهر كانون الثاني ١٩١٥م تلقى الأمير عبدالله رسالة من ستورس حملها السيد البزار جاء فيها «أن بريطانيا العظمى أصبحت في حل من الروابط التقليدية التي تربطها بالدولة العثمانية التي تحالفت مع ألمانيا، وإذا كنتم وسمو والدكم ما زلتم على

(١) فريحات، السياسة الفرنسية، ص٧٩-٨٠.

(٢) انظر الدسوقي: المرجع السابق، ص٢٢٤.

الرأي الأول وهو العمل لتحقيق استقلال بلاد العرب فإن الحكومة البريطانية على استعداد لإمداد الحركة العربية بكل ما تحتاجه من مساعدة»[1].

كانت تلك هي المفاوضات الأولى التي تمت بين بريطانيا والشريف حسين عن طريق الأمير عبدالله وهي تمهيد للمراسلات النهائية التي دارت بين الطرفين وعرفت فيما بعد بمراسلات الحسين - مكماهون.

الحسين يتزعم الثورة ضد الاتراك (حزيران ١٩١٦م)

عندما اعتزم الشريف القيام بثورته ضد الاتحاديين قام بمحاولات عديدة وكثيرة لجمع كلمة أمراء الجزيرة واستطلاع الرأي حول ثورته ويستشيرهم ويطلب منهم المساعدة في حال قيام الثورة، وأخذ يعمل بجد واجتهاد وبكل ما أوتي من قوة للعمل على جمع كلمة العرب في الجزيرة العربية وخارجها ضد الاتحاديين، ومطالباً بتأسيس دولة عربية واحدة عن طريق الاتصال بالأمراء والمشايخ، لذا بعث للإدريسي برسالة في ١٥ آذار ١٩١٦م طالباً منه المساعدة، فجاء رد الإدريسي بالموافقة والتأييد بقوله «إني مستعد لمن يريد الاتفاق والوفاق معي سواء كان الإمام يحيى أو غيره وهذا عين ما أدعوا له من أول يومٍ ولا أعلم إني فاجأت رئيساً بحرب أو فتنة ولكن الترك اضطروا إلى المساعدة في قتالنا واستمالوا بعض الرؤساء حتى ضموكم في هذه المحنة جنباً لجنب ومن ذلك فنقول عفا الله عما سلف فأهلا بمن يطلب منا وفاقا واتفاقا» [2].

---

(١) إبراهيم الشريقي، المرجع السابق، ص١٩. وبهذا المعنى أنظر محمد الصبيحي، المعارك الأولى، ط١، لندن، ١٩٩١، ص٥٩.

(٢) موسى، الحركة، ص٨٩، عن أوراق الأمير زيد.

ثم أرسل الشريف رسالة إلى الأمير ابن سعود يطلب التأييد والولاء فجاء الرد أنه مستعد ومؤيد ومبارك للثورة في حال اندلاعها[1]، فضلاً عن ذلك، فإن الأمير كان مدركاً أن الشريف سيقوم بمثل هذا العمل، فعندما اجتمع مع البريطاني برسي كوكس لأول مرة كان الأخير يحثه على محاربة الأتراك وأن بريطانيا ستساعده بالمال والسلاح، ومن دلائل موافقة الأمير ابن سعود على تأييد الثورة قول كوكس: «انه يغريه بإعلان الحرب على الأتراك وأن بريطانيا ستساعده بالمال والسلاح ولكنه اعتذر عن ذلك بأنه ما دام ابن رشيد في نجد فإنه لا يستطيع أن يقوم بدور فعال ولكن الشريف حسين يمكن ان يقوم بهذا العمل ولا سيما أن أبناءه عليا وفيصلا وعبدالله كانوا متصلين بالعالم الخارجي، وسأكفيكم أنا ابن رشيد فإنه سينضم إلى الأتراك لا محالة فوافق السير برسي كوكس على ذلك» [2].

ومن الأدلة الأخرى الصادقة على موافقة ابن سعود على اندلاع الثورة أن الوالي التركي غالب باشا والي الحجاز أدرك ما كان يبطنه الشريف حسين تجاه الحكومة الاتحادية وأنه مصمم على محاربتها وتهيئة الفرصة، لذلك أرسل إلى الامير ابن سعود رسالة يقول فيها «إنك تعلم بأعمال الشريف وأنا الآن أزيدك علماً أنه يفاوض الانجليز وهو على وشك أن يخون الدولة ويفتح لأعدائه (ويقصد هنا الانجليز) الحرمين فإذا قدمت إلى الحجاز أسلمك الحرم وأساعدك بكل ما لدي من قوة» [3]، فجاء جواب ابن سعود صدمة حقيقية ومخيبة لآمال الوالي حيث أكد أنه والشريف سيكونان في خندق

---

(١) إبراهيم عبدو، إنسان الجزيرة العربية، مكتبة الآداب في الجماهيرية، المطبعة النموذجية، ١٩٥٤م، ص١٠٤، جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص٢٠-٥٠. عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٩م، جـ١، العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م، ص٣٤٣. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٠-١١١.

(٢) حافظ وهبه، خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١١٧.

(٣) أمين الريحاني، تاريخ نجد، ص٢١٠-٢١١.

واحد ويدا واحدة، فضلاً عن ذلك فإن الأخير في مرحلة ما قبل الحرب العالمية بعث برسائل عديدة إلى أمراء الجزيرة (ابن سعود وابن رشيد وشيخ الكويت وغيرهم) وقد قال في رسائله «قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب فأرى أن نجتمع للمذاكرة علنا نتفق وننقذ العرب من أهوالها ونتحالف ودولة من الدولة لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا» [١]، أما ابن رشيد فقد أعلن الولاء والطاعة للدولة العثمانية ورفض رفضاً قاطعاً قيام الشريف بثورته وعقد مع الدولة العثمانية معاهدة صداقة وتعاون[٢].

أما الإمام يحيى في اليمن فقد كان على ود وتفاهم مع الدولة العثمانية، التي اعترفت به رئيساً روحياً لإمامة الزيود في اليمن، ومنحته بعض الامتيازات الاقتصادية والتجارية وعقدت معه معاهدة صداقة وتعاون وقد حاول الإنجليز الاتصال به إبان الحرب العالمية الأولى وطلبوا منه التعاون ضد الاتحاديين لكنه رفض رفضاً قاطعاً وأكد على صدق تعاونه مع الأتراك[٣].

كما حصل الشريف على تأييد لثورته من شيخ الكويت، وشيخ المحمرة في تشرين الثاني ١٩١٦م[٤] وعلى تأييد الملا محمد عبد الله حسن في الصومال والشيخ السنوسي في ليبيا والسيد الميرغني[٥] رئيس الطائفة الختمية وقضاة الشرع في السودان[٦] الذي أكد

---

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد، ص١٩٦.

(٢) فريحات، الثورة العربية، ص١٠٩. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٠-١١١.

(٣) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٠ ـ ١١١.

(٤) جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص٢٠-٥٠. عبد الكريم الغرايبة، مقدمة، ص٣٤٣. إبراهيم عبدو، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٥) علي الميرغني، زعيم طائفة الختمية في السودان، تلقى علومه في مصر ثم نشر دعوة الختمية، عمل على الوحدة مع مصر وإنهاء الحكم البريطاني في السودان، انظر طلاس، المرجع السابق، ص١٦٣.

(٦) موسى، الحركة العربية، ص١٥٠-١٥٨. فريحات، الثورة العربية، ص١٠٩.

على تأييده للشريف عند ترشيحه لمنصب الخلافة[١] وبين شروطها وأرسل بمذكرة إلى الحاكم البريطاني العام في السودان السير فرنسيس ريجينالدونجت[٢] بأنه يرشح الشريف لمنصب الخلافة وعلى بريطانيا أن تؤيد ذلك، فجاء رد الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها ادوارد جراي «إذا ما قرر المسلمون أن ينشئوا خلافة عربية فمن الطبيعي أن تحترم حكومة جلالته ذلك القرار ولكن للمسلمين أن يتخـذوا ذلك القرار» [٣].

على كل حال قامت الحرب العالمية الأولى بداية آب ١٩١٤م[٤]، وكـان أمر نشوبها حقيقة لا مفر منه حسب رأي بسمارك[٥] الذي تنبـأ فيهـا قبـل ثلاثين

---

(١) مكي شبيكه، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠، ص١١٦-١١٨. الموسى، الثورة العربية، ص٩٣.

Elie Kedourie: The chatham House version and other Middle Eastern Studies, Weanfeld and Nicolson ،London 19

17 ،P. 180-181.

(٢) السير فرنسيس ريجينالدونجت (١٨٨١ ـ ١٩٥٣): جنرال بريطاني وحامل رتبة سردار في مصر. خلف كتشنر كحاكم عام في السودان عام ١٨٨٨ وكسردار للجيش المصري حتى عام ١٩١٦ وأنهى خدمته العسكرية كمندوب سام في مصر عام ١٩١٦ إلى عام ١٩١٩، ومنح لقب سير عام ١٩٢٠، انظر طلاس: المرجع السابق، ص١٦٣، الهامش.

(٣) موفق بني مرجه، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، ١٩٨٤، ص٣٦٥. مكي شبيكه، المرجع السابق، ص١١٨. سليمان الموسى، الحركة العربية، ص١٥٢-١٥٣.

(٤) خليل علي مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر، الموصل ١٩٨٨، ص٢٣٤- ص٢٣٤-٢٣٥. أ.ج.ب، تايلر، الصراع على السيادة في أوروبا، ١٨٤٨ ـ ١٩١٨م، ترجمة كاظم هاشم نعمه ويؤيل يرسف عزيز، الموصل، ١٩٨٠م، ص٥٨٣-٥٩٥.

(٥) ولد بسمارك في نيسان ١٨١٥ في شونهاوسن بإقليم براند نبرك نواة مملكة بروسيا الحديثة وينتمي إلى أسرة نبيلة وكان والده ضابطاً في الجيش البروسي، درس في جامعة كوتنكن وتخرج منها محاميا عام ١٨٣٦، ثم أصبح عضوا في البرلمان (الدايت) عام ١٨٤٧، وعمل في السلك الدبلوماسي ثم سفيرا لبلاده في فيينا وروسيا وفرنسا. أنظر : مراد، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

عاما[1]، وأسبابها كثيرة وهي ليست موضوع بحثنا وما يهمنا هو موقف الاتحاديين منها، فعند نشوبها كان الصراع بين الشريف والاتحاديين قد وصل الذورة لا سيما أقطاب الاتحاديين الثلاثة وهم أنور باشا وزير الحربية وطلعت باشا وزير الداخلية وأحمد جمال باشا (المعروف بالسفاح).

وأعلنت الحكومة الاتحادية دخول الحرب لجانب دول الوسط[2]، بمقتضى إعلان أنور باشا الذي كان مسيطرا على زمام الحكم لأسباب شخصية واقتصادية وسياسية على النحو التالي[3]:

فالسبب الشخصي هو رغبة أنور باشا في تحقيق ذاته وشهرته ليصبح بطلا حقيقيا إذا ما تحقق النصر، أما الأسباب السياسية فتكمن في أن الدولة العثمانية قد خسرت في حروبها في البلقان خسارة كبيرة لذا رغبت في مسح العار الذي لحق بها فضلاً عن أن سببها الاقتصادي الأول يكمن في زيادة مساحة الدولة ليشمل بلاد تركستان ومناطق كثيرة من العالم وتحقيق دولتهم المستقبلية تركيا الكبرى (طوران)[4] أما الثاني فيكمن في وجود علاقات تجارية واقتصادية وامتيازات بينها وبين الألمان لا سيما امتياز خط الحديد الذي يربط بين الدولة العثمانية وألمانيا[5].

استشارت الحكومة الاتحادية الشريف بوصفه أميرا على الحجاز حول رأيه في دخول الدولة الحرب لجانب الألمان، فأبدى رأيه عن طريق نجليه فيصل وعبدالله

---

(١) نفسه، ص٢٠٥. أنظر: أحمد نجيب واحمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢٥٠.

(٢) موسى، الحركة العربية، ص٩٤. أحمد قدري، مذكراتي، ص٣٦. عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص١٠٨-١١٠.

(٣) فريحات، الثورة العربية الكبرى، ص٨٦-٨٧.

(4) Harry Stuem : Deux and De Guserre a Constantinople Reunies, Paris, 1917.P71

(٥) قدري، مذكراتي، ص٣٦.

العائدين من استنبول في آب ١٩١٤م أنه غير موافق على ذلك لا سيما ان البلاد العربية غير جاهزة لدخول الحرب، وقال في برقية: «تعلمون جلالتكم أن الحرب البلقانية قد انتهت إلى ما انتهت إليه وأن الدولة الآن في حاجة إلى تجهيزات واستكمالات حربية لم تتم إلى الآن، وأنه في الدخول إلى جانب الألمان الخطر الكبير حيث أن أسلحة الدولة كلها وعتادها من ألمانيا، وأن المعامل بالطوبخانة العثمانية لا تكفي إمداد الجيوش بالعتاد اللازم فالاقطار المترامية إلى الجنوب من جسم الدولة كالبصرة واليمن والحجاز محاطة من كل ناحية بقوات مستعدة من الدول المعادية البحرية ستصبح في أحرج المواقف.. وإنني استحلف جلالتكم بالله ان لا تدخلوا الحرب» [1].

وقد سأل الوالي وهيب الشريف عن دخول الحرب فأجابه الشريف بقوله «ولكني أقول لك كجندي شريف إنني لست بخائن حتى أشير على الدولة بأن تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل فأجابه وهيب: «هي ورقة زرقاء نريد أن نقذف بها على ميز الميسر (مائدة القمار)» فغضب الشريف غضباً شديداً وقال «أبالأمة تقامرون؟» [2].

ومع هذا فقد طلبت الدولة العثمانية من الشريف في إصرار توفير الأمن والاستقرار في منطقة عسير واليمن إذا ما اندلعت الحرب وتأييد فكرة الجهاد المقدس[3] التي كانت قد مرت بعدة مراحل:

---

(١) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، مكتبة برهومة، عمان، ١٩٨٩، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) نفسه، ص١١٠.

(٣) جمال باشا السفاح، مذكرات جمال باشا السفاح، ترجمة علي أحمد شكري، دار البصري، بغداد، ١٩٦٣، ص٣٧٧. سليمان الموسى، وثائق واسانيد، ص٥٢. قلعجي، قصة الثورة، ص١٧٨. أنظر أيضا: شبيكه، المرجع السابق، ص٧٣.

- **المرحلة الأولى:** والتي أصدر فيها شيخ الإسلام في الدولة العثمانية فتوى أعلن فيها أن الجهاد فرض عين على كافة المسلمين في جميع أنحاء العالم، وكان ذلك في شهر تشرين الثاني ١٩١٤م.

- **المرحلة الثانية:** أصدر فيها السلطان العثماني بلاغا رسمياً للجيش والأسطول يحثهم على الحرب من أجل تحرير البلاد العربية والإسلامية ومن أجل الدفاع عن الدولة المهددة.

- **المرحلة الثالثة:** وكان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من كانون الأول ١٩١٤م حيث صدر بيان للعالم الإسلامي تم توقيعه من شيخ الإسلام وثمانية وعشرين عالماً في مناصب دينية كبرى وموقعة من السلطان العثماني، يحث فيه جميع المسلمين في العالم على أن «يطيعوا كتاب الله وأوامره كما فسرتها الفتوى الشريفة، وان يشتركوا في الدفاع عن الإسلام والأماكن المقدسة» [(١)]، وقد نسخت هذه الفتوى بجميع لغات العالم ووزعت إلى جميع أنحاء العالم.

وعلى هذا أرسلت الحكومة إلى الشريف تطالبه بقبول فكرة الجهاد إلا أنه طالب بالكثير من المطالب حتى يقبل بهذه الفتوى، وتمثلت مطالبه[(٢)]بإعلان العفو عن المتهمين السياسيين وإنالة سوريا والعراق ما يطلبانه من نظام لا مركزي وجعل إمارة مكة وراثية له ولأولاده من بعده.

لكن الاتحاديين لا سيما وزير الحربية أنور باشا، رفضوا هذه المطالب وبعثوا له برسالة تتضمن تهديداً ووعيدا، فما كان من الشريف بدوره إلا أن أرسل برقية للصدر الأعظم، والي وكيل القائد العام أنور باشا في ١٦اذار ١٩١٦م جاء فيها «فإذا قبلت هذه

---

(١) طلاس، المرجع السابق، ص١٥٧-١٦٠.

(٢) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٥٢.

المطالب فاتعهد بحشد القبائل العربية للجهاد بقيادة أبنائي في ميداني العراق وفلسطين، كما أنه على الدولة التأثير على ابن رشيد لينضم إلى الجهاد فإذا لم تقبل هذه المطالب فارجوكم أن لا تنتظروا مني الاشتراك في حرب كنت قد نصحت بأن لا تثار ولا تشق وسأكتفي بالدعاء للدولة بالنصر والظفر» [١].

ورد الصدر الأعظم على الشريف ببرقية جاء فيها «وصلت برقيتكم الهاشمية القائلة أن إحراز النصر يكون باشتراك أبناء الأمة قلبا وقالباً ولما كان طلب إعلان العفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سوريا واستبقاء امارة مكة في شخصكم السامي وفي أولادكم خارجاً عن اختصاص سيادتكم فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء واننا نبلغكم أنه لا بد أن ينال الموقوفون عقابهم كما أن حقوق سيادة ملجأ الخلافة ستبقى في الحجاز على ما كانت عليه قبلاً وكما هي في جميع ممالك الشاهانية ونلح عليكم بأن تستدعوا ولدكم علي الموجود في المدينة إلى مكة فوراً، وترسلوا المجاهدين الذي وعدتم بإرسالهم إلى دمشق ليكونوا بقيادة ولدكم فيصل بيك وبديهي أنه سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب، وإن لم تنفذوا هذه فإن النتيجة بحقكم لن تكون فيها مسرة» [٢].

غضب الشريف غضباً شديداً لأن البرقية تحمل تهديداً واضحاً له ولأبنائه، مرددا بيت الشعر الذي يقول فيه:

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٥١-٥٢. سهيلة الريماوي، الجمعية العربية الفتاة السرية، دراسة وثائقية، ١٩٠٩-١٩١٨م، دار مجدلاوي للنشر والإعلان، عمان ١٩٨٨، ص٢٧٧. موسى، الحركة العربية، ص١٩٤. محمد صبيح، فيصل الأول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ص٣٨. مدير شعبة فيلق قوات المرتبة الأولى في الحجاز، الثورة العربية على الدولة العثمانية، تعريب محيي الدين ميداني، بيروت، ١٩٣٣، ص٦، وسيشار إليه فيما بعد بميداني. عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص١١١.

(٢) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص١١٢-١١٥.

سـوف تـــرى إذا انجلـــى

الغبـــار أفـــرس تحتك أم حمار

وأرسل برسالة إلى الصدر الأعظم سعيد حليم ووكيل القائد العام جاء فيها «ليس لي ما أقوله سوى النصيحة الأخيرة في برقيتي وبها ضمان انحياز العرب إلى صفوفكم بقلوبهم، أما ابنـي فيصل فلم أبعثه إليكم وأنا اعتقد أني أراه مرة أخرى فافعلوا ما شئتم» [1].

وبعد عدة أيام وصل رد الصدر الأعظم على برقية الشريف، بقوله: «بعد التأمل رأينا شكر سيادتكم على أجوبتكم فإذا بعثتم بالمجاهدين إلى الشام فقد أشعرنا جمال باشا ليذاكر نجلكم السامي الشريف فيصل بيك فيما يتعلق بالمجرمين السياسين» ،لكن الشريف أرسل لهم بقوله: «إني ممتن على تلطفكم بالجواب، أما المجاهدون فأصروا على عدم السفر إلا إذا حضر فيصل ليأخذهم، فإذا كانت الرغبة حقيقية فابعثوا به ليستصحبهم» [2].

جاء بعد ذلك رد الصدر الأعظم بقوله: «سيتوجه الشريف فيصل بيك إلى المدينة ليستصحب المجاهدين ويعود بهم إلى الشام، وإنا لنرجو أن تسترجعوا نجلكم السامي الشريف علي بيك من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة لعدم امتزاجه مع المحافظ» فأجابه الشريف بقوله «عند وصول الشريف فيصل بيك سيترك الشريف علي بيك المدينة المنورة» [3].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص١١٢.

(٣) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص١١٢.

لم يكن جمال باشا بعيداً عن مسرح الأحداث فقد أرسل وزير الحربية أنور باشا برقية الشريف إلى جمال باشا وفهم ما تحتويه هذه البرقية ولخصها فيما يلي «إذا كانت حقاً ترغب في التزام جانب الهدوء والسكينة فينبغي الاعتراف باستقلال سائر الحجاز من تبوك إلى مكة، واجعلني أميرا وراثياً فيها كما ينبغي أيضاً العدول عن محاكمة العرب المتهمين وإعلان العفو العام في سوريا والعراق» [1].

ثم دارت محادثات طويلة بين الأمير فيصل وجمال باشا في سوريا حضرها علي فؤاد بيك رئيس أركان الجيش الرابع، وكان أبرز ما جاء فيها حديث جمال باشا الذي قال فيه: «لما سمعت حين رجوعي من المدينة بأن أخاك عليا يتدخل في شؤون الحكومة ويدعي لنفسه حقوقاً ليست له أبلغت المحافظ أن يطلب إليه الكف عن هذه الأعمال لاعتقادي أنه لم يقدم عليها إلا لحداثة سنة وقلة تجاربه، وأبلغت والدك أن يكفه وقلت لك في محادثاتنا إني ابذل ما في وسعي للمحافظة على منصب والدك ثم أبلغته ذلك شخصياً كما أخبرك فكتب إليَّ معرباً عن عظيم شكره وامتنانه» [2].

كما أرسل جمال للشريف رسالة قال فيها: «لقد نما إلي خبر برقيتكم إلى أنور باشا فانتم تطلبون أن تكون الإمارة وراثية في أسرتكم وأن يُمنح أشخاص عديدون العفو الشاهاني بعد أن قامت البراهين على خيانتهم للوطن والأمة وليس بالمستطاع إجابة الطلب الثاني لئلا يؤدي ذلك إلى ضرر شديد في مسألة لها ارتباط وثيق بالمصلحة العامة كما أن الحكومة التي تعفو عن الخونة جديرة بأن يتهمها الجمهور بالضعف.. أما فيما

(١) جمال باشا، المرجع السابق، ص٣٦-٣٧.

(٢) نفسه، سليمان الفيضي، التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية، المطبعة المحمودية، البصرة، ١٩١٣م، ص٢٣١.

يختص بمساءلة جعل الإمارة وراثية في أسرتك فإنه يخيل وأظنك تسامحني في هذا الرأي أن الفرصة ليست مناسبة للمطالبة بذلك الطلب» [١].

أرسل الشريف ببرقية أخرى إلى جمال مكررا مطالبه وشروطه التي أرسلها من قبل[٢] وطالب جمال باشا الأمير فيصل برد أبيه الشريف وهدد باستخدام القوة ضدهما وأكد على ضرورة إرسال المتطوعين وضرورة إرسال الأمير علي إلى دمشق، وقد اتضح لجمال أن الشريف على وشك أن يثور على الحكومة، وأن جمال كان يخطط لإحضار الأمير علي إلى دمشق حتى يكون أسيراً هو وأخوه فيصل ويكون ورقة رابحة في حال قيام الشريف بالثورة.

غضب الأمير فيصل وقال له «عفوا يا صاحب السعادة كيف يخطر إليك أن تعزو إلينا أمثال هذه التهم وكيف يمكن أن نكون خونة ونحن من الرعايا المخلصين للخليفة كن موقنا باني سأسوي الخلاف القائم بين أخي والمحافظ بصري باشا وسأكلفه بالحضور» [٣]، لكن الأمير فيصل أرسل برقية مستعجلة إلى أخيه الأمير علي كي يحضر بدلاً منه على رأس جيش المتطوعين من القبائل البدوية، تظاهر الأمير علي بالموافقة على إرسال المتطوعين وأرسل برقية مستعجلة إلى أخيه فيصل في دمشق كي يرافق القوة العسكرية المتوجهة إلى قناة السويس، وسمح جمال باشا للأمير فيصل أن يغادر دمشق ليعود إلى المدينة ويعود على رأس المتطوعين العرب للانضمام إلى الحملة الزاحفة على قناة السويس[٤].

---

(١) جمال باشا، المرجع السابق، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) موسى، الحركة، ص١٩٠-٢١٠.

(٣) جمال باشا، المرجع نفسه، ص٢٤٤.

(٤) محمد جميل بيهم، سوريا ولبنان ١٩١٨ ـ ١٩٢٢م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م، ص٣٢ ـ ٣٤. جمال باشا، المرجع نفسه، ص٢٤٥.

أما الأسباب التي دعت الشريف لرفض دعوة الجهاد المقدس فإن ذلك يعود لاعتبارها دعوة «باطلة لا تستند إلى أسس دينية قويمة» [١] فضلاً عن أسباب أخرى نجملها فيما يلي[٢]:

١. أن حكومة الاتحاديين كان هدفها من هذه الدعوة ليست فائدة للإسلام والمسلمين وإنما هدفها التوسع الاستعماري الألماني على حساب التوسع الاستعماري البريطاني الفرنسي (تنافس استعماري).

٢. خوفه على البلاد العربية فعندما يعلن ويؤيد الجهاد فإنه يعلم أن الأسطول البريطاني مسيطر بسرعة قوية على سواحل البحر الأحمر، ففي هذه الحالة ستنتقل الدول الحليفة كبريطانيا وتحاصر الحجاز وسواحله وتقذفه بالقنابل وتؤدي إلى وقوع أزمة حقيقية على سكان الحجاز لا سيما في المواد الغذائية[٣].

٣. أكد الشريف أن هذه الحرب هي حرب ألمانية تهم الألمان وحدهم، وقد استخدم الشريف الفكرة «المزدوجة في تحديد موقفه النهائي من خلال دخوله الدولة الحرب» [٤]، فقد بين رفضه دخول الحرب وفي الجانب الآخر بدأ يستعد ويرتب أموره كي يخفف من خطورة الحرب على الحجاز[٥].

---

(١) فريحات، الثورة، ص٨٩.

(٢) نفسه.

(٣) طلاس، المرجع السابق، ص١٦١.

(٤) الفواز، المرجع السابق، ص١١١.

(٥) طه شريف، الأحداث العربية في تاريخنا الحديث، سلسلة اخترنا لك، العدد ٥١، القاهرة، د.ت، ص٥٢.

اشترط الشريف على الدولة الاتحادية إذا أرادت منه دخول الحرب أن توفر للبلاد العربية ما يلي[1]: تزويد الفرقة العسكرية في منطقة عسير والحجاز بما يكفيها من العتاد والسلاح طوال فترة الحرب وتزويد جميع الولايات العثمانية في شبه الجزيرة العربية بما يكفيها من مؤن ومواد غذائية طوال فترة الحرب وتزويد الجيش الخامس في اليمن بما يكفيه لثلاث سنوات من السلاح والعتاد واحتياطي ما يطلب من المجاهد.

وقال الشريف ناصحاً: إذا لم تُلبَّ هذه المطالب فإن البلاد ستكون في وضع صعب وحرج. فشكرته الدولة ووعدته أنها ستفكر في الأمر لاحقاً.

وهكذا يمكن تلخيص الأسباب التي دعت الشريف لرفض دخول تركيا الحرب بما يلي[2]:

١. إن دخول الحكومة الاتحادية الحرب سيؤثر على البلاد العربية لأنها جزء لا يتجزأ من جسم الدولة العثمانية ومصيرها مرتبط بها.

٢. إنها ستؤثر على البلاد الحجازية وستنصب ويلات الحرب على سواحل شبه الجزيرة العربية فستحاصر وتضرب بالقنابل فتقطع الإمدادات وتتدهور الأوضاع الاقتصادية ويمنع وصول الحجاج إليها[3]، وقد حدث ان اضطر سكان الحجاز من ويلات الحرب «لبيع أبواب بيوتهم»[4] كي يجدوا طعاماً يأكلونه ويسدوا الرمق.

---

(١) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص١٠٤- ١٠٥.

(٢) الفواز، المرجع السابق، ص١١٠-١١٥.

(٣) فائز الغصين، مذكراتي، ص٢٩٣.

(٤) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٠٥.

٣. نوايا الاتحاديين وعدم ثقتهم بالشريف وأنهم سيحاولون القضاء عليه وذلك واضح منذ تعيين وهيب باشا عام ١٩١٢م والياً على الحجاز[١].

وعندما تأكد الاتحاديون بان الشريف غير موافق على دخول الحرب، لجأوا إلى تنفيذ خطتين الأولى طرح الموضوع على مجلس المبعوثان وأخذ الموافقة لأن المجلس يضم في عضويته كثيراً من المؤيدين لهم، وقد تم ذلك[٢].

أما الإجراء الآخر فهو تعيين جمال باشا أحد أقطاب الاتحاديين قائداً عاماً للفيلق الرابع في بلاد الشام، وإعطاؤه صلاحيات إدارية وعسكرية مطلقة في حكم سوريا وأمره بشن هجوم معاكس على قناة السويس بعد أن أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر وأعلنت إنهاء السيادة التركية عليها[٣].

طلبت الحكومة الاتحادية من الشريف المساهمة في الحملة الزاحفة على قناة السويس فجاء رد الشريف بالموافقة على المساهمة والاشتراك في الحملة، لذا أرسل ابنه الأمير علي على رأس جيش من المتطوعين ليرافقوا القوات النظامية بقيادة وهيب باشا والي الحجاز[٤] كما أرسلت الحكومة الاتحادية مبلغاً من المال وأسلحة وعتادا إلى الشريف لإنفاقه على الجيش المتطوع من القبائل العربية.

---

(١) سليمان الموسى، لورنس والعرب، وجهة نظر عربية، عمان ١٩٦٢م، ص٣٠.

(٢) جمال باشا، المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٣) طلاس، المرجع السابق، ص١٧٣.

(٤) شكري محمود نديم، حرب فلسطين، شركة النبراس للنشر والتوزيع، بغداد، ط٤، ١٩٧٤م، ص٥٤. جمال باشا، المرجع السابق، ص١٦٧-١٦٩. موسى، الحركة، ص١٠٤. فائز الغصين، مذكراتي، ص٢٠٥. علي فؤاد، المرجع السابق، ص٧٨. حول حادثة المحفظة التي عثر عليها في حقيبة الوالي وهيب أثناء تحرك الحملة من مكة المكرمة الى المدينة وأدت الى تدهور العلاقات بين الشريف والدولة العثمانية وقد احتوت على تعليمات تستهدف الفتك بالشريف وأنجاله والقضاء على ما كان يتمتع به اقليم الحجاز من استقلال ذاتي، لكن نشوب الحرب العالمية الاولى حال دون تنفيذ ذلك. أنظر: محمد صبيح، بطل لا ننساه، عزيز علي المصري وعصره، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧١، ص٧. وأيضا:=

تحركت الحملة عام ١٩١٥م بقيادة أحمد جمال باشا السفاح الذي انهزم أمام الجيوش البريطانية[1] لكنه أرجع انهزامه إلى خيانة الشريف حسين[2] ومن ثم قام بارتكاب الكثير من الأعمال الوحشية والقاسية بحق الأمة العربية لا سيما في سوريا ولبنان بعد فشل حملته على مصر ومنها[3]: إصدار أحكام إعدام متتالية لزعماء العرب في سوريا ولبنان متهمهم بالخيانة الكبرى ومصادرة المحاصيل الزراعية من الأهالي بالقوة[4]، وفرض الإعانات العسكرية (التكاليف الحربية الخاصة بالجيش)[5]، ونقل الكتائب العربية من بلاد الشام إلى مناطق القتال أثناء الحرب ونفي العائلات العربية إلى مناطق الأناضول مع مصادرة أملاكهم وأراضيهم فضلا عن انتشار المجاعة والأمراض بين أهالي سوريا ولبنان بسبب الحرب.

بعد ذلك بدأت النية لدى الشريف بالتعاون مع دولة قوية كي تسانده وتساعده في حال قيام ثورته، وبعد المشاورات والمداولات اتفق العرب على أن تكون بريطانيا الداعم الأساسي لثورته مع الحفاظ على مصالح الأمة العربية والتأكيد على استقلال

= عبد المنعم مصطفى، لورنس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص١١٨.

(١) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق ١٩٢٠-١٩٣٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٨٥م، ص١٧. موسى، وثائق وأسانيد، ص٢١٦. عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص١٠٦.

(٢) جمال باشا، المرجع السابق، ص١٨٤-١٨٥.

(٣) إبراهيم صالح شكر، قلم وزير، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث، المسألة العربية في الحجاز وسوريا والعراق، عرض خالد محسن إسماعيل، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٠م، ص٧٦. جعفر العسكري، مذكرات جعفر العسكري، تحقيق وتقديم نجدت فتحي صفوت، دار السلام، لندن ١٩٨٨م، ص٥٤. لمزيد من التفاصيل انظر أيضا: فائز، المظالم، ص٥ وما بعدها.

(٤) فائز الغصين، مذكراتي، ص٤٩-٥٢.

(٥) نفسه، ص٤٤-٤٧.

البلاد العربية بعد انتهاء الحرب ومن هنا بدأت الاتصالات والمراسلات والمفاوضات معها، والمعروفة بمراسلات الحسين - مكماهون.

وقد بدأت في تموز ١٩١٥م[1] بعد أن اشتد الخلاف بين الشريف والاتحاديين وقد تأكد للشريف أن الحجاز بعيد كل البعد عن أخطار الحملات العسكرية التي سيشنها الحلفاء على أعدائهم، وأكد المندوب السامي البريطاني في القاهرة ورسائل السيد علي المرغني على ذلك والسؤال الذي نطرحه: لماذا اختار العرب والشريف بريطانيا لتكون حليفا قوياً لمساندتهم ضد الاتحاديين؟

- الأمر ببساطة[2] أن زعماء الحركة العربية في سوريا قد بايعوا الشريف بالزعامة والسيادة والقيادة وكلفوه أن يتحدث ويفاوض باسمهم، فاختار الشريف بريطانيا ليتفاوض معها علماً أنه في ذلك الوقت كانت هي الدولة القوية الوحيدة المعروفة في تلك الفترة.
- تأكد للعرب والشريف أنه لا وجود لبصيص أمل في نية الاتحاديين تغيير سياستهم السيئة تجاه العرب التي تمثلت بالاعتقالات والإعدامات التي ارتكبها جمال باشا السفاح في سوريا ولبنان.

وهكذا يبدو أن بريطانيا استغلت أزمة الشريف مع الاتراك الجدد (وهيب باشا) ووجدت في الشريف خير سند لتحقيق أحلامها وطموحاتها وتطلعاتها في المنطقة لهذه الأسباب بدأ الشريف بالتحرك، فأرسل مذكرته الأولى من الطائف مع الشيخ محمد بن عريفان - شيخ قبيلة حرب - بحضور أبنائه الأربعة، وأمره أن يسلمها المستر رونالد

---

(١) عبدالله بن الحسين، مذكراتي، ص١٠٧-١٠٩. طلاس، المرجع السابق، ص٢٠٥-٢٤٩. محمد بديع الشريف وزكي المحاسنه واحمد عزت عبد الكريم، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ط٢، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٤، ص١٣١-١٤٣. انظر الدسوقي: المرجع السابق، ص٢٢٧.

(٢) موسى، الحركة، ص٢٠١-٢٠٤.

ستورس - السكرتير الشرقي في القاهرة - وتضمنت المذكرة الشروط المقترحة للحركة العربية، وان العرب اتفقوا على أن تكون بريطانيا مساندة لهم وقد بين ذلك ميثاق العرب في دمشق «ميثاق دمشق»[1]، وفي المذكرة توضيح لعقد الاتفاق الذي سيوقع بين العرب وبريطانيا وهو على النحو التالي[2]:

١. تعترف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية ضمن المتفق عليه بينهما وتوافق بريطانيا على إعلان الخلافة العربية.

٢. لبريطانيا الأفضلية لدى العرب في جميع المشاريع الاقتصادية والتجارية داخل حدود البلاد العربية.

٣. تتعهد بريطانيا والعرب بالدفاع المشترك بينهما في حال تعرضهما لقوة أجنبية تهاجمها.

٤. حق التشاور بين الطرفين في حال حدوث نزاع مسلح من قبل طرف أو جبهة ثالثة.

٥. مدة المعاهدة خمسة وعشرون عاماً.

٦. تعترف بريطانيا بإلغاء الامتيازات الأجنبية في البلاد العربية، وتدعو لعقد مؤتمر دولي للتصديق على إلغاء الامتيازات.

في حزيران ١٩١٥م عاد الأمير فيصل من الشام بعدما توجه إليها بأمر من والده للتفاوض مع جمال باشا للعدول عن سلسلة الإعدامات التي تنفذ بحق أحرار وقادة

(١) جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص٢٤٣. صبري حسن الخوري، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، جـ١، ٢، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٣٤-١٣٥. طلاس، المرجع السابق، ص٢٠٩-٢١١.

(٢) طلاس، المرجع نفسه، ص٢١٠-٢١١.

زعماء الحركة العربية، موضحا لوالده حقيقة موقف الاتحاديين وإصرارهم على زيادة التوتر من خلال تنفيذ حكم الإعدام.

وفي الطائف عقد المؤتمر[١] الذي تقرر فيه التفاوض مع بريطانيا، ومن هنا بدأت المراسلات التاريخية بين الشريف والسير هنري مكماهون من ١٤ تموز ١٩١٥م إلى ١٩١٦م بواقع عشر رسائل بينهما[٢].

وفي ٣٠ آب ١٩١٥م[٣] أرسل هنري رسالة إلى الشريف استهلها بمجموعة من الألقاب والأطناب وعبارات التمجيد والتبجيل وشكره للشريف باختياره بريطانيا ووضح له مسألة الحدود والتخوم وبين له أن الحديث عنها سابق لأوانه بسبب الحرب وبين له أن بريطانيا سترسل المواد الغذائية للشريف لتوزيعها على القبائل العربية وجيشه وسترسل الصدقات المقررة من مصر بعد تعيين الشريف المكان الذي ستسلم فيه، وختم رسالته بعبارات مجاملة.

وفي ٩ أيلول ١٩١٥م أرسل الشريف رسالة إلى مكماهون بين فيها بعض ما لمسه من جواب هنري في رسالته الأولى وما اعتراها من «الغموض وآثار الفتور والتردد في مادتنا الجوهرية»[٤] لا سيما ما يخص مسألة الحدود والتخوم كما أصر الشريف على مناقشتها باعتبارها مطلباً أساسياً، وبين الشريف طريقة إرسال الحبوب العائدة للأوقاف الإسلامية.

تخوف مكماهون من رسالة الشريف وأرسل لحكومته يستوضحها ويطلب التعليمات والأوامر، فجاء ردها وعادت المراسلات من جديد، ففي ٢٤ تشرين الأول

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٥٤-٥٧.

(٢) انظر طلاس، المرجع السابق، ص٢٠٥-٢٤٩. انظر الدسوقي: المرجع السابق، ص٢٢٧-٢٢٩.

(٣) الدسوقي، المرجع نفسه، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٤) موسى، الحركة، ص٢٠٧.

١٩١٥م أرسل مكماهون للشريف رسالة بين فيها أن مسألة الحدود ليست بالأمر الذي سيبحث في هذا الصدد لكنه أوضح له بعض النقاط الأساسية في بعض المناطق العربية، حيث بين له أن ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء عديدة من بلاد الشام كالساحل اللبناني والمناطق القريبة لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب غير عربية خالصة، وأوضح أنه لا بد من حماية الأماكن العربية الخاصة بحليفتها فرنسا، وأن بريطانيا موافقة على باقي المعاهدات المتعارف عليها حدودياً، كما أكد أن ولايتي بغداد والبصرة ستفصلان عن العراق لصالح بريطانيا.

وفي ٥ تشرين الثاني ١٩١٥م أرسل الشريف رسالة بين فيها أنه يرفض وبشدة تجزئة البلاد العربية وقال له إن ولايتي حلب وبيروت عربية خالصة وإنه لا فرق بين عربي ومسيحي وقال إن العرب عرب قبل أن يكونوا مسلمين ومسيحيين، كما رفض الشريف فصل أي جزء من العراق ولا يتنازل عن شبر واحد من أجزاء البلاد العربية.

وفي ١٤ كانون الأول ١٩١٥م[١] أرسل مكماهون رسالة بين فيها أنه مسرور من قبول الشريف إخراج ولايتي مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية وبدأ يراوغ في مسألة ولايتي حلب وبيروت وطلب تأجيلهما وعدم البت فيهما حتى إشعار آخر وكذلك ولايتي بغداد والبصرة.

وفي أول كانون الثاني ١٩١٦م[٢] أرسل الشريف رسالة وضح فيها أهمية بحث الحدود وعدم تأجيلها وبحث مسألة تأسيس المملكة العربية الموحدة والمستقلة بعد الحرب وأرسل مع رسالته ملحقا بذلك.

---

(١) الدسوقي، المرجع السابق، ص٢٢٨ – ٢٣٠.

(٢) طلاس، المرجع السابق، ص٢٤١ – ٢٤٤.

وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩١٦م أرسل مكماهون رسالة وضح فيها أن الشريف مهتم بالقضية العربية وبين له إن ولاية بغداد لا بد أن تؤجل إلى ما بعد الحرب ولن تبحث، وأصر على المحافظة على الأجزاء الشمالية من البلاد العربية لحليفتها فرنسا، وطلب منه أن يراسل أحمد الشريف السنوسي المتعاون مع العثمانيين ليعيده إلى صف العرب والبريطانيين.

وفي ١٨ شباط ١٩١٦م أرسل الشريف رسالة لمكماهون وضح فيها حالة البلاد العربية في حال قيام الحرب وأنه يعمل هو وأبناؤه على تجنيد المتطوعين وأنه قرر أن يرسل ابنه الأمير علي إلى المدينة على رأس قوة لتكون سنداً قوياً لأخيه فيصل في الشام، وطلب من بريطانيا أن تمده بالمال والسلاح والعتاد.

وفي ١٠ اذار ١٩١٦م[1] أرسل مكماهون رسالة للشريف بين فيها أن بريطانيا موافقة على جميع مطالبه في الرسالة السابقة وقد حثه على مراسلة ابن رشيد المتعاون مع العثمانيين، والذي باع للعثمانيين أعدادا كبيرة من الجمال وجند المتطوعين لمقاتلة أعداء العثمانيين، وبين له أن السنوسي قد عاود الاتصال لإعلان الولاء للبريطانيين.

هذا ما جاء في المراسلات التي تمت بين العرب ممثلة بالشريف والبريطانيين، وفيها تعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلال البلاد العربية المتعارف عليها والممتدة من الخليج العربي إلى المحيط الهندي والبحرين الأحمر والمتوسط حتى مرسين إلى لواء الاسكندرونة مع استثناء عدن والمناطق غير العربية.

كما وافقت بريطانيا على إنشاء دولة عربية مستقلة بعد الحرب على أن تلتزم الأمة العربية بمراعاة المعاهدات والمواثيق التي عقدتها بريطانيا مع امراء الخليج العربي، وأن تمد بريطانيا الدولة المستقلة بالأسلحة والعتاد مقابل أن تفتح البلاد العربية لقوات

---

(١) الدسوقي، المرجع السابق، ص٢٢٨ ـ ٢٣٠.

الحلفاء وتفضيل بريطانيا في الشؤون التجارة والاقتصادية والموافقة على احتلال بريطانيا ولاية البصرة لفترة مؤقتة مقابل تعويض مالي للشريف واحتلال فرنسا بيروت وسواحلها لفترة معينة هي فترة الحرب(١).

وبعد انتهاء المراسلات على ذلك النحو بدأ الأمير فيصل يتصل بأعضاء الجمعيات العربية في سوريا(٢) لمعرفة رأيهم في الثورة إذا ما اندلعت ضد الاتحاديين، ووافق الشريف على إرسال نجله الأمير فيصل بناءً على طلب الحكومة العثمانية، وكانت رحلة الأمير لاستنبول لعدة أغراض كان غرضها الظاهر زيارة رسمية وعرض شكوى الشريف على القيادة العثمانية، أما الهدف الخفي والحقيقي فهو استشارة قيادات الحركة العربية لمعرفة مدى قوة الحركة ومعرفة حقيقة موقفهم من بريطانيا(٣).

وفي دمشق اجتمع الأمير فيصل مع أعضاء جمعيتي العهد والفتاة، حيث اطلع على خططهما وتطلعاتهما القومية، الداعية إلى الحرية والاستقلال لكافة البلاد العربية، ولذا أعجب من أهدافهما لا سيما جمعية العربية الفتاة التي دخل عضوا فيها(٤)، كما اطلع الأمير أعضاء الجمعيتين على اتصالات الشريف مع البريطانيين والمساعي التي تدبر من أجل الثورة، وتناقش معهم حول المساعدة التي تحتاجها سوريا لتساهم في الحركة العربية، وأجابه أحد أعضاء جمعية العهد ياسين الهاشمي «أن سوريا لا تحتاج إلا إلى عزم الحسين على ترؤس الحركة العربية»(٥).

---

(١) سليمان موسى، الحسين بن علي والثورة العربية، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ط٢، طباعة جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٩٢م، ص٩٩-١٠٠.

(٢) طلاس، المرجع السابق، ص١٧٥-١٧٩.

(٣) قاسمية خيرية، المرجع السابق، ص٢٧-٢٨.

(٤) طلاس، المرجع نفسه، ص١٧٨.

(٥) قدري، مذكراتي، ص٤٦.

كما أكد أعضاء الجمعيتين بلسان واحد أنهم قرروا «أن غاية العرب هي الاستقلال حفاظاً على كيان البلاد العربية لاعداء الترك، أما إذا كانت البلاد عرضة لخطر الاستعمار الأوروبي فالجمعية تعمل مع أحرار العرب للدفاع مع البلاد العربية جنباً إلى جنب مع الترك» [1]، واتفق أعضاء الجمعيتين على وضع ميثاق قومي عربي عرف باسم ميثاق دمشق «بروتوكول دمشق» [2] الذي تضمن تحقيق استقلال البلاد العربية قي قارة آسيا، وأن تمنح الدولة العربية المستقلة المقبلة الأفضلية لبريطانيا في المشاريع الاقتصادية.

وقد سلم الأعضاء ميثاق دمشق لفيصل ليسلمه بدوره لزعيم العرب، وأبلغوه أن يكون الشريف ناطقاً رسميا باسم العرب «وقد قطعوا العهد على أنفسهم انه إذا عقد الحسين اتفاقية مع بريطانيا على أساس ميثاق دمشق فإن الفرق العربية في سوريا سوف تقوم بالثورة» [3].

(١) قدري، مذكراتي، ص٣٨.

(٢) جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص٢٤٣. صبري حسن الخوري، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، جـ١ و٢، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٣٤-١٣٥. طلاس، المرجع السابق، ص٢٠٩-٢١١.

(٣) طلاس، المرجع نفسه، ص٢٣٠-٢٥٠.

الفصل السادس

إعلان المملكة الهاشمية في الحجاز

الفصل السادس

إعلان المملكة الهاشمية في الحجاز

انتهج الاتحاديون عند بروزهم على الساحة السياسية عام ١٩٠٩م كما سبقت الإشارة، سياسة التقليل من سلطات الشريف وفرض السلطة المركزية على إقليم الحجاز وجعله اقليماً حاله حال الأقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية، بتطبيق نظام الولايات العثمانية عليه فضلاً عن تطبيق التجنيد الإلزامي على سكانه، ومد سكك الحديد إلى مكة، وقد كشفت الدراسات هذه السياسة، كما كشفت أيضاً استياء الشريف حسين وأبنائه وبقية علماء ووجهاء الحجاز منها، لأنهم لا يرغبون رؤية الولاة العثمانيين وهم يغتصبون سلطات شريفهم وفرض النظام على إقليمهم، لأنهم يعدون الشريف الحاكم التقليدي، وباستمرار حكمه تتم المحافظة على القيم والتقاليد الروحية الحية لديهم، فضلاً عن ذلك فقد كان الشريف يمثل رمزاً لكيانهم واستقلالهم، وحاميهم من سياسة الاتحاديين الطورانية، وكان حرمانهم من سلطات حكم شريفهم ونفوذه معناه إحكام سيطرة قبضة الاتحاديين على الحجاز، وكانت خطورة الاتحاديين تكمن أيضاً في تركيزهم على إثارة النزاعات الأسرية التقليدية بين أشراف مكة وبالذات بين (آل عون وآل زيد).

وعلى ما يبدو فإن طبيعة العلاقات اتخذت منحى آخر عند إعلان الحرب العالمية الأولى إذ اتسمت بالتودد والمجاملة والاستشارة والنصح والتحذير، فضلاً عن اللهجة المزدوجة من قبل الجانبين، وبالذات من الاتحاديين الذين رأوا في الشريف حسين ورقة رابحة يمكن الاستناد إليها، عند دخولهم الحرب نظرا لمكانته الدينية في نفوس المسلمين، وبذا رغبوا في ضرورة إعلانه الجهاد لتعبئة الشعور الإسلامي بجانبهم، لكن الشريف حسين أدرك بفطنته أن سياسة الاتحاديين هذه ما هي إلا مهادنة وقتية تقتضيها ظروف المرحلة التي تمر بها الدولة، لذا لجأ إلى نصح العثمانيين بعدم دخول الحرب وحذرهم ونبههم من مخاطرها ونصحهم بتأمين المستلزمات الأساسية للحيلولة دون امتداد آثارها على بقية أقاليم الدولة بشكل عام والحجاز بشكل خاص. لكن دخول الدولة العثمانية الحرب حتم على الشريف حسين اتباع سياسة ترمي إلى نيل الأقاليم العربية استقلالها من الدولة، وهكذا بدأ اتصالاته بالإنجليز لتنفيذ ذلك والتي توجها بالثورة العربية الكبرى في ١٠ حزيران ١٩١٦م على السياسة الاتحادية واستمر الشريف في نهجه القومي حتى تحقيق النصر التام لثورته التي ساهمت بشكل مباشر وفعال في هزيمة الاتحاديين في الحرب العالمية الأولى، فقد أعاد بفضل ثورته المجد للأمة العربية، فضلاً عن إماطة اللثام عن حقيقة السياسة العثمانية الاتحادية المتسترة وراء الدين الإسلامي وإعلانهم ظلماً وبهتاناً امتداد الخلافة الإسلامية إليهم لإسقاط أسطورة الخلافة العثمانية بإعلان ثورته الإسلامية العربية، وهكذا انتقل الحكم في الحجاز انتقالاً طبيعياً إلى الحسين، عقب إعلان ثورته على الترك وطردهم من البلاد، فحل محلهم، وصار صاحب الأمر والنهي فيه.

ولما كان هذا وحده لا يكفي، بل لا بد من إنشاء (دولة) بالطرق الشرعية والقانونية المرسومة تدير البلاد وتسوس أمورها والاهتمام بجميع شئون البلاد، والاتصال بالعالم الخارجي، وترتبط معه، فقد اتجهت نية الشريف حسين إلى إنشاء

(الدولة) المطلوبة، واقامتها طبقاً للأصول الشرعية، لكنها لم تعمر طويلاً بسبب المؤامرات الاستعمارية والتي شكلت منعطفاً تاريخياً في حياة العرب.

ولذلك كان لبريطانيا الدور الأكبر في إسقاط المملكة الهاشمية، وعلى ما يبدو فإن المصالح البريطانية تقضي أن تبقى أمور العرب تحت سيطرة الشريف، فمع هذه التحولات أصبح بقاء الحسين قلقاً يحتفظ بوجوده على الحماية البريطانية المشكوك فيها، كحليف بات غير مجد إلا لفترة قصيرة لتسليط مرشحها الجديد ابن سعود الذي سينقض بدوره على التفاحة في اللحظة المناسبة عندما يبدأ ساقها في الذبول.

وعلى هذا سيتناول هذا الفصل الثورة العربية الكبرى (المعروفة اصطلاحا بالنهضة) وتأسيس المملكة الهاشمية في الحجاز.

الثورة العربية الكبرى

يمكن تقسيم مسوغات الثورة العربية إلى دوافع وأسباب[1]، فالدوافع ظهرت منذ القدم وبدأت تفعل فعلها في أذهان الناس من مفكرين ومثقفين وسياسيين إلى أن وجدت فيهم المشاعر والأحاسيس التي عدتها ودفعتها للقيام والمطالبة بالحرية والاستقلال، أما الأسباب فهي العوامل المباشرة المرتبطة بوقوع الحدث والتي تعتبر

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول أسباب ودوافع الثورة أنظر: نقولا زياده، أبعاد الثورة العربية الكبرى، سلسلة التثقيف الشبابي، تصدرها وزارة الشباب الأردنية، ١٩٨٨، ص ٣٤-٥٠. وأيضا: ابراهيم الشريقي، الثورة العربية الكبرى، دوافعها وحصادها، منشورات المؤسسة الدولية، ط١، مؤسسة العرب، لندن، ١٩٤٨، ص٢٠-٢٥. وأيضا: زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت، ١٩٧٧، ص٩١. وأيضا:أسامه يوسف شهاب الدين، الاتجاه الاسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، دراسة الفكر السياسي للثورة العربية: وثائق واسانيد، مركز اللغات الجامعة الأردنية، ١٩٩٥، ص١٥٨-١٦٣. ولمزيد من التفاصيل أنظر أيضا: عضو جمعية سرية، ثورة العرب الكبرى ١٩١٦، ط٢، منشورات وزارة الثقافة، الاردن، ١٩٩١، ص٦٠-٩٦

الشرارة التي تشعل الفتيل بحيث يكون تأثيرها قوياً وفورياً، ومن هنا نجد أن للثورة دوافع وجذوراً قديمة تضافرت مع بعضها البعض، وبدأت تنمو وتشتد حتى شكلت الأسباب الحقيقية للقيام بها.

وتنطلق الدوافع القومية، من إعلان الدستور[١] العثماني في جميع الولايات العثمانية عام ١٩٠٨م لا سيما العربية، فعمت الفرحة والسعادة جميع البلاد، وأخذ الناس يهتفون بالحرية والسعادة والعدالة والمساواة والإخاء، وأكدوا على ولائهم للدولة، وإنهم سيضحون بكل ما يملكون من أجلها معتقدين اعتقاداً جازماً وحاسماً أنه لا فرق بعد اليوم بين عربي وتركي أو أي طائفة أخرى، وقد سارع الناس بالدخول إلى حزب جمعية الاتحاد والترقي من مختلف الطوائف، لكن سرعان ما انكشف الغطاء الحقيقي عن وجه الاتحاديين الذي تمثل في القضاء على العرب والمسلمين، ولم ينفذ الاتحاديون وعودهم للعرب من مساواة وإخاء وعدل وحرية الانتخابات والتعليم، فبدأ الاتحاديون بتنفيذ مخططهم القائم على سياسة التتريك والنزعة الطورانية وغيرها.

وفي هذا الخصوص نذكر:

- الإجراءات التي اتبعتها الدولة منذ عام ١٨٥٠م والتي أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في الولايات العربية من ضرائب ورسوم بالإضافة إلى تكاليف مد خط سكة حديد الحجاز، وما رافقه من تقليص المعونات المالية التي تتلقاها القبائل البدوية والعرب في موسم الحجيج[٢].

---

(١) حكمت فريحات، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، مكتبة دار الثقافة، ط١ عمان، ١٩٩٠، ص٧٧-٧٩.

(٢) منيب الماضي وسليمان الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ١٩٠٠-١٩٥٩م، ط٢، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٥٩م، ص٢١.

- العمل على القضاء على اللغة العربية بإلغائها من المدارس والمؤسسات الرسمية، وإهمال الثقافة العربية بشكل متعمد.

- اضطهاد جميع العناصر لا سيما العرب فكان تعيين جمال باشا السفاح حاكماً على سوريا «نكبة تاريخية للعلاقات بين العرب والأتراك» [١]، إذ عمل على نصب المشانق وإعدام أحرار العرب، ووصل حقدهم حد نبش قبور المجاهدين، كقبر عبد القادر الحسيني، كما أنهم جوعوا الأهالي لدرجة الموت، وقد وصف مصطفى الشهابي ذلك بقوله: «لو وصف لكم حال الجياع الذين كنت أشاهدهم بدمشق نفسها وهم مستلقون على الأرض يئنون ويجودون بالنفس لاقشعرت أبدانكم ولعرفتم كيف كان يعيش سكان بلاد الشام في تلك الأيام السود الحوالك» [٢]، فضلاً عن أنهم «كانوا من الماسونيين وأن نفوذ اليهود كان متغلغلاً بين صفوفهم» [٣].

- عدم محافظة الاتحاديين على الدولة العثمانية وعلى ممتلكاتها وأراضيها كالبوسنة والهرسك، وليبيا، وجنوب العراق، وجزيرة كريت[٤].

---

(١) صالح أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط٢، دار الفتح، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٨.

(٢) مصطفى شهابي، محاضرات في الاستعمار، جزءان، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م، الجزء ٢، ص٥٢.

(٣) موسى، الحركة العربية، ص ٦١،

Zeine N. Zeine: The Emergence Of Arabe nationalism the catholic press Beirut.1960 ،p87.

(٤) علي محافظة، دراسة أولية في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى، نشر ضمن كتاب النهضة العربية، دراسات وأبحاث، مديرية التوجيه المعنوي، ١٩٨٩م، ص ١٩سهيلة الريماوي، الاتجاهات الفكرية للثورة العربية من خلال جريدة القبلة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٦٩م، ص ١٩.

• دخول حكومة الاتحاديين الحرب الأولى سنة ١٩١٤م لجانب الألمان دون موافقة العرب وما رافقه من تمويل سكة حديد بغداد، واعلانها الجهاد المقدس، وطلبت من الشريف أن يؤيدها في ذلك لكنه رفض.

أما الدوافع الدينية، فتنطلق من حنق الطورانيين على الإسلام والمسلمين الذي بلغ حداً لا يمكن السكوت عنه فقد تجرأوا على الإسلام وتعاليمه وشوهوا سيرة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام فكانوا يرون في الاسلام وسيلة من وسائل تقهقرهم وضعف حالهم[١] ومن ثم حاربوا تعاليم الإسلام ومفاهيمه، ومن أفكارهم أنهم «يرون في التراث الإسلامي السابق لهم مجموعة من الأفكار العتيقة التي لا تصلح لهذا الزمان» [٢] وقد بلغ حقدهم لدرجة أنهم قالوا «إن العودة إلى عبادة الدب الأبيض أجدى لنا من دين العرب» [٣] وافتخروا بأنهم أتراك، وإنهم حاقدون على الإسلام بقولهم «إن التركية خير لنا من الإسلام» [٤]، لكن الحقد المتأصل بهم وصل إلى حد وضع أسماء لجنكيز خان وهولاكو في المساجد والجوامع بدل الخلفاء الراشدين[٥].

ويعد تعيين جمال باشا السفاح في سوريا من الأسباب المباشرة في التعجيل بالثورة لارتكابه أعمالاً وحشية ضد رجال الثورة بالرغم من تدخل الشريف ونجله الأمير فيصل في العفو عنهم، في رسالة وجهها الحسين لجمال باشا جاء فيها «وإلا فإن

---

(١) القبلة، ع٤، ١٥، ١٦ أيلول، ١٩١٦.

(٢) القبلة، ع٣، ٢، ١٨ تموز، ١٩١٦.

(٣) مصطفي الشهابي، القومية العربية، ط٢، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٦٠-٦٥.

(٤) أسعد داغر، ثورة العرب، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٩١٦م، ص ١٤٦.

(٥) عدنان الزبن، الثورة العربية من منظور إسلامي، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٥، ص ٧٥.

الدماء سوف تستثير الدماء»[1]. لكن جمال باشا كان أكثر وحشية في ارتكاب مجازره ووصلت أخبارها للأمير فيصل الذي صاح بعفوية «طاب الموت يا عرب» [2].

وعلى هذا بدأ الشريف يعد العدة للقيام بالثورة، وكانت خطته التي رسمها الإنجليز تقوم على عدة محاور:

١. الأول أن تقوم الثورة في الحجاز معتمدة على القبائل العربية الموالية له.

٢. الثاني أن تقوم الثورة في سوريا وبلاد الشام معتمدة على الفرق العسكرية الموجودة في الشام.

٣. الثالث معتمدة على دول الحلفاء بإنزال حملة عسكرية شمال سوريا[3].

وكانت مصلحة بريطانيا في دعم الشريف حسين حاجة الحلفاء إلى فتح جبهة على الأتراك في الداخل تشغلهم عن الحرب في اوروبا، ومما يؤكد هذا دور لورنس الذي شارك في العمليات العسكرية للثورة، فكان يزود حكومته بالتقارير الدورية مبينا مجريات الحرب.

وفي البداية أبقى الشريف على حبل الود بينه وبين الأتراك متوخياً الحيطة والحذر فلم يظهر العداء لهم، وأبقى باب المفاوضات والمراسلات معهم مفتوحا وفي الوقت نفسه بدأ يستطلع آراء المشايخ وأمراء الجزيرة العربية وجمعيتي العهد والفتاة، ففي أثناء

---

(١) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ص٢٨٢.

(2) John Robert Hadaw Sami, The Palestine Diary Heidelberg, Beirut, 1970, p41.

لمزيد من التفاصيل حول أعمال جمال في ارتكابه المجازر في سوريا ولبنان أنظر: محمد أسعد أطلس، تاريخ الأمة العربية، عصر الانبعاث، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٣، ص ٦٠-٦٥. وأيضا: تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٦، ص ٤٤.

(٣) موسى، الحرب في الحجاز، ص ٣٧-٣٨.

عودة ابنه فيصل من الآستانة اجتمع في سوريا وبشكل سري في قصر آل البكري مع زعماء الحركة العربية (أعضاء جمعيتي العهد والفتاة) وأخذ الموافقة منهم على الثورة، وعاد إلى الحجاز وذهب إلى الطائف لمقابلة والده الذي اجتمع مع أبنائه بشكل سري، وتباحثوا حول حركتهم وأطلعهم فيصل على ميثاق دمشق وقرروا إعلان الثورة على الترك بالتعاون مع الإنجليز وضمن الشروط المتفق عليها، ويعود فيصل إلى دمشق لاستكمال مباحثاته مع زعماء الحركة والجمعيات ويتولى الأمير عبد الله تنظيم القبائل في الطائف، والأمير علي تنظيم القبائل حول المدينة ويستكمل الشريف مفاوضاته ومباحثاته مع الإنجليز في مصر[١].

من ناحية أخرى تناولت مراسلاته مع الإنجليز (الحسين ـ مكماهون) واتصالاته ضرورة دعمه بالمال والسلاح والعتاد وبالمواد الغذائية لتكون له سنداً قوياً في حال قيام الثورة[٢]، حيث أن حجم القوات العثمانية في الجزيرة العربية كان كبيراً ففي الحجاز فرقة في عسير، وفرقتان في اليمن، وثلاث فرق في سوريا وفلسطين كل فرقة تتألف من سبعة إلى ثمانية آلاف جندي[٣].

وكان انطلاق الثورة من الحجاز أمراً ذا دلالة لأكثر من سبب فالحجاز مهد الإسلام، ومكان مقدس لجميع المسلمين ومهد العرب والعروبة «والمكان الصالح لتحمل أعباء الثورة على الأتراك» [٤]، ويتمتع موقعه بميزة جغرافية واستراتيجية عظيمة لبعده عن الحكومة العثمانية وصعوبة أرضه وحرارته العالية، مما يضعف سيطرة حكومة الأتراك ويعرقل حركة جيوشهم، ويقلل من تنقلاتهم[٥].

---

(١) أمين سعد، أسرار الثورة، ص ٥٧.

(٢) سليمان الموسى، المراسلات التاريخية، مج ١، ص ٥٦-٧٧.

(٣) سليمان الموسى، الثورة العربية في الحجاز، ص ٤٢.

(٤) أنيس الصايغ، المرجع السابق، ص ٤٠.

(٥) فريحات، السياسة الفرنسية، ص ٨٠-٨١.

أما عن شعار الثورة فقد ذكر الأمير فيصل أنه اتفاق مع نسيب بيك البكري عند عودة الوفد من المدينة على نص خفي لبرقيتين إحداهما ترمز إلى إعلان الثورة والأخرى ترمز إلى تأجيل الثورة، ولم يكد الوفد يصل إلى دمشق حتى تلقى نسيب البكري برقية جاء فيها «دمشق ـ نسيب البكري، أرسلوا الفرس الشقراء»[(١)] والعبارة تدل على إعلان الثورة، وعندما بدأت كان جمال السفاح في بيت المقدس، فتمكن آل البكري وحاشيتهم من الهرب[(٢)]، وهكذا بدأت الثورة وأعلن الشريف انطلاقها باطلاق الرصاصة الأولى[(٣)].

ولقد مرت الثورة بثلاث مراحل أساسية ومهمة كل منها تؤدي الى الأخرى فالمرحلة الاولى بدأت من الحجاز (حزيران ١٩١٦ ـ تموز ١٩١٧م)، والثانية في شرق نهر الأردن وتمتد من ٦ تموز ١٩١٧م الى ٢٥ ايلول ١٩١٨م، والثالثة تحرير بلاد الشام لا سيما المدن السورية وإعلان الحكومة العربية بقيادة الأمير فيصل في (ايلول ١٩١٦م ولغاية تشرين الأول ١٩١٨م).

وعلى هذا ففي يوم الأربعاء ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ ، الموافق العاشر من حزيران ١٩١٦م أعلن الشريف الحسين رسمياً انطلاق الثورة [(٤)] في كل مدن الحجاز بوقت واحد[(٥)] وتمت محاصرة مراكز الاتحاديين في مكة في كل من قلعة جياد وقلعة جبل

---

(١) موسى، الحركة العربية، ص ٢٦٨. موسى، الحرب في الحجاز، ص ٤١. طلاس، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٢) إبراهيم سليم النجار، الملك فيصل الأول، بغداد، د، ت، ص ٢٨-٢٩.

(٣) أنظر طلاس، المرجع نفسه، ص ٢٩٠-٣٣١.

(4) F.O.882/19

(٥) موسى الثورة العربية، ص ٤٧-٥٥< القبلة، ع١، ٢، ١٥ شوال ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦. انطونيوس، المرجع المرجع السابق، ص ٢٨٠-٣٠٠. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٩١-٩٢. أسعد داغر، الثورة العربية، ص ٨٥-١٠٠. ممدوح الروسان، حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام (١٩١٦ ـ

الهندي ودار الحكومة (الحميدية) وثكنة جرول، وقد استمر القتال في مكة قرابة الشهر، وفي النهاية استسلمت القوات التركية في مكة في ٩ تموز، بعد أن خسرت ٢٥٠ فرداً وخسر العرب ثمانية شهداء، وقد سلم الشريف قيادة الهجوم على مراكز الأتراك في مكة كلاً حسب مجموعته إلى شاكر بن زيد وشرف بن عبد المحسن، ونجله الأمير زيد.

أما مدينة جدة فقد كانت أولى المدن الحجازية التي تستسلم في ١٦/٦/١٩١٦م، وقد هوجمت بنفس الوقت مع إعلان الثورة، كما هاجم ثوار العرب من بني حرب بقيادة ابن عبد المحسن، واشتركت القوات البريطانية في الهجوم على الأتراك في جدة من خلال أسطولها البحري على ساحل البحر الأحمر، ثم توالى سقوط المراكز التركية، فقد سقط ميناءا رابغ وينبع في ٢٧ تموز ١٩١٦م بقيادة نوري السعيد، ثم سقطت موانئ القنيفذة والليث في ١٥ آب ١٩١٦م وتم الاستيلاء على ميناء أملج شمال جدة[(١)].

أما مدينة الطائف فقد حاصرها الأمير عبد الله ومعه الشريف سلطان بن راجح بقوة قوامها خمسة آلاف مقاتل، وقد بدأ الهجوم في منتصف ليلة ١٢ حزيران ١٩١٦م مقابل القوات التركية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل ومائة ضابط بقيادة غالب باشا، ومما ساعد الأمير في هجومه على قلعة الطائف المدفعية المصرية بتعليمات انجلترا حيث كانت مصر تحت الحماية البريطانية التي كان لها تأثير قوي في زعزعة قوة الأتراك وقد بعث الأمير بكتاب شكر لقائد المدفعية المصري يبين له شكره وامتنانه على مساعدتهم في التضييق على الأتراك. وقد أرسلت القوات البريطانية بنادق وعتاداً للأمير عبد الله وزعها على قواته في هجومهم على الأتراك، وبعد تشديد الحصار استجاب غالب باشا

١٩١٨)، مكتبة الكتاني، عمان، ١٩٨٦، ص ٣٥-٣٧. حسين ناصيف، المرجع السابق، ص ٥٠-٥١. =

= أنظر أيضا: سيد علي العدروس، الجيش العربي الهاشمي ١٩٠٨-١٩٧٩، ترجمه عبد العزيز سليمان المعايطه، ط١، جامعة اليرموك، ١٩٨٣، ص ٦٠-٦٧.

(١) F.O.882/6.، انظر حسين نصيف: المرجع السابق، ص ٥١-٦١.

قائد الأتراك لمطالب الأمير بضرورة الاستسلام، وتم ذلك في ٢٢ أيلول ١٩١٦م وقد وقع ستة آلاف أسير بيد العرب بعد استسلام الطائف إضافة إلى الغنائم الكثيرة من المعدات والمدافع والأسلحة، ومن بين الأسرى غالب باشا ومساعده، أما عدد القتلى في معركة الطائف فقد بلغ ٧٠٠ و ٣٠٠ أسير من الأتراك[١]. وبهذا تم الاستيلاء على جميع مدن الحجاز باستثناء المدينة، وتعد فترة الثلاثة أشهر في تاريخ الثورة من «أحلك الفترات في تاريخ الحملة العربية» [٢].

أما عن القتال حول المدينة المنورة، فقد كُلِّف الأميران فيصل وعلي بمهاجمتها ووضع خطة في ذلك، لكن لظروف معينة تغيرت الخطة، وكان قائد الأتراك في المدينة فخري باشا فور علمه بحدوث الثورة أرسل لجمال باشا بما حدث وطلب منه أن يمده بالقوات والتعزيزات، فقد قدر حجم القوات التركية في المدينة المنورة بحوالي ١٤ ألف مقاتل، وعدد القوات العربية بحدود ١٢ ألف مقاتل، و٧ آلاف مع الأمير فيصل، و٥ آلاف مع الأمير علي[٣]، وقد هاجم الأخوان علي وفيصل ومقاتلوهما محطة المحيط واشتبكوا مع حاميتها وهاجموا خط سكة الحديد وخربوها وهاجموا موقع الحسا، استعد فخري باشا لمقاتلة الأخوين فدارت معركة قوية انتهت بانتصار فخري باشا وتراجع القوات العربية إلى بير الماشي[٤].

---

(١) لمعرفة التفاصيل حول سقوط الطائف والمعارك التي دارت فيها، انظر العدروس، المرجع السابق، ص ٥٠-٥٥. أنطونيوس، المرجع السابق، ص٢٩٠-٣٠٠. الأمير عبد الله، الآثار الكاملة، ص ١٢٠-١٢٧. موسى، الثورة العربية، ص ٥١-٥٢. القبلة، ع ٢٥، ٥ نيسان ١٩٢٠. انظر أيضا: F.O.54/686

(٢) القبلة، ع ٢٥، ٥ نيسان ١٩٢٠، أنطونيوس. المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(٣) موسى، الثورة العربية والحرب في الحجاز، ص ٥٥.

(٤) عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص ١٣٣-١٤٣، ولمزيد من التفاصيل حول سير معركة المدينة المنورة والطائف أنظر ملحق رقم (٣).

واضطرت القوات العربية إلى تقسيم قواتها إلى ثلاث مجموعات إحداها قرب محطة المحيط وأخرى قرب محطة صغيرة بقيادة الأمير علي والثالثة قرب محطة بواط، ودارت اشتباكات عنيفة وقوية بين القوات العربية والأتراك، فعمدت القوات العربية فيها إلى تخريب سكة الحديد ونزع قضبانها بهدف تطويق المدينة ومنع وصول الإمدادات العسكرية لها واضطرت القوات العربية للتخلي عن خطتها بسبب مطاردة القوات التركية لها واستخدامها قطارات مسلحة، واشتبك فخري باشا بما وصل إليه من تعزيزات مع الأمير علي حيث انهزمت قواته واضطر للتراجع عن تحرير رابغ.

ثم هاجم فخري المناطق المجاورة للمدينة واستولى على قرية العوالي[١]، وأعلن الأتراك عزل الشريف حسين عن إمارة مكة، وتعيين الشريف علي حيدر بهدف إثارة القلاقل وزعزعة الثقة في نفوس القوات العربية. وهنا أرسل الشريف حسين بعد أن شعر بخطورة الأمر إلى السير هنري مكماهون يطلب المساعدة والعون ففي شهر آب تلقى الأمير علي والأمير فيصل ٢٥٠٠ بندقية إنكليزية، استخدمت في المعارك ضد القوات التركية قرب غدير ورابغ، والجبال الغربية من المدينة. وخوفاً من وصول فخري باشا إلى رابغ أعيد تنظيم القوات العربية بحيث أصبح الشريف حسين القائد الأعلى للقوات العسكرية، والقائد العام ورئيس الأركان عزيز علي المصري وجعفر العسكري، وقد قسمت قوات الثورة إلى ثلاثة جيوش وهي جيش شمالي مقره ينبع وقائده الأمير فيصل[٢] وجيش جنوبي ومقره رابغ وقائده الأمير علي، وجيش شرقي ومقره وادي العيص (شمال غرب المدينة) وقائده الأمير عبدالله.

في ١٦/ ١١/ ١٩١٦م عقد مؤتمر رابغ العسكري حضره الأميران فيصل وعلي، وعزيز علي المصري، ونوري السعيد، وممثلون عن الحكومتين الفرنسية والبريطانية،

---

(١) موسى، الثورة العربية، ص ٥٦.

(٢) الروسان، حروب الثورة، ص٣٨-٣٩.

وتقرر فيه الدفاع عن رابغ باعتبارها مفتاح الطريق إلى مكة، وقاعدة للعمليات العسكرية للجيوش الثلاثة[1].

وأثناء تحرك الأمير عبد الله بقواته نحو الحناكية شمال شرق المدينة استطاع القضاء على تمرد حسين بن مبيريك، والذي كان يقاوم قوات الثورة ويشكل خطراً على القوات العربية، وفي الحناكية اصطدم الأمير عبد الله مع القوات التركية بقيادة أشرف بك وانتصر عليه ومن المناطق التي استسلمت للقوات العربية بير درويش، وأملج، ووادي الصفراء، وضبا، والمويلح[2]. وهاجمت القوات البريطانية قوات فخري باشا في منطقة رابغ، وألحقت بها خسائر كبيرة جعلته ينسحب من ينبع النخل ووادي الصفراء ومن بير سعيد إلى بير درويش[3].

وشدد الأمير على الحصار حول المدينة فتقدم بأربع كتائب نظامية مع ثلاثة آلاف مقاتل من المتطوعين من البدو وتساندهم مدافع جبلية واشتبكوا مع الأتراك في بير درويش حيث كان النصر حليف القوات العربية، التي تقدمت نحو بير الماشي لكنهم فشلوا في احتلاله فتراجعوا نحو بير درويش. لكنه نجح في احتلال أملج يوم ١٥/ ١/ ١٩١٧م وتقدم نحو الوجه بمساعدة القوات البريطانية واحتلها يوم ٢٣/ ١/ ١٩١٧م[4]، والذي يعد احتلالها مهماً لامداد العرب بـ«قاعدة حصينة لشن غاراتهم على سكك حديد حجاز»[5]، وانسحبت القوات التركية من الوجه باتجاه العلا

(1) Lawrance T.E Seven Pillars of wisdom penguin book New York, 1979, p65. F.O.686/6
(2)F.O.682/6.

(٣) القبلة، ع٦٤، ١ نيسان ١٩١٧.

(٤) لورنس، أعمدة الحكمة السبعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١١٠-١١٢. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٩٥-١٠٠.

(٥) العدروس، المرجع السابق، ص ٦٤. الدنجتون رتشارد، لورنس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزت موسى، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٨٢.

فتحرك الأمير فيصل من الوجه باتجاه الداخل، وأنشأ فيها قاعدة في بير جيدة للهجوم على خط سكة الحديد.

ثم تقدمت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل شمالاً نحو العقبة معتمداً اعتماداً قوياً على القبائل البدوية، والعربان من أمثال بني عطية والحويطات والرولة[1]، وبدأ الاتصال مع شيوخ القبائل، فقد وصل له في منطقة الوجه ٢٤٢ شيخاً أقسموا على مساعدة الأمير والتعاون معه، ومن بين الشيوخ الذين حضروا عودة أبو تايه شيخ الحويطات الذي وصف بأنه قبيلة في رجل، حيث اقترح أن يقوم الامير فيصل باحتلال العقبة[2]، فبدأت القوات العربية التقدم نحوها بمساعدة القبائل البدوية، وقد احتلوا في طريقهم مواقع تركية عديدة منها أبو اللسن ثم القويرة، وهاجموا العقبة من الخلف فاحتلوها يوم ٦/ ٧/ ١٩١٧م[3]. وأسروا ٧٠٠ تركي وقتلوا نحو ٦٠٠ مقاتل[4]، ومع احتلال العقبة تنتهي المرحلة الأولى من مراحل الثورة العربية وهي مرحلة الحرب في الحجاز، وهذا ما أشارت إليه الجريدة الرسمية للمملكة الحجازية بقولها «وفي الوجه كسبنا حرب الحجاز وفي العقبة انتهت الحرب»[5]. ويعد احتلال العقبة «تجسيداً ملموساً للثورة وقاعدة لتقويض السلطة التركية في سوريا سياسياً»[6].

أما في المدينة المنورة فقد شددت القوات العربية حصارها حولها، وبعد وقف القتال مع تركيا في ٣٠/ ١٠/ ١٩١٨م وتوقيع هدنة مدروس رفض فخري باشا

---

(١) لورنس، المرجع نفسه، ص ١٢٣-١٢٥.

(٢) نفسه، ص ١٥٠-١٥٥.

(٣) القبلة، ع، ١٠٤ ١٧ آب١٩١٧، أنطونيوس، المرجع السابق، ص ٣٢٢، لورنس، المرجع نفسه، ص ١٥٦-١٦٥.

(٤) القبلة، ع ١٠٤، ١٧ آب ١٩١٧، ع٣٢٠، ٥ كانون الثاني ١٩١٩.

(٥) القبلة، ع ٩٨، ١٠آذار ١٩١٧ . لورنس، المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٦) القبلة، ع ١٠٤ ١٧، آب ١٩١٧، ع ٩٨، ١٠ آذار ١٩١٧.

الاستسلام لكنه اضطر بسبب تشديد الحصار عليه وفتح باب المفاوضات مع الأمير عبد الله فأرسل فخري ضباطه للاتفاق وهم علي نجيب وصبري بك وكمال بك، وتم الاتفاق[1] على: تسليم فخري باشا نفسه فوراً وتسليم الاسلحة العسكرية الخفيفة والثقيلة بموجب سجلات ودفاتر محفوظة، وتسليم كل الآي في الجبهات حيث هو وأخذهم من محلاتهم إلى الساحل بقوافل محروسة من الجيش العربي، وتسليم القوات التي بالمدينة كل قوة في مركزها وتخرج، أما القوات التي في العلا وتبوك فتستسلم هناك وتؤخذ بقوافل إلى الوجه ومن ثم إلى ضباء، وتكون الأمتعة الخاصة بالضباط تحت تصرفهم إذا أرادوا بيعها أو أخذها معهم. وهكذا استسلمت المدينة المنورة للأمير عبد الله في كانون الثاني ١٩١٩م[2].

المرحلة الثانية: الحرب في شرقي نهر الأردن من تموز ١٩١٧م ـ تموز ١٩١٨م

أعيد تنظيم القوات العربية بعد احتلال العقبة[3]، وتم تشكيل قوات نظامية وغير نظامية بالإضافة لبعثات بريطانية وفرنسية، وقد دارت الحرب في شرقي نهر الأردن في عدة أدوار وهي:

١. معارك العقبة ووادي موسى من تموز ١٩١٧م إلى كانون الثاني ١٩١٨م:

تمكنت القوات التركية بقيادة محمد جمال باشا (قائد حامية معان) من احتلال أبو اللسن ودلاغة لمنع تقدم القوات العربية نحو معان وتقدم لاحتلال وادي موسى لكنه فشل في ٢١/ ١٠/ ١٩١٧م، في حين تقدمت القوات العربية النظامية بقيادة

(١) عبد الله بن الحسين، مذكراتي، ص ١٥٢- ١٥٣.

(٢) الدنجتون، المرجع السابق، ص ١٨٠. فريحات، السياسة الفرنسية، ص ١٨٤-١٨٦.

(٣) لورنس، المرجع نفسه، ص٢١٥-٢١٦.

الشريف عبد المعين وغير النظامية بقيادة مولود مخلص وحققت نجاحاً على القوات التركية لكن دون السيطرة وبشكل كاف على العقبة ووادي موسى[(١)].

كما فشلت القوات التركية من السيطرة على وادي موسى والقويرة في تشرين الثاني ١٩١٧م لا سيما أن القوات البريطانية كانت تشن حملة على القوات التركية في غزة وبئر السبع في ٦/ ١١/ ١٩١٧م متجهة نحو القدس، وبنفس اليوم تقدمت القوات التركية نحو وادي موسى والقويرة[(٢)] مما اضطرها إلى إرسال تعزيزات من معان إلى فلسطين التي تشهد حرباً، وقد أجبر الأتراك على التخلي عن أبو اللسن ونقلت القيادة العربية مركزها من العقبة إلى القويرة، وشنت القبائل العربية والعربان هجوما على خطة سكة حديد جنوب وشمال معان وحققت انتصاراً على القوات التركية وعلى خط سكة حديد جنوب وشمال معان[(٣)].

٢. الصراع على الطفيلة[(٤)] كانون الثاني ـ آب ١٩١٨م:

تقدمت القوات العربية من وادي موسى ومعان إلى الطفيلة لاحتلالها، وتقدمت بثلاثة محاور: محور يقوده الشريف مستور تساعده عشائر الحويطات بقيادة حمد بن جازي تهاجم الطفيلة من الغرب، ومحور بقيادة الشريف ناصر يساعده عودة أبو تايه ونوري السعيد يتجه لاحتلال جرف الدراويش والتقدم نحو الطفيلة من الشرق وقد تم احتلالها يوم ٥/ ١/ ١٩١٨م، لكن القوات التركية أرسلت حامد فخري لاسترجاع الطفيلة بقوة تعدادها ٦٠٠ جندي و١٠٠ خيال ومدفعي هاون لكن الحملة فشلت

---

(١) موسى، الثورة العربية، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٢) طلاس، المرجع السابق، ص٣٨٢- ٣٨٣. الروسان، المرجع السابق، ص٥٨. لورنس، المرجع السابق ص٢٩٠ ـ ٢٩٥. العدروس، المرجع السابق، ص٧٧.

(٣) انظر العدروس. المرجع السابق، ص٧٠ ـ ١٠٠. انظر طلاس، المرجع نفسه، ص٣٨٠ ـ ٣٩٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول سير معركة الطفيلة ، أنظر ملحق رقم (٤).

وخسرت خسارة فادحة وقتل قائدها. ومحور بقيادة الشريف عبد المعين لاحتلال الشوبك والتقدم الى الطفيلة ومهاجمتها من الجنوب[١].

غير أن القوات التركية أرسلت حملة من عمان بقيادة ألماني (نيدماير) لاستعادة الطفيلة قوامها ثلاث كتائب مشاة وسريتا راكبي بغال ومفرزة ألمانية ورشاشات[٢]. ودخلت القوات إلى الطفيلة يوم ٦/ ٣/ ١٩١٨م من جرف الدراويش وكان الأمير زيد في الطفيلة، فخرج منها باتجاه الجنوب حتى وصل الرشادية يوم ٨/ ٣/ ١٩١٨م[٣] وطلب المساعدة من أخيه فيصل بمهاجمة الأتراك في معان ليخفف عنه الضغط في الطفيلة ثم انسحب زيد إلى الشوبك، في حين ترك الأتراك الطفيلة لخوفهم على عمان التي يهددها الإنجليز، فسارع العرب بدخول الطفيلة بقيادة الشريف علي بن عريد والشيخ حمد الجازي.[٤] وإثر برقيات وصلت الى الأمير زيد من أهالي الكرك يدعونه لنصرتهم ومساعدتهم في التخلص من الأتراك، كلف الأمير عبد الله ابن حمزة بذلك، وفي الوقت نفسه تركها الأتراك إثر مهاجمة البريطانيين السلط وعمان[٥].

---

(١) الروسان، المرجع نفسه، ص٥٩. طلاس، المرجع نفسه، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥. العدروس، المرجع نفسه، ص٨٠. محمود عبيدات، الأردن في التاريخ، ج١، ط١، جروس، لبنان، طرابلس، ١٩٩٢، ص٩٩-١٠٠. سليمان الموسى، مذكرات الأمير زيد، ط١، عمان، ١٩٧٦م، ص١٩-٢١.

(٢) الروسان، المرجع نفسه، ص٦٠.

(٣) سليمان الموسى، مذكرات الأمير زيد، ص٧٨.

(٤) سليمان الموسى، مذكرات الأمير زيد، ص٧٨.

(٥) نفسه.

٣. الهجوم على معان[1]:

وفي يوم ٨ نيسان ١٩١٨م عقد مؤتمر برئاسة الأمير فيصل وحضور جعفر العسكري ونوري السعيد والكولونيل دواني وقرروا فيه الهجوم على معان من جميع الجهات، فتم الهجوم بتاريخ ١١نيسان ١٩١٨م ولغاية ١٩نيسان ١٩١٨م على مراحل:

الأولى: من الغرب بقيادة نوري السعيد ومولود مخلص، وقد اتجه نوري السعيد نحو محطة الغدير الحاج واحتلها يوم ١١/ ٤/ ١٩١٨م واتجه مولود وعودة أبو تايه وبعض القوات الفرنسية نحو محطة معان يوم ١٣/ ٤/ ١٩١٨م ولم يبقوا فيها بل تراجعوا نحو تلال السمنات يوم ١٧/ ٤/ ١٩١٨م مع قوات جعفر العسكري القادمة من الشمال.

الثانية: بقيادة الأمير زيد من اذرح ومعه جعفر العسكري وبيساني احتلت محطة الجردونة يوم ١٣/ ٤/ ١٩١٨م ثم محطة معان لكنها تراجعت نحو تلال السمنات.

الثالثة: بدأت جنوب معان بقيادة الشريف ناصر ومساعده دواني بيك ولورنس واحتلوا تل شحم يوم ١٩/ ٤/ ١٩١٨م، وتكررت الهجمات العربية بمساعدة الطائرات البريطانية على احتلال محطة معان يوم ١١ أيار ١٩١٨م ومساعدة عشائر المناطق المجاورة[2] لكن القوات العربية انسحبت منها فاحتلها الاتراك.

---

(١) حول الهجوم على معان، انظر Glubb (J.B) Britian and the Arabs، 1908 - 1958، London، P86. سليمان الموسى، مذكرات، ص١٩١-١٩٦. لورنس، المرجع السابق، ص٣١٠-٣٥٣. العدروس، المرجع السابق، ص٧٠-٨٥.

(٢) الروسان، المرجع السابق، ص٦٣-٦٤.

وفي ١٧أيار ١٩١٨م هاجمت القوات العربية للمرة الثالثة محطة معان لكنها فشلت وتكررت هجماتهم على محطة معان والجردونة لأكثر من مرة حتى انسحب منها الاتراك في ٢٤ أيلول ١٩١٨م، وقد أرسلت بريطانيا في أيار ١٩١٨م سريتي هجانة بقيادة الميجر بكستن لاحتلال محطة المدورة فحققت نجاحاً يوم ١٩١٨/٨/٨م. وهاجم البريطانيون معان والسلط أكثر من هجمة، كانت الأولى في آذار ١٩١٨م لكنها فشلت، والثانية كانت ما بين ٢٩/ ٤ و ٤/ ١٩١٨/٥م لكنها فشلت وأحبطت من قبل القوات التركية، وفي ٢٥ أيلول ١٩١٨م استطاع الانكليز تحقيق النصر واحتلال عمان[١].

المرحلة الثالثة: الحرب في سوريا من آب - تشرين الأول ١٩١٨م:

وجدت القيادة العربية وبالتنسيق مع بريطانيا ضرورة نقل قاعدة العمليات من القويرة إلى الأزرق ليتسنى لها شن هجمات حقيقية تجاه درعا والتقدم نحو دمشق[٢]، وقد عقد في أبو اللس اجتماع عام برئاسة الأمير فيصل وحضور ضباط عرب وبعض بعثات الارتباط البريطاني والفرنسي وقرروا في الاجتماع تقسيم الجيش الشمالي إلى مجموعتين[٣]:

المجموعة الأولى: بقيادة الأمير زيد وجعفر العسكري في أبو اللسن وسمنة وهدفها الضغط المستمر على القوات التركية في معان وعلى طول سكة حديد معان وعمان مع إرسال قوات إلى مادبا أثناء التقدم شمالاً.

(١) فريحات، السياسة الفرنسية، ص٨٨.

(٢) الروسان، المرجع السابق، ص٧٢-٧٣.، انظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص٦١-٦٢.

(٣) العدروس، المرجع السابق، ص٩٠-١٠٠.

المجموعة الثانية: بقيادة الامير فيصل وقوامها ٥٠٠ مقاتل مزودين بجميع الأسلحة الخفيفة والثقيلة، تتحرك نحو منطقة الحشد في الأزرق وتشكل قواعد أمامية لشن هجمات وغارات على العدو وعلى سكة الحديد وعلى جميع الجهات والجبهات القتالية. وقد رافقتها قوات غير نظامية بقيادة الشريف ناصر بن علي ونوري الشعلان وأبو تايه، وكان عددها ثلاثة آلاف مقاتل[١].

وبدأت الحملة يوم ٢٨ آب ١٩١٨م ومرت من جنوب معان ثم الجفر ثم باير ثم العمري ثم الأزرق التي وصلتها يوم ٦ أيلول ١٩١٨م[٢]، وأثناء تقدم الحملة كانت القوات التركية تشن هجوما وبشكل مفاجىء على القوات العربية لتمنع تقدمها نحو الأزرق، وتجدر الإشارة إلى أن الأمير فيصل وأثناء تحرك الحملة أرسل للقبائل العربية يطلب مساعدتها من أجل تحرير بلادها العربية، ومما جاء في رسائله وكتبه للقبائل قوله «إن تحرير سوريا أصبح قريباً وسنشن هجومنا خلال بضعة أيام، لذلك عليكم التجمع مع كافة القبائل في الأزرق، أما الجيش النظامي فسوف يتبع وسأكون معكم خلال أيام.. أعلنوا الثورة في جميع أنحاء سوريا»[٣]. واستجابت القبائل لنداء الأمير فيصل بينما بعث الأمير زيد برقية إلى الأمير فيصل بتاريخ ١٨/٩/١٩١٨م جاء فيها «الأحوال على ما يرام وصل الينا نوري الشعلان بجموع كثيفة ومعه الدروز (١٥٠٠) خيال وكل يوم الوفود في ازدياد، أهل حوران ينتظرون أمرنا بالحركة»[٤]. ونجحت

---

(١) ليك كركبرايد، النهضة العربية، مذكرات الأمير زيد، إعداد سليمان الموسى، م، ن، ص١٥٦. العدروس، المرجع نفسه، ص٩٨. يونغ، العرب المستقل. سليمان الموسى، مذكرات الأمير زيد، م، ن، ص١٨٥.

(٢) كركبرايد، المرجع السابق، ص١٥٧. وقد ذكر يونغ، المرجع السابق، ص٨٤-٨٦، إن المغادرة إلى الأزرق جرت على دفعتين: الأولى ٢٦ آب، والثانية ٢٨ آب وهي أقرب إلى الأصح.

(٣) العدروس، المرجع السابق، ص٩٨، ليك كركبرايد، المرجع نفسه، ص١٥٨.

(٤) الموسى، مذكرات الأمير زيد، ص١٠٧.

القوات العربية في شن هجومها على طول سكة حديد درعا يوم ١٣/ ٩/ ١٩١٨م، ونسف محطتي نصيب وجابر وبنفس الوقت نجحت القوات النظامية بقيادة نوري السعيد في احتلال عرار شمال درعا لكنها لم تنجح في نسف محطة تل شهاب بسبب وصول قوات ألمانية عززت حامية درعا[١].

وفي يوم ١٩/ ٩/ ١٩١٨م هاجمت الطائرت البريطانية القوات التركية في فلسطين وألحقت بها خسائر وهزمتها، فصدرت الأوامر للقوات التركية في معان يوم ٢٢/ ٩/ ١٩١٨م[٢] بالانسحاب مما جعل الأمير زيد وجعفر العسكري يتقدمان نحو معان واحتلالها، وتابعت القوات العربية احتلال المواقع التركية بالتوالي كالجردونة وجرف الدراويش[٣] ثم انسحب الجيش التركي الرابع من عمان واستطاعت القوات البريطانية بقيادة تشتور[٤] احتلال عمان كما ذكر من قبل، وهاجمت القوات البريطانية القوات التركية المنسحبة من معان بعد أن تمت محاصرتها من قبل الأهالي ثم استسلمت القوات التركية للقوات البريطانية يوم ٢٩ أيلول ١٩١٨م في الجيزة[٥].

وفي ٢٥ و٢٦/ ٩ قامت قوات عربية نظامية وغير نظامية برئاسة نوري السعيد والشريف ناصر بن علي ونوري الشعلان وعودة أبو تايه باحتلال محطة أزرع وغزالة

---

(١) العدروس، المرجع نفسه، ص٩٩. طلاس، المرجع السابق، ص٤١٠-٤١١. يونغ، المرجع نفسه، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر طلاس، المرجع نفسه، ص٤٠٠-٤٨٤.

(٣) الموسى، مذكرات الأمير زيد، ص١٠٧.

(٤) الروسان، حروب الثورة، ص٧٦.

(٥) الموسى، مذكرات الأمير زيد، ص١٠٧، طلاس زيد المرجع نفسه، ص٤١٤. العدروس، المرجع السابق، ص١٠٠-١٠٥.

والشيخ مسكين وشيخ سعد وتل عرار، وقد أسرت وقتلت من الأتراك أعداداً كثيرة[١].

وفي ٢٧ أيلول ١٩١٨م دخلت القوات العربية بقيادة الشريف ناصر ونوري السعيد درعا بعد انسحاب الاتراك منها ورفع علم الثورة العربية على دار الحكومة البريطانية[٢]، وقد وصفت النيران التي أطلقت على القوات التركية في درعا بأنها كتبت «في الفضاء بأحرف من لهب نهاية الأتراك»[٣].

وفي ٢٩ أيلول ١٩١٨م اتخذ الأمير فيصل من درعا قاعدة للعمليات العسكرية وبدأ التحرك نحو دمشق بالتعاون مع القوات البريطانية والأهالي، حتى دخل المدينة يوم ٣٠ أيلول ١٩١٨م بعد انسحاب القوات التركية والألمانية منها، ورفع علم الثورة العربية على مبنى البلدية، وفي دمشق استقبلت القوات العربية بفرحة شديدة بالزغاريد والورود، بعد ذلك تمت مطاردة فلول القوات التركية في مدن سوريا ولبنان وإخراجهم نهائياً من البلاد العربية[٤].

وتابعت القوات العربية احتلال المدن السورية كحمص وحماة التي سقطت دون مقاومة، إلا أنها واجهت مقاومة شديدة في حلب بقيادة كمال أتاتورك إلى أن استطاعت القوات غير النظامية دخولها في ٢٥/ ١٠/ ١٩١٨م، حيث رفع العلم العربي على المباني الحكومية فيها.

وعلى هذا حققت الثورة أغراضها في إسقاط الحكم التركي من الحجاز وبلاد سوريا مما مهد الطريق إلى قيام أول مملكة هاشمية في الحجاز برئاسة الشريف حسين.

---

(١) يونغ، المرجع السابق، ص١٨٩.

(٢) انظر يونغ، المرجع نفسه، ص١٧٦-١٩٠. العدروس، المرجع نفسه، ص١٠٦.

(٣) لورنس، المرجع السابق، ص٣٨٢.

(٤) طلاس، المرجع السابق، ص٤٢٠، لورنس، المرجع نفسه، ص٣٩٤.

تأسيس المملكة الهاشمية في الحجاز

بعد أن حققت الثورة نجاحها الأول في الحجاز عام ١٩١٦م كان لا بد من تأسيس مملكة عربية هاشمية كي تثبت سيادة الأمة العربية على أرض الحجاز للانطلاق فيما بعد لتأسيس مملكة عربية موحدة تضم جميع الأقطار البلاد العربية المتفق عليها مع البريطانيين[١].

وقد تدارس أمر انشاء المملكة العربية[٢] علماء ووجهاء الأمة في الحجاز[٣] من عراقيين وحجازيين ورجالات الشام أمثال الشيخ كامل القصاب ومحب الدين الخطيب وآل البكري وفؤاد الخطيب وآل الداعوق وضباط عراقيين، وعُرض الأمر على الشريف حسين يوم ٢٩ تشرين الأول ١٩١٦م فوجه خطاباً للعالم الإسلامي بين فيه مظالم الاتحاديين[٤].

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩١٦م حضرت جماعة من العلماء والأشراف والمشايخ ورؤساء القبائل إلى مجلس الشريف الملاصق للكعبة فعرضوا عليه أمر تعيينه ملكاً عليهم فرفض بشدة ومع إلحاحهم وافق على ذلك[٥]، وقد سلم الشيخ عبد الله السراج مفتي الحنفية إلى الشيخ فؤاد الخطيب كتاب البيعة بالملك، فقام بتلاوته على الملأ

---

(١) لمعرفة التفاصيل حول إنشاء المملكة، انظر أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٦-١٣٠. محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص٢٢٦-٢٧٥. انظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص٩٨-١٠١.

(٢) أمين سيعد، أسرار الثورة، ص١٢٦. موسى، الثورة العربية، ص١٥٨-١٦١. عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص١٣١-١٣٥. انظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص٧٠-٧٤.

(٣) الفواز، المرجع السابق، ص١٧٦-١٧٩. موسى، الحركة العربية، ص٢٨١. الشريقي، المرجع السابق، ص٢٧.

(٤) جريدة القبلة، ع٢٧، ٢٠ محرم ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.

(٥) جريدة القبلة، ع٢٢، ٣ محرم ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.

فنهض الشيخ عبد الله السراج فبايع الشريف بالملك ولُقب بـ«ملك البلاد العربية»[1].
ومما جاء في المبايعة «نبايعك على هذا يا صاحب الجلالة ونقسم بالله العظيم على طاعتك والرضى بك والانقياد إليك في السر والعلانية»[2] فرد الشريف بخطاب قصير جاء فيه «وإني اقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الأمر الذي تكلفونني به.. لم يخطر على بالي عندما قمت معكم بنهضتنا السعيدة»[3].

وعلى هذا الأساس تمت المبايعة العامة علنا داخل الحرم الشريف، ثم بسط فؤاد الخطيب يده مبايعا بصفته نائباً عن أهل سوريا وفي ذلك تأكيد واضح أن الشريف ملك على جميع البلاد العربية[4]، ثم أن الأمير فيصل أخذ البيعة لوالده بالملك من القبائل العربية، في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٦م (١٧محرم ١٣٣٥هـ)[5]. وقد أصبح هذا اليوم فيما بعد عيداً قومياً للعرب ويعتبر قيام المملكة العربية في الحجاز أول مملكة في التاريخ الحديث، وأول نتيجة من نتائج الثورة العربية الكبرى.

وفي عام ١٩١٦م طرح على الشريف موضوع الخلافة فرفض رفضاً قاطعاً وبين أن الخلافة لا تجوز في الوقت الحاضر لأن خليفة المسلمين لا يزال موجوداً وقائماً

---

(١) موسى، الثورة العربية، ص١٥٨. القبلة، ع٢٣، ٦ محرم ١٣٣٤هـ.حسين ناصيف، المرجع نفسه، ص٧٣. عبد الكريم غرايبة، الثورة العربية بحث ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ العربي، مهداة للاستاذ نور الدين الحاطوم بمناسبة بلوغه السبعين من عمره، تحرير ناظم كلاس، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢٥٤. خير الدين الزركلي، ما رأيت، ص١٢١. سعيد، الثورة العربية، ص١٣١. الريحاني، ملوك العرب، ص٥٥-٧٠.

(٢) جريدة القبلة، ع٢٢، ٣ محرم ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.

(٣) نفسه.

(٤) الصواف، المرجع السابق، ص٢٨٧.

(٥) فائز الغصين، مذكراتي، ص٢٥٤-٢٥٥.

بمنصبه لكن بزوال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤م وإلغاء منصب الخلافة وافق الشريف حينها على أن يكون خليفة للمسلمين[١].

ردود فعل على مبايعة الشريف

كان من أبرز الدول التي كانت لها ردود فعل على مبايعة الشريف بالملك بريطانيا، وروسيا وفرنسا. فبعد أن تشكلت الحكومة الأولى في الحجاز ١٩١٦م، وترأس وزارة خارجيتها الأمير عبدالله أرسل كتباً رسمية[٢] لكل من فرنسا وبريطانيا يطلب منهما رسمياً الاعتراف بالمملكة، إلا أن البريطانيين استغربوا ذلك مما جعلهم يماطلون ويترددون في الاعتراف، لأنهم كانوا غير صادقين في وعودهم للشريف والعرب حسب «سايكس ـ بيكو» السرية ووعد بلفور مع حليفتها فرنسا، وهذا أمر متوقع فالبريطانيون كانوا يأملون «أن يموت هذا الخبيث الممسوخ (المملكة العربية) في مهده»[٣]. وفرنسا كانت الأكثر تخوفاً من إعلان المملكة لأنها ستؤثر حتما على مراكز مستعمراتها في شمال افريقيا فضلاً عن مطامعها في سوريا ولبنان.

وبعد دراسة أمر الاعتراف ردت الحكومتان البريطانية والفرنسية في ١٠ كانون الأول ١٩١٦م على لسان الكولونيل الفرنسي بريمون والبريطاني ولسون «أن الحكومة البريطانية وحكومتي فرنسا وروسيا مع أنها تعتبر وستظل تعتبر سموكم الرأس الاسمي للشعوب العربية في ثورتها ضد الحكم التركي الظالم ويسرها علاوة على ذلك أن تعترف بسموكم اعترافاً واقعياً الحاكم الشرعي المستقل للحجاز، لكنها في الوقت الحاضر لا ترى أن الفرصة مناسبة لاتخاذ لقب بمعنى الملك قد يكون سبباً لتفريق كلمة

(١) سليمان الموسى، المراسلات التاريخية، مجلد١، ص٢٤١.

(٢) موسى، الحركة العربية، ص٢٨١-٢٨٢.

(٣) نفسه.

العرب وتفكيك جامعة الاتحاد بينهم في مثل هذه الظروف، ومن ثم يؤثر تأثيراً سيئاً في تأسيس جزيرة العرب سياسياً ونهائياً على أساس متين ثابت الأركان» [١].

ومن هنا يتضح لنا عدم صدق بريطانيا باعترافها بالشريف ملكاً على العرب، بل اعترفت وحليفاتها به ملكاً على الحجاز فقط، وقد طلب الشريف عدم نشر هذا الاعتراف في القبلة الجريدة الرسمية للمملكة[٢]. كما جاء اعتراف فرنسا وبريطانيا ضمن صحف القاهرة على النحو التالي «اعترفت الحكومة البريطانية وحكومة جمهورية فرنسا رسمياً بشريف مكة الأعظم ملكاً على الحجاز» [٣].

أما روسيا فقد اختلف موقفها عن موقف كل من بريطانيا وفرنسا، فقد أرسل وزير خارجيتها المسيو استورمر رد حكومته على أمر المبايعة وفيه اعتراف واضح للمبايعة بالشريف ملكاً على الأمة العربية واستقلال البلاد العربية، وقد أوضح في كتابه تحية القيصر نقولا الثاني إلى جلالته وإلى الحكومة العربية[٤].

ومن هنا أعتقد أن سياسة الحسين منذ قيام مملكته حملت بين ثناياها جراثيم فنائها وهذا ما تمثل في سياسته الداخلية والخارجية. أما بالنسبة للمجال الأول فتمثل في اتجاهاته المتناقضة بين الإقليمية والقومية، أي انفراده بحكم الحجاز ثم اضطراره دون وعي قومي شامل إلى أن يربط ربطا سطحياً بين أمانيه الإقليمية، وبين الأماني القومية العربية حين أعلن نفسه ملكاً على العرب، غير أنه اضطر للتراجع سريعاً عن ذلك اللقب واكتفى بلقب ملك الحجاز كما وضح من قبل، ثم داعبته فكرة أخرى ألا وهي الخلافة الإسلامية فجلبت عليه سخط جهات إسلامية عربية وغير عربية، وفاقم من

(١) موسى، الحركة، ص٢٨٢.

(٢) فريحات، الثورة العربية، ص٢٣١.

(٣) أمين سعيد: أسرار الثورة، ص١٨٠-١٨٥. موسى، الحركة، ص٢٨٢-٢٨٥.

(٤) نفسه.

مواقفها السلبية تجاهه، وقد تجلت في ظرفه العصيب خلال الهجوم السعودي على الحجاز.

ولم يقتصر الاعتراض على انجلترا وفرنسا بل أن عبد العزيز بن سعود عارض خطوة الحسين بدعوى أنها لم تقم على التقاليد الدينية المعروفة والمتبعة، ولكونها تمت دون استشارة المسلمين فضلاً عن اعتقاده بعجز الحسين عن تحمل أعباء الخلافة. واتخذت مصر هي الأخرى موقفاً معارضاً من خلافة الحسين، ودعت لعقد مؤتمر اسلامي يبحث مصير هذا المنصب.

والجهة الأخرى التي عارضت خلافة الحسين كانت جمعية الخلافة الهندية إذ كان بنظرهم خائناً للدين، واحد المتمردين على الخليفة الشرعي (السلطان العثماني) وقد عكست الجماعة الأخيرة هذه المشاعر فيما نسقته من مواقفها مع ابن سعود خلال هجومه على الحجاز كما يتضح.

أما بالنسبة لموقف الحلفاء من خلافة الحسين فكان سلبياً فلم تتوان الحكومة الفرنسية في سورية عن اتباع الإجراءات الكفيلة بإضعاف أي أثر لهذا المنصب في نفس مؤيديه ومنعها لذكر اسم الحسين في المساجد أو التعبير عن مبايعته، فيما اتخذت بريطانيا موقف الحياد والصمت إزاء خلافة الحسين لكونها وحسب رأي الساسة البريطانيين قضية دينية تهم المسلمين ولا مجال للتدخل فيها ذلك أن حيادها يعني تخليها عن حماية الحجاز في وقت تفاقمت فيه مبررات الصدام مع نجد بعد ما عكسه الحسين من السلبيات في مؤتمر الكويت (تشرين الثاني ١٩٢٣م)، وبالتالي إعلانه الخلافه ولعل الأمر يبدو أكثر منطقية حينما تصر بريطانيا على موقفها المسمى الحيادي حتى أواخر أيام المملكة الحجازية وهي في نزعها الأخير.

كانت تلك سلبيات سياسة الشريف الداخلية وآثارها عليه، أما سياسته الخارجية فقد اعتمد على الإنجليز اعتماداً كلياً في وضعه المادي والمعنوي، فوقع في شباك الدسائس الاستعمارية خاصة بين بريطانيا وفرنسا في معاهدة سايكس - بيكو إلى وعد بلفور ثم الانتداب. بالإضافة إلى التواء السياسة البريطانية تجاه البلاد بين مدرستي الهند والقاهرة، وممالأة الأولى للسياسة السعودية ضد الحسين فهيأت سياسة الحسين المتعثرة داخلياً وخارجياً الظروف المناسبة لتحقيق الحلم الوهابي في التوسع غرباً حيث الحجاز وسواحله على البحر الأحمر والقضاء عليه وإنهاء وجوده في الحجاز كما سيتضح.

تطور المملكة الهاشمية سياسياً

بعد أن تم تنصيب الشريف حسين ملكاً على العرب كان لا بد من تنظيم المملكة سياسياً كي تصبح دولة لها كيانها وسيادتها بالطرق الشرعية القانونية فتم تشكيل السلطات الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية) وتأسيس الجيش العربي والشرطة وتصميم علم وشعار المملكة وقيام الأحزاب السياسية.

تشكيل السلطات الثلاث

السلطة التنفيذية: في اليوم الثاني بعد المبايعة وجه الشريف كتاباً إلى الشيخ عبدالله سراج مفتي الأحناف[1] في مكه «أنه لما كانت مصالح الرعايا والنظام وشؤون المجتمع وتوفير العمران لا بد لها من دواوين، يجب عليها النظر في الحكومة وما هو معني بذلك، من مصالح العامة والخاصة ويتعهد أساس الوظائف الذي تبنى عليه

---

(١) القبلة، ع٣١٣، ١١ أيلول ١٩١٩م، ع٣٦٠، ٢٣ شباط ١٩٢٠م، ع٢٥٤، ٨ شباط ١٩١٩م، ع١٥، ١ أيلول ١٩١٦م، ع٢٥٨، ١٩ شباط ١٩١٩م.

المسؤولية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة وبالنظر إلى ما تحققنا فيكم من الكفاءة والاستقامة عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعيينكم وكيلاً عن الوكلاء العظام وقد اخترنا بقية الوكلاء حضرات الذوات الآتية أسماؤهم»[1].

وقد حدد الشريف أسماء الوزراء وجاءوا على النحو التالي: الأمير علي بن الحسين رئيساً للوكلاء، والأمير عبد الله بن الحسين وكيلاً للخارجية، والأمير فيصل بن الحسين وكيلاً للداخلية، والشيخ علي مالكي وكيلاً للمعارف ، والشيخ يوسف بن سالم وكيلاً للمنافع العمومية، والشيخ محمد أمين وكيلاً للأوقاف، والشيخ أحمد باناجية وكيلاً للمالية، وعبد العزيز بن علي المصري رئيساً للأركان رئيس الجند ويرفع برتبة أعلى مما هو فيه، والدكتور نديم وزير الصحة، والشيخ عبدالله السراج منصب قاضي القضاة ووكيلاً عن رئيس الوكلاء[2].

وهكذا شكلت الحكومة الأولى في المملكة العربية برئاسة الأمير علي بن الحسين وقد طلب الشريف في نهاية حديثه الموجه للشيخ السراج أن تعمل الحكومة على خدمة البلاد والمواطنين وتسهر على راحتهم وتحقيق مصالحهم وأن تؤسس الدوائر والدواوين الرسمية ويتم تعيين العمال والموظفين. وتجدر الإشارة الى أن الأميرين علي وفيصل عند تأسيس الوزارة لم يشرفا على وزارتيهما لأنهما كانا في الحرب فالأمير علي بقي محاصراً للمدينة المنورة حتى فتحت عام ١٩١٩م وعين أميراً لها، والأمير فيصل

(١) أمين سعيد، الثورة، ص١٢٦-١٢٧. عضو جمعية سرية، المرجع السابق، ص١١٠-١١١.
(٢) لمعرفة التفاصيل حول تشكيل السلطة التنفيذية، انظر سليمان الموسى، الثورة العربية، ص١٦٠-١٦٥. عضو جمعية سرية، المرجع نفسه، ص١١٠-١١١. محمد عمر، المرجع السابق، ص٧٠-٧١، أمين سعيد، أسرار، ص١٢٦-١٢٧. الصواف، المرجع السابق، ص٢٨٨.

كان قائد الجيش الشمالي المتحرك نحو بلاد الشام حتى حررها وأسس الحكومة الفيصلية الأولى ولم يعد للحجاز إلا عام ١٩٢١م[١].

السلطة التشريعية: تشكلت في نفس اليوم الذي شكلت فيها السلطة التنفيذية، بموجب مرسوم سني من جلاله الملك الشريف الحسين الذي أرسل كتابا إلى الشيخ سراج جاء فيه «بما أننا قد انتسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم مجلس الشيوخ وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال الدواوين والدوائر الرسمية وابداء الرأي فيما تعرضه الدوائر على مقام رئيس الوكلاء وسيقر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي. وقد عالج المجلس بعض القضايا المتعلقة بتدقيق بعض اللوائح القانونية المقدمة من قبل الحكومة، فضلاً عن إصدار قرارات بشأن صلاحيتها بالرغم من ضمان موافقته[٢] فضلاً عن ذلك كانت موافقة الشريف هي الأساس - فكانت الحكومة - كما يبدو من بعض أعداد جريدة القبلة هي التي تتولى إصدار القوانين وتصديقها لكن بعد تصديق الإدارة الملكية عليها دون أن نلاحظ وجود سلطة رسمية واضحة تتولى هذه المهمة. وقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الأجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد الشيبي وأعضاءه حضرات الأفاضل الإجلاء»[٣]، وقد ختم الشريف كتابه بأسماء أعضاء مجلس الشيوخ وهم على النحو التالي:

الشيخ محمد الشيبي (رئيسا)، والسيد عبد الله بن محمد صالح الزواوي (مفتي الشافعية)، والشيخ عابد بن حسين، والشيخ عبد القادر بن علي الشيبي، والسيد إبراهيم بن علي، والسيد محمد بن علوي السقاف، والشيخ عبد الله بن علي رضى،

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٨. عضو جمعية سرية، المرجع نفسه، ص١١٠-١١١.

(٢) القبلة، ع٧٥ آذار، ١٩١٧.

(٣) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٨. أنظر أيضاً: عضو جمعية سرية، المرجع السابق، ص١١٠-١١١.

والشيخ علي ابن عبدون الشرباصي، والشريف حمزة ابن عبد الله النصر، والشيخ أبو بكر بن محمد خويفر، وفتن ابن محسن، وسليمان بن أحمد بن سعيد ناصر بن شكر[١].

وتجدر الإشارة إلى انه لا توجد محاضر اجتماعات لأعضاء هذا المجلس أو تقارير عن معالجته للقضايا التي تدخل ضمن اختصاصه وأعماله. ومن الواضح من طريقة تشكيل المجلس أنه عبارة عن هيئة شورى وليس سلطة تشريعية.

السلطة القضائية: اعتمدت المملكة الحجازية في تطبيقها القوانين على نظام قضائي يستند إلى الشريعة الإسلامية المتمثلة بشكل رئيسي بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية كدستور رسمي للبلاد[٢] واعتبارهما الأساس القوي الذي يمكن عن طريقه تسيير أمور الدولة خلاقاً للقوانين الحديثة التي لم تلق اهتمام المسؤولين وترجيحها[٣].

وقد بقي القضاء في هذا العهد يتبع المذهب الحنفي المعمول به في البلاد من قبل وأصبح مذهباً رسمياً للدولة فضلاً عن وجود مذاهب أخرى في البلاد كالشافعية والمالكية. كما أبقت الدولة على الافتاء الخاص بكل مذهب وعملت على تعيين المفتين في المدن الحجازية كما هو بالنسبة للقضاة. أما بالنسبة لمناصب هذا الجهاز فكان قاضي القضاة أرفع المناصب القضائية في الدولة ويعرف «بحضرة حجة الأمة صاحب الأقبال»[٤]ولذلك فإن وظيفة ومهمة قاضي القضاة - وبحكم منصبه - الاشراف على مجمل شؤون القضاء في الدولة وعملت الحكومة على توزيع القضاة في جميع مدن

---

(١) القبلة، ع١٧، تشرين الأول ١٩١٦م. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٨-١٢٩. محمد عمر، المرجع السابق، ص٢٥٠-٢٨٠. انظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص٧١-٧٤.

(٢) القبلة، ع١١٣، أيلول ١٩١٧. حسين ناصيف: المرجع السابق، ص١١٠.

(٣) نفسه.

(٤) القبلة، ع٢٥٨، شباط ١٩١٩.

الحجاز الصغيرة والكبيرة[1]، على أن يجتازوا اختباراً خاصاً بالأمور القضائية وأمام مجلس خاص يعقد في دائرة القضاة[2].

وأما أنواع المحاكم فقد أشارت جريدة القبلة إلى عدد من هذه المحاكم التي تميزت بالبساطة في التنظيم، وهي المحكمة الشرعية، ومحكمة المواد المستعجلة، فضلاً عن المحكمة التجارية بالإضافة لمحكمة التعزيزات[3].

ومن اختصاصات المحكمة الشرعية وقد اقتصرت واجباتها على الشؤون المتعلقة بقضايا الميراث والتركات لا سيما تركات الحجاج المتوفين أثناء الزيارة وتوزيعها على مستحقيها، شؤون الأوقاف والقضايا المتعلقة بالمبايعات والوكالات ولزيادة أهمية المحكمة أصدر الشريف حسين أوامره بتأليف لجنة تشكل هيئة المحكمة المذكورة، وخصص لها موظفين يهتمون بشؤونها الإدارية كالكتبة والمقيدين بالإضافة إلى موظفين للشؤون المالية لمتابعة القضايا المالية المتعلقة بالمحكمة.

أما محكمة المواد المستعجلة فتهتم بحسم القضايا والدعوات المختلفة والاسراع في تنفيذها وقد شكلت لهذه المحكمة هيئة تضم رئيساً منتخباً وعضوية أربعة أعضاء يتم اختيارهم من بين اثني عشر قاضياً عن طريق القرعة[4] بالإضافة إلى ما ذكر من مهمات فإنها تهتم بـ:

---

(١) القبلة، ع٥٥٦، ٣ كانون الثاني ١٩٢٢، ع٣١٦، ٢٢ أيلول ١٩١٩، ع٨ أيلول ١٩١٦، ع٢٠ تشرين الأول ١٩١٦، ع٣٩ ، كانون الثاني ١٩١٧، ع٥٧ ، شباط ١٩١٧، ع٦٠، آذار ١٩١٧.

(٢) القبلة، ع ،٢٥٠ كانون الأول ١٩١٧.

(٣) لمعرفة أنواع المحاكم انظر إعداد القبلة: ع٥٢٥، ١٣ تشرين الأول ١٩٢١، ع٣٥، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٠، ع٤٠١، ١٩ تموز ١٩٢٠، ع٣٤٣، ٢٥ كانون الأول ١٩١٩، ع٣٢٩، ٦ تشرين الثاني ١٩١٩، ع٤٧٣، ٧ نيسان ١٩٢١، ع٤٧١، ٣١ آذار ١٩٢١، ع٥٥٠، ٩ كانون الثاني ١٩٢٢، ع ٤ آب ١٩١٦، ع٥٦١، شباط ١٩٢٢.

(٤) القبلة، ع ١٧٦، ٢٧ رمضان ١٣٣٦هـ.

النظر في تحقيق القضايا التي لا تتجاوز قيمتها خمسة آلاف قرش من ديون وغيرها والبت فيها بالإضافة إلى النظر في الجرائم والقضايا الجنائية مما كان متعلقاً النظر فيه بالشرطة وإجراء التحقيق فيها ثم رفعها إلى قاضي القضاة لإحالة ما يقتضي منها إلى محكمة التعزيزات الشرعية للحكم بمقتضاها، فضلاً عن النظر في قضايا الزواج والطلاق والخلع والنفقات والمهور، واستثنى من اختصاصها شؤون الأوقاف والمبايعات والوكالات التي انيطت مسؤوليتها بالمحكمة الشرعية. وقد كان على المحكمة تقديم تقرير بالقضايا المثبتة لديها إلى قاضي القضاة للنظر في تنفيذها علماً بأن قرارات هذه المحكمة مساوية لأحكام باقي المحاكم بيد أنها ملزمة بمعالجة القضايا بشكل عاجل وسريع لتحقيق الغرض الذي قامت من أجله ولعل ذلك ما يفسر إعفاء الدولة المعاملات الجارية في هذه المحكمة من الرسوم[١].

والنوع الثالث من المحاكم، المحكمة التجارية فقد شكلت في مدينة جدة بحكم وضعها التجاري، وقد تكونت هيئتها من رئيس وستة أعضاء وكاتب مهمتها النظر في المنازعات والقضايا التجارية القائمة بين الأهالي والأجانب، أو بين الأجانب الذين لا يرغبون مراجعة المحكمة الشرعية[٢]، فضلاً عن معالجتها القضايا المتعلقة بتوزيع ممتلكات الأشخاص المعرضين للأفلاس بموجب حصص المستحقين من الدائنين[٣].

والنوع الأخير من المحاكم محكمة التعزيزات الشرعية والتي تهتم بالتحقيق في الجرائم والجنايات التي تحال لها من قبل قاضي القضاة فقط، والذي يتسلمها بدوره من محكمة المواد المستعجلة لتقرر بشأنها الأحكام اللازمة، والذي يتضح أنها كانت أكثر

(١) القبلة، ٢٣٤، تشرين الثاني ١٩١٨.

(٢) القبلة، ع ،٢٣٣ تشرين ثاني ١٩١٨.

(٣) القبلة، ٤٠٥، ١٢ آب ١٩٢٠.

ارتباطاً بجهاز الشرطة منها بالقضاء دون أن نعثر على معلومات إضافية عن هذه المحكمة.

ويبدو أنه كانت للبدو طرق خاصة في المحاكمة محل احترام وتحظى باهتمام الشريف حسين دون أن تخضع لقوانين المحاكم التي ذكرت، فالنزاع القائم بين أفراد القبيلة الواحدة يوكل التحكيم فيه إلى أحد أفراد القبيلة بعد أن يتم اختياره حيث يكون له الحق في حسم القضية، هو ما يعرف في وقتنا الحاضر (بالقضاء العشائري) أما فيما يتعلق بالقضايا والنزاعات بين القبائل فإنها تحال مباشرة للشريف حسين لمعالجتها والبت فيها.

ولأهمية القضاء فقد أنشأت الحكومة الحجازية مدرسة خاصة لتخريج القضاة وقد عرضنا لها من قبل في مجال التعليم.

ويلاحظ أنه كان يوجد تداخل بين السلطات الثلاث فنجد أن الشيخ عبد الله سراج وكيل لرئيس الوكلاء في السلطة التنفيذية وهو نفسه الذي عمل على تشكيل المجلس ونفسه يحمل لقب قاضي القضاء، ويعتبر الشريف حسين المجلس التشريعي أساساً للديمقراطية والعدالة اللتين ستسير عليهما الدولة فيما بعد، هذا وقد تم تعيين أعضاء المجلس من قبل الشريف وبناءً على رغبته[1].

الجيش العربي

بدأ الشريف حسين بتأسيس الجيش العربي للحفاظ على أمن المملكة داخلياً وخارجياً، وكانت القوات العربية التي وجدت في عهد الإمارة نواة للجيش العربي في

---

(١) القبلة، ع٢٥٧، ١٦ شباط ١٩١٩م، ع٩١، ٩ تموز ١٩١٧م، ع٢٠٤، آب ١٩١٨م، ع٢٨١، ٣ مارس ١٩١٩، ع١١٣، أيلول ١٩١٧م.

عهد المملكة، فبدأت الدولة بالاهتمام بالجيش من حيث تدريبه تدريباً عصرياً وتسليحه تسليحاً عسكرياً حديثاً، ومن هنا رأت القيادة الهاشمية أن مسؤولية تدريب وتأسيس الجيش تعتمد على الضباط والجنود العرب الذين وقعوا أسرى بيد الإنجليز في حروبه في فلسطين والعراق، فطلب الشريف من الإنجليز إرسال الأسرى العرب من معتقلاتهم للقيام بهذه المهمة، وقد وصلت الدفعة الأولى منهم مكونة من تسعة عشر ضابطاً وثلاثمائة جندي تعود أصولهم إلى العراق وسوريا وفلسطين ومصر[١].

وإثر انهزام القوات التركية في الحرب العالمية الأولى تخلى ضباط وجنود عرب عن الخدمة في الجيش التركي ليلتحقوا بالجيش العربي، نذكر منهم نوري السعيد عراقي الأصل، وراسم السردس سوري، ومحمد حلمي عراقي، ورؤوف عبد الهادي فلسطيني، وإبراهيم وجميل الراوي، ورشيد الهاشمي عراقيون[٢]، ومن الضباط المصريين عزيز علي المصري الذي تولى وزارة الحربية[٣].

وعلى هذا الأساس تشكلت أربعة جيوش معظم منتسبيها من العربان والبدو، مزودين بجميع الأسلحة التي غُنمت من القوات التركية، وأسلحة من الحكومة البريطانية، وهذه الجيوش هي[٤]: جيش الشمال برئاسة الأمير فيصل، قاعدته منطقة بير سعيد، وجيش الجنوب برئاسة الأمير علي مقره رابغ، وجيش الشرق بقيادة الأمير عبد الله مقره العيص وشرق المدينة، وجيش الوسط بقيادة الأمير زيد، وهو احتياطي لكل الجيوش.

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٨-١٢١.

(٢) نفسه.

(٣) موسى، الحركة العربية، ص٢٩٣.

(٤) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٢. موسى، الحركة، ص٢٩٦.

وقد صنفت القوات العربية إلى عدة أقسام[1] منها القوات البرية والجوية والبحرية أما القوات البرية فقد صنفت إلى قوات نظامية وهي القوات الرئيسية في الجيش وصدرت ضمن قانون تشكيلات الجند الذي صادق عليه مجلس الوزراء وأقره الشريف حسين وقسمت هذه القوات إلى خمسة أقسام هي: قوات المشاة، وقوات المدفعية، وقوات الرشاش، وقوات الفرسان، وقوات الهجانة والصحة العسكرية وكان لكل قوة من القوات المذكورة اختصاص وعمل خاص بها.

والنوع الآخر من القوات هي القوة الجوية وهي بسيطة واسمية تمثلت بعدد قليل جداً من الطائرات القديمة التي خلفتها الحرب العالمية الأولى، والتي لم تكن مزوده بالسلاح أو المعدات القتالية الكافية وكانت لهذه القوة رئاستها الخاصة المنوطة بها حيث يعرف رئيسها (ناظر الجوية) كما كانت لها مراتب عسكرية متعارف عليها في قوات المشاة كملازم أول وملازم ثانٍ طبقا لما أوردته جريدة القبلة في هذا المقام.

والنوع الأخير من القوات العربية القوة البحرية وهي لا تختلف من حيث بساطتها وحجمها ودورها عن القوة الجوية لكنها احتوت على بعض الزوارق الشراعية الخاصة بالاستخدام البحري التجاري مع أربع بواخر من النوع الصغير وهي (رشدي) و(الطويل) و(رضوى) و(الرقمتين) كانت الحكومة قد ابتاعتها من الخارج ولم يكن لهذه البواخر قوة قتالية لكنها زودت ببعض المعدات الحربية كالمدافع الجبلية الصغيرة وبعض الرشاشات، كما أطلق على مسؤول القوة البحرية العسكرية لقب (ناظر البحرية) ولها من المراتب ما يماثل مراتب القوات البرية، كضابط البحرية وأفرادها وهكذا.

---

(١) لمعرفة التفاصيل حول التشكيلات العسكرية في الحجاز، انظر أعداد القبلة: ٢٢٨، ٣ تشرين الثاني ١٩١٨، ٢٢٩، ٦ تشرين الثاني ١٩١٨، ٢٣١ تشرين الثاني ١٩١٨.

أما الجهاز الإداري للجيش والذي وضعته وكالة الحربية في الحكومة الحجازية والتي تعني بتسير دفه الشؤون الإدارية فهي:

الأركان الحربية العامة وتضم رئيس الأركان ومرافق الرئاسة بالإضافة لشعبة المعاملات وتنقسم إلى مدير الشعبة والملحق والكاتب وكذلك شعبة المحاسبات والتي تضم رئيس المحاسبات العامة وعدداً من الأعضاء بالإضافة لشعبة الأوراق والتي تضم مدير الأوراق ومعاونه، وشعبة الصحة وتضم رئيساً وأربعة أعضاء بالإضافة للمحكمة العسكرية والتي يترأسها رئيس الصحة وطبيب أول فضلاً عن مستودع للأرزاق يضم مديراً ومعاوناً وكاتباً إضافة إلى مستودع للتجهيزات العسكرية يضم مديراً ومعاوناً وكاتباً والنوع الأخير في التشكيلات الإدارية العسكرية هيئة الاحضارات التي تضم رئيساً وأربعة أعضاء[١].

أما وسائط النقل والمخابرات، فكانت هناك الوف من الجمال والبغال والخيل المخصصة لهذا الغرض، فضلاً عن بعض السيارات الصالحة للسير في الرمال، فيما كانت المخابرات تتم عن طريق اسلاك البرق والتلفون المتوفرة، فضلاً عن الأساليب العسكرية القديمة في استخدام بعض الإشارات المتعارف عليها بين وحدات الجيش والمصطلح عليها في المصابيح والإعلام والنيران بين القطاعات المرابطة في المواقع المختلفة[٢].

وفيما يتعلق بأرزاق الجيش فكان يقدم للجند النظامي الأرز المطبوخ باللحم والسمن وأرغفة من الخبز وشيء من التمر والزيتون، بينما يوزع على العربان الدقيق الأبيض والسمن والأرز والزيتون[٣] لما لهم من دور كبير ومهم في خدمة القوات

(١) القبلة، ع٣٢٣، ١٦ تشرين الأول ١٩١٩، ع٣١٩، تشرين الأول ١٩١٩.
(٢) القبلة، ع ٤٦ كانون الثاني ١٩١٧.
(٣) نفسه.

العربية في وقت السلم والحرب واعتماد الشريف عليهم في تثبيت حكمه وإحكام سيطرته على البلاد، ومن ضمن اهتمامات الشريف بتطوير الجيش إنشاء المدرسة الحربية[1] التي عرضنا لها من قبل.

الشرطة

عهدت حكومة الحجاز مهمة حفظ النظام في الداخل إلى جهاز الشرطة الذي قامت بتشكيله بصيغته النهائية في قانون الشرطة الذي وضعته في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ (شباط ١٩١٧م)، حيث أصبح بموجبه تشكيل أجهزة للشرطة في مختلف المدن الحجازية، وبما يتناسب وحجم المدينة والظروف التي تتطلب ذلك[2] على أن يناط تقدير ذلك إلى وزارة الداخلية.

وكان مرجع أجهزة الشرطة في المدن الحجازية[3]، حاكم المدينة بينما كان ارتباط مدير شرطة العاصمة بوزارة الداخلية مباشرة، وهي نفسها (الوزارة) التي تتمتع بصلاحية تعيين أو عزل مدراء الشرطة في المدن وفقا لما ترتئيه من شروط الكفاءة

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١٢٢. محمد عمر، المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٢) كانت مديرية شرطة العاصمة كما أطلق عليها، أكبر المديريات بطبيعة الحال باعتبارها الدائرة المركزية وكانت لها مراكزها الموزعة على حارات العاصمة، ونفس الشيء بالنسبة لشرطة المدن الأخرى حيث كانت في المدينة مواقع معينة لمفارز الشرطة ولو بشكل أصغر. أنظر قانون شرطة الحكومة العربية الهاشمية. في جريدة القبلة، العدد٦٠، آذار ١٩١٧، العدد ٤٠٣، ٢٦ تموز ١٩٢٠.

(٣) كانت لكل مدينة إدارة أو مديرية شرطة خاصة بها يتولى أمرها رئيس الشرطة مع كاتب خاص بدائرته يطلق عليها (كاتب الشرطة). أنظر القبلة، العدد ٣٩، كانون الثاني ١٩١٧، العدد ٥٧، ٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ شباط ١٩١٧، العدد ٢٣،٣٦٠ شباط ١٩٢٠.

والمقدرة. في حين أنيط قبول الأفراد في جهاز الشرطة بمجلس خاص يعقد برئاسة حاكم المدينة، وعضوية كل من رئيس البلدية وقائد الحامية فيها[١].

أما واجبات جهاز الشرطة فكانت مقسمة إلى قسمين، قسم يتعلق برؤساء الشرطة، والقسم الآخر بأفرادها. أما أهم واجبات رؤساء الشرطة فكانت تنحصر بضبط النظام في وحدات الشرطة، والأمور المتعلقة بواجباتهم ووظائفهم، كما كان من صلاحياتهم تسوية النزاعات القائمة بين الباعة، وقضايا السوق التي لا تتجاوز قيمتها العشرين قرشاً، فضلا عن حبس المتنازعين، وإحالة ما يستعصي حله من القضايا إلى المراجع العليا، بالإضافة إلى منعهم السرقات والقبض على السكارى والمخلين بالآداب. وكان على رئيس الشرطة أن يرفع تقريراً يومياً إلى حاكم البلدة بالحوادث المتعلقة بدائرته[٢] للاطلاع عليها. ومع ما تقدم من الصلاحيات بالنسبة لمدراء الشرطة، فإن الأخيرين كانوا غير مخولين بحبس الأهالي إلا في ضوء ما تقدم من تعليمات، أما فيما عداها فكان عليهم مراجعة حاكم البلدة لتنفيذ الحكم إذا اقتضى الأمر ذلك، كما حظر على مدير الشرطة ضرب الأشخاص أو الأمر بتنفيذ ذلك، وخلاف ذلك يحال إلى محكمة خاصة تتمثل بهيئة تضم معاون حاكم المدينة رئيساً وعضوية كل من وكيل ماليتها، ورئيس كتاب المحكمة الشرعية فيها، وفي حالة غياب معاون حاكم المدينة، ينوب عنه قائد حاميتها رئيساً للمحكمة[٣].

أما الواجبات الملقاة على عاتق أفراد الشرطة، فلم تكن تتعدى واجبات الشرطة الاعتيادية كمنع الجرائم والمشاجرات ومراقبة تنفيذ الأوامر الحكومية ومساعدة

---

(١) القبلة، العدد ٦٠ آذار، ١٩١٧ وقد ذكرت أن لحاكم البلدة صلاحية توزيع مفارز الشرطة في المواقع التي تقتضي ذلك، علما أن كل مفرزة شرطة كانت تحت إمرة ضابط صف واحد.

(٢) العدد نفسه.

(٣) القبلة، العدد ٦٠ ، آذار ١٩١٧.

الأجهزة الحكومية المختلفة[1]، على أن يراجع أفراد الشرطة ـ قبل قيامهم بأي إجراء خلال الواجب ـ جهات الشرطة العليا في المنطقة[2].

ومن الطبيعي أن تكون هناك عقوبات رادعة للمخالفات التي يرتكبها الشرطة، كإهمال الواجب أو الرشوة أو غير ذلك على أن تتولى محاكمة المذنب ومعاقبته الهيئة السالفة الذكر، فضلا عن صلاحيتها في عزل الشرطي من وظيفته حال توفر المسببات دون أن يكون لمدير الشرطة أية صلاحية في ذلك[3].

ولقد نظمت في كل مركز من مراكز شرطة المملكة دفاتر خاصة بأسماء منتسبيها منذ بدء خدمتهم، بالإضافة إلى أسماء الملتحقين الجدد. كما كان لكل موقع من مواقع مراكز الشرطة كشوفه الخاصة برواتب أفراده مع كشف آخر بأفراد الشرطة السرية. وكانت هذه الكشوفات من نسختين واحدة لموقع الشرطة لاستخدامها عند الحاجة وأخرى لهيئة الإدارة المركزية التي تشكل في وزارة الحربية للتدقيق في الرواتب المدفوعة لأفراد الشرطة[4]، والملاحظ أن الحكومة كانت تقوم بتوزيع هذه الرواتب بعد تصفية

---

(١) كانت شرطة العاصمة وللضرورات التي تقتضيها مناسبات الحج، قد شكلت إدارة خاصة من الشرطة للعناية بأمر الحجاج ومصالحهم وتسليمهم مفقوداتهم وسميت هذه الإدارة، «إدارة شرطة المسجد الحرام» ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الإعلانات الصادرة عن هذه الدائرة في موسم الحج. القبلة، العدد ٤٠٧، ٩ آب ١٩٢٠، العدد ٥٦٢، ٢٠ شباط ١٩٢٢، العدد ٥٧٤، ١١نيسان ١٩٢١، العدد ٥٨٨، ٢٢ آذار ١٩٢٢.

(٢) القبلة، العدد ٦٠، آذار ١٩١٧.

(٣) العدد نفسه.

(٤) وقد وضع سجل شامل خاص بجميع حسابات المبالغ المتعلقة بهذه الرواتب وكشوفاتها، ويحفظ هذا إلى جانب السجل العام الخاص بأفراد هذا الجهاز في الإدارة المركزية، كما وضع سجل آخر خاص بجميع المصاريف المنفقة على المواقع المختلفة للشرطة. وترسل هذه السجلات الى وزارة المالية لتحفظ هناك، على أن تبقى الإدارة المركزية في العاصمة، المركز الذي يمكن مراجعته في مجمل شؤون الحسابات. أنظر: القبلة، العدد ٦٠، آذار ١٩١٧.

عامة باحتياجات كل مركز فيها بما في ذلك خصم كافة الاستقطاعات المترتبة على رواتب الشرطة، وفرزها لتترك في خزينة الدولة لتتولى وزارة المالية أمرها[١].

علم المملكة الحجازية وشعارها

قررت القيادة الهاشمية وضع علم رسمي خاص بمملكتها مكون من الألوان التالية[٢]:

- **الأبيض**: يمثل راية الدولة الأموية.
- **الأسود**: يمثل راية الرسول صلى الله عليه وسلم (العقاب) وهو علم الدولة العباسية.
- **الأخضر**: ويمثل علم الدولة الفاطمية.
- **العنابي**: يمثل علم الشريف أبي نمي، وهذا اللون جامع لأطراف الألوان الثلاثة، وقد أصبح هذا العلم معتمداً ومعترفاً به في جميع دول العالم.

أما فكرة العلم فتعود إلى المنتدى الأدبي[٣] الذي عقد في اسطنبول عام ١٩٠٩ ـ ١٩١١م حين بحث شبان عرب كيفية تشكيل علم قومي للأمة العربية، وقرروا أن تكون ألوان علم المملكة العربية المستقلة ثلاثة: الأبيض والأخضر والأسود، وقد بقي العمل بعلم الثورة العربية حتى عام ١٩١٤م، وبعد إعلان المملكة أضيف اللون الأحمر

---

(١) كانت الحكومة ولتعدد العملات المتداولة في البلاد توزع رواتبها بما يتماشى وقيمة النقود وواقع أسعارها ومن هنا كانت تتنبه الى هذه الناحية قبل توزيع الرواتب. القبلة، العدد ٦٠، آذار ١٩١٧.

(٢) جريدة القبلة، ع٨٢، ١٩١٧م، حسين نصيف، المرجع السابق، ص١٠٤-١٠٥.

(٣) توفيق السويدي، مذكراتي بنصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، دار الكاتب العربي، مطابع دار الغد، بيروت ، ط١، ١٩٦٩م، ص٢٤.

العنابي، وهذه الألوان تعد جامعة لرموز الاستقلال العربي في كل أدواره التاريخية[1]، أما شعار الدولة فقد اتخذ من مسجد أبي قبيس شعاراً له[2].

الأحزاب السياسية

اهتم الشريف حسين ومنذ تأسيس مملكته بالشورى، باعتبارها أساس الحكم، ونتيجة للظروف المحيطة بالمملكة وأهمية قيام الأحزاب فقد أسس أول حزب سياسي علني سمي (الحزب الوطني الحجازي) في جدة برئاسة محمد الطويل، ومحمد طاهر الدباغ سكرتيراً، وعضوية كل من سليمان قابل، وقاسم زينل، وعبد الله رضا، ومحمد ناصيف، ومحمد صالح ناصيف، وعلي سلامة، وصالح شطا، وعبد الرؤوف الصبان، ومحمود الشلهوب، والشريف شرف بن راجح، وماجد كردي[3]، وقد تركزت أهداف ومبادئ الحزب على الإخلاص والتفاني للدولة، وإدارة البلاد بطريقة دينية، وظل الحزب يعمل بصورة فعالة حتى سقطت المملكة الحجازية في يد ابن سعود[4].

الصدام مع عبد العزيز آل سعود وخروج الشريف من الحجاز

كانت لآل سعود علاقة تربطهم بشريف مكة لا سيما الأمير عبد العزيز الذي كان له تأثير كبير على مجمل الأحداث التي وقعت في الجزيرة العربية قبل وبعد الحرب العالمية الأولى، لكن لظروف كثيرة وعديدة تغيرت هذه العلاقات لا سيما في فترة

---

(١) موسى، الحركة العربية، ص١٣٥-١٤٠، حسين نصيف، المرجع السابق، ص١٠٥.
(٢) محمد عمر، المرجع السابق، ص٢٦٦. حسين نصيف، المرجع نفسه، ص١٠٢-١٢٠.
(٣) هنادي، المرجع السابق، ص٧٩ . انظر حسين نصيف، المرجع السابق، ص١٣٢-١٤٠.
(٤) عبد القدوس الانصاري، تاريخ، المرجع السابق، ص١٨٠-١٩٥.

العثمانيين وإبان حكم الشريف إمارة الحجاز عام ١٩٠٨م عندما استعان العثمانيون بالشريف كي يثبت حكمهم وسيطرتهم على ابن سعود وابن رشيد بمساعدة قبيلة عتيبة التي تكن العداء لابن سعود الذي كان يفرض عليهم الزكاة. ففي البداية لبى الشريف كل النداءات لا سيما المتعلقة بالدولة العثمانية، وأكد أنه يجب الدفاع عن الدولة العثمانية بقوله «على كل مسلم تقوية خليفة المسلمين ولو بعقال بعير»[١] ودارت بين الشريف وابن سعود رسائل ومباحثات عديدة انتهت بتوقيع ابن سعود معاهدة ولاء وطاعة للشريف والدولة العثمانية عام ١٩١٠م.

لكن ابن سعود لم يقف ساكنا تجاه الأحداث التي تدور من حوله، فكان عازما وبشكل فعلي على توسيع حدود إماراته ولو على حساب أراضي الامارات المجاورة له بما فيها إمارة الحجاز، لذا أرسل مع أخيه محمد بن عبد الرحمن قوة عسكرية أغارت على قبائل عتيبة الموالية للشريف.

وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ الخلاف والعداء يزداد بينهما، لا سيما على الحدود المشتركة لنجد والحجاز بسبب المشاكل التي اندلعت في كل من واحتي تربة والخرمة، حيث أخذت تدريجياً شكلا خطيرا، تحمل الشريف حسين قسطه الأكبر. وترجع المشاكل الأخيرة التي فجرت الموقف إلى تنامي التعاليم الوهابية عند الحدود المشتركة بينهما، واعتناقها من قبل بعض سكان المنطقة، يأتي في بدايتهم الشريف (خالد بن لؤي) أمير واحة الخرمة، إذ اعتنق الوهابية ولم يتخل عنها رغم اعتقاله من قبل الشريف حسين عدة شهور، فما كاد يصل الواحة بعد إطلاق سراحه، حتى شرع في تصعيد نشاطه للوهابية[٢]. وكتب إلى الشريف حسين يعلمه باستقلاله، وعزمه على طلب الحماية من ابن سعود. وعلى ذلك بدأ في حشد أتباعه من قبائل عتيبة، وتعزيز مواقعه في

---

(١) محمد جميل بيهم، المرجع السابق، ص٣٠.

(١) عطار، المرجع السابق، ص ١٠٠- ١٢٠. أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص ٧٠-٩٠.

المنطقة[1] وسرعان ما أصبحت الخرمة مركزاً للدعوة الوهابية وأخذ دعاتها من أتباع ابن سعود بنشرها بين القبائل المجاورة بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى الأمر الذي دفع بالشريف حسين في آذار ١٩١٨م إلى تنبيه ابن سعود ومعاتبته، والدعوة لترك قبائل عتيبة وشأنها مع تعهده بتجنب ما يضر بمصالح ابن سعود. ولم يكتف الشريف حسين بذلك بل عمد إلى التثبت من صحة التحركات وأرسل بطلب خالد بن لؤي بالقدوم إلى مكة، لكنه اعتذر متذرعا بأسباب تقتضي بقاءه.

وأرسل الشريف له قاضيا لتقصي الحقائق إلا أن خالدا عمد إلى إرجاع القاضي بحجة تدخله في شؤون خارج اختصاصه[2]، كما أوضح ذلك برسالة بعثها مع القاضي إلى عبد الله سراج نائب رئيس الوزراء، غير أن الشريف حسين وبعد تيقنه من أوضاع الخرمة عن طريق الأخبار التي نقلها القاضي، بعث مؤكدا على خالد بالمجيء. فلم يُلبِّ الأخير الدعوة، لكنه أعلن استقلاله[3] من جديد وعمل على اعتقال عمال الشريف حسين الذين جاؤوا لجمع أموال الزكاة من سكان الواحة، ورداً على ذلك عزله الشريف من منصبه وعين بدلا منه ابن عمه إلا أنه اعتذر عن ذلك، فاضطر حينها الشريف لاستخدام القوة، وأبلغ الكولونيل ولسن (المعتمد البريطاني في جدة) في ١٣ آذار ١٩١٨م بالاعتداءات الوهابية ومطالبتهم سكان المنطقة بدفع الزكاة، لتكون الحكومة البريطانية على علم بذلك، بعد أن أعرب عن عزمه احتلال الواحة ورغبته في تأييد بريطانيا له[4].

---

(١) عطار، المرجع نفسه. أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص ٧٠-٩٠.

(٢) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٣١٥.

(٣) أمين سعيد، الدولة السعودية، ص ٨٢. عطار، المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

(٤) وهيم، المرجع السابق، ص ٣٠٠.

نفذ الشريف حسين ما عزم عليه وشرع بإرسال حملة عسكرية في أوائل حزيران ١٩١٨م، وألحقها بثانية وثالثة باءت جميعها بالفشل[1] واندحرت على يد خالد بن لؤي، الأمر الذي كان له أثره في نظرة عشائر المنطقة التي التفت حول خالد طمعا في الكسب والغنيمة، أما موقف ابن سعود من هذه الحملات، فمع رغبته بقتال الشريف إلا أن التزاماته تجاه بريطانيا كانت تحول دون ذلك[2]، لا سيما أن فيلبي كان يراقب حركاته ويحذره من أي عمل عدائي ضد الشريف لما فيه من خرق لاتفاقياته مع بريطانيا (اتفاقية العقير)، فضلا عن النتائج السيئة المترتبة على ذلك.

وعلى أية حال فإن الهزائم التي تلقتها القوات الحجازية في الخرمة وما قد يترتب عليها من صدمات عسكرية كانت أقوى وأشمل، وقد دفع بريطانيا في توجيه حلفائها باتجاه العدو، في تموز ١٩١٨م، إلى إسداء النصيحة للحاكمين (الشريف حسين وابن سعود) بتجنب خلافاتهما، وعرضت وساطتها لمساعدتهما في حل الخلاف عن طريق المفاوضات والمباحثات[3]. فأبرقت إلى السير ونجت برسالة تضمنت هذه الدعوة ليقوم بدوره بالتأكيد على الشريف حسين بضرورة ضبط النفس والحكمة السياسية، نظرا لما في صدامه مع أمير نجد من ضرر على مصالحه ومصلحة القضية العربية، ودعوته للاعتماد على المساعي البريطانية في إحلال السلام بين الحاكمين. لكن الشريف لم يرق له هذا الموقف لاعتقاده بسوء نوايا بريطانيا تجاهه، وميلها لابن سعود إذ أن التجاهل حيال حركة ابن لؤي يقود إلى استفحالها وانضمام الكثير من القبائل إلى جانبه. إلا أنه مضى في موقفه وتجاهل النصائح الأخيرة ووجه تحذيراته في ٢٠ تموز ١٩١٨م إلى

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٣١٥. عطار، المرجع نفسه، ص ٢٠٩. أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٧٥-٩٠.

(2) Philby ،Arabia ،p. 258.

(٣) وهيم، المرجع السابق، ص٣٠٤.

أهالي الخرمة من التواطؤ مع ابن لؤي، لتبعية المنطقة بما فيها الأخير لسيادته[١]. وتمادى الشريف في موقفه وأخذ يهاجم ابن سعود ويتهمه بإمداد الثائرين بما حصل عليه من المنهوبات التي سلبها من قبائل ابن رشيد، بل إنه هاجم الوهابية كمعتقد مناف للتعاليم الإسلامية، وأكد رده الحاسم على التحرشات الأخيرة التي جرت عند الحدود[٢].

وفي الوقت الذي استمر الشريف على موقفه الأخير، كانت الأحداث في الجانب الآخر من الجزيرة تتجه هي الأخرى نحو الأسوأ، فقد اتصل ابن لؤي وأتباعه بابن سعود في منتصف آب ١٩١٨م، وناشدوه مساعدتهم، لاحتمال قدوم حملة عسكرية حجازية أخرى[٣] وشددوا في طلبهم هذا من جديد للدفاع عن الوهابية وناشدوه القدوم بنفسه. فجاء رد ابن سعود بأنه سيساعدهم وسيلبي دعوتهم إذا ما تكررت الهجمات الحجازية. في الوقت الذي رفع فيليبي بدوره هذه التطورات إلى حكومته ومن أن أي هجوم آخر من قبل الشريف من شأنه أن يخلق المشاكل في الجزيرة العربية[٤].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان الأمر يقتضي أن تعيد بريطانيا النظر بسياستها مع حلفائها من الحكام العرب فليس من المعقول أن تنظر إلى خطورة النزاع الحجازي النجدي كالسابق بحكم مصالحها في المنطقة رغم أن ذلك لا يعني تخليها كليا عن الشريف حسين إذ ما زال الناطق الرسمي باسم العرب، ولم يمض على انتهاء الحرب عدة شهور، وما زال المستقبل بحاجة إليه. ولعل ذلك ما يفسر خمول أو غموض الموقف الذي أخذت تبديه حيال النزاع المذكور، واحتجاج الشريف واتهامه لها بمحاباة ابن سعود فمع إقرار السير (ونجت) القتال بين الطرفين إلا أنه رأى ـ وفي

(١) القبلة، ع ٢٠٢، ٢٤شوال ٣٣٦/ آب ١٩١٨، ع٢٣٢، ٢٠ صفر ١٣٣٧/ تشرين الثاني ١٩١٨، ع ٢٣٥، كانون الأول ١٩١٨.

(٢) القبلة، ع٢٣٦، كانون الأول ١٩١٨.

(3) Philby Arabia. P.258.

(4) philby Arbian Jubiliee.p59.

ضوء متطلبات السياسة البريطانية ـ تأجيلها قدر الإمكان وإبقاء قوات الحاكمين عند (خرمة) دون صدامها لثقة بريطانيا بضعف مقاومة الشريف السعوديين، الأمر الذي قد يدفعها إلى الوقوف بجانبه نظرا لكون الشريف ما زال حاميا للأماكن المقدسة وهو أمر من شأنه أن يحوز على قناعة الهند[١].

وفي ضوء تطور الأحداث بين الحاكمين (الشريف وابن سعود) لا سيما بعد وصول الأنباء عن احتدام النزاع قررت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر في منتصف آذار ١٩١٩م لبحث القضية المتعلقة بالشرق الأوسط ومن جملتها مشكلة الخرمة التي شدد الشريف طلبه في حسم قضيتها لصالحه، وهدد بمهاجمة الواحة حال رفض طلبه فقد أوضح اللورد (كرزن) وزير الخارجية البريطانية لدى افتتاحه المؤتمر الذي عقد في وزارته ودعت فيليبي لحضوره عزم حكومته على مساعدة الشريف والوقوف بجانبه. وأوضح أن المشكلة هي مشكلة سياسية لا مشكلة القضية نفسها[٢]. كما أفصح عن وجهة نظر وزارته السياسية في المنطقة بقوله إن السياسة البريطانية في جميع المسائل والقضايا العربية سياسة حسينية (أي مناصرة الشريف حسين) الأمر الذي يبرر ضرورة الامتناع بانتصار الشريف حسين - في الوقت الحاضر ـ حالة صدامه مع ابن سعود، إذا ما حسمت مشكلة الخرمة لصالحه وإلا فإن العواقب ستكون خطيرة[٣].

وقد حظي كرزن بتأييد معظم الحاضرين، حينما طلب رأيهم بوجهة نظره، لاعتقادهم أن شرذمة من السعوديين الحفاة عاجزون عن الوقوف أمام القوات الهاشمية المدربة والمجهزة بأسلحة بريطانية، فكان هذا رأي الوزارة والمكتب العربي المرتبط بها طبعا، إلا أن هناك من كان يعارض هذا الاعتقاد متمثلا بحكومة الهند التي

---

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(2) Philby. Arabian days. P.176.

(3) Ibid.

كان ينوب عنها في المؤتمر فيلبي وقد انتقدهم وبين لهم افتقارهم للمعلومات الكافية عن قدرات السعوديين وحذر من تطور الأمر إلى صدام وهذا ما سيتم حتماً، إذا ما تمادت السياسة البريطانية في موقفها السلبي تجاه ابن سعود، إذ أن السعوديين سينتصرون لا محالة على القوات الهاشمية دون أية صعوبة، إلا أن المؤتمر صوت بالأكثرية لرأي اللورد (كرزن). وعلى هذا خول المؤتمر الشريف رسميا باحتلال منطقة النزاع لا سيما واحة الخرمة، بما في ذلك إبلاغ ابن سعود بهذه الصلاحية، وإنذاره بقطع الحكومة إعاناتها المالية عنه إذا ما أبدى أية مقاومة وأكد كرزن إصداره الأوامر مباشرة بهذا الشأن[١].

وقبل أن ينهي (كرزن) المؤتمر ارتأى الاستفسار من فيلبي عن موقف ابن سعود عند تسلمه هذه الأوامر فأجاب فيلبي ـ الذي كان متأكدا كما يبدو ـ أن ابن سعود سيحشد قواته حال سماعه بهذه الأوامر دفاعا عن الخرمة التي كان قد وعد أهلها بذلك سواء قطعت عنه الإعانات أو لا، منوها إلى النتائج التي سينتهي إليها هذا الصدام والتي أشار إليها في بداية الإجتماع، غير أن هذه المحاذير لم تغير ما أقره المؤتمر وانفض على ما اتفق عليه من تسوية[٢].

باشر الشريف حسين وبعد الإقرار البريطاني الأخير بإعداد حملة جديدة - بقيادة صهره ووزير داخليته حينذاك عبد الله بن محمد يرافقه الشريف شاكر بن زيد ـ شاركت فيها قوات من القبائل. ولم يكتف الشريف حسين بذلك بل وجه ابنه الأمير عبد الله بقواته من الطائف بعد فتحه المدينة في كانون الثاني ١٩١٩م ـ للالتحاق بالحملة الأولى التي أمر بتوقفها لهذا الغرض، وللاجتماع به أيضاً قبل الدخول في المعركة الفاصلة. وفي الاجتماع الذي عقده الحسين مع ابنه وصهره ومشايخ قواته في

---

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(2) Philby. Arabian days. P.177.

منطقة العشيرة[1]،تم إقرار الخطة التي رسمها الشريف حسين والقائمة على إخضاع القبائل الخارجة بمن فيهم خالد بن لؤي وبسط سيادته على المنطقة[2].

لم يكن ابن سعود بغافل عن التطورات الأخيرة، وسارع إلى إبلاغ السلطات البريطانية في البحرين التي أبلغت بدورها الحكومة البريطانية بخطورة الموقف على الحدود، الأمر الذي دفع بالأخيرة رغم إقرار مبدأ تبعية الخرمة للشريف إلى تلافي الموقف واتصلت بمعتمدها في جدة (الكولونيل ولسن) ليبلغ الشريف رسالة حكومته التي ضمنتها الإرشاد والنصح بالتريث فيما عزم عليه والاقتراح بانسحابه إلى الطائف حيث يوافيه ابن سعود للتفاهم وانهاء الخلاف. إلا أن الشريف حسين لم يرتح لهذا الموقف وصمم على القتال ومتابعة فتح المناطق، ورد حسين روحي سكرتير المعتمد البريطاني - الذي سلمه كتاب الحكومة خلال وجوده في العشيرة ـ ردا قاسيا على مسمع من الحاضرين: «اذهب وقل لهم إنه لا حق لهم بالتدخل في شؤوننا الداخلية فنحن أحرار نفعل ما نريد»[3]. فضلا عن ذلك لم يتمكن الأمير عبد الله، الذي لم يكن راغبا في القتال من إقناع والده في العدول عن الحرب أو تأخير موعدها على الأقل وتجاهل الشريف حسين التحذيرات البريطانية عن قوة الوهابيين وتعصبهم، والهزائم السابقة التي تكبدتها قواته، بل شجعته الأسلحة التي حصل عليها بعد فتح المدينة عام ١٩١٩م، فكان واثقا من النصر، وهدد ابنه عبد الله بالتنازل عن الحكم إذا امتنع عن تنفيذ أوامره[4].

---

(١) العشيرة: منطقة تقع على بعد ٢٠٠ ميل جنوب المدينة المنورة و٧٥ ميلاً شرق مكة. أنظر: وهيم، المرجع نفسه، ص ٣٠٩، الهامش.

(٢) عطار، المرجع السابق، ص ٢١٥. أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٣. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٣١٥.

(٣) أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٤. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٣١٦.

(٤) عبد الله بن الحسين، مذكراتي، ص ١٩٨-٢٢٠.

وجدير بالذكر أن الأمير عبد الله كان قد راسل ابن سعود بعد فتحه المدينة وأبلغه بسقوطها. وانصراف الدولة إلى مشاكلها الداخلية وتأديب مثيري الفوضى قاصدا بذلك ابن لؤي وأتباعه ولم يبخل ابن سعود بدوره بالتهنئة لاحتلال المدينة مهيبا إياه للتوسط في تسوية الخلاف مع والده[١] وقد استجاب الأمير عبد الله الذي كان يقر ذلك ضمنيا، ووعده بذلك في رسالته الجوابية في آذار ١٩١٩م وطلب منه إيفاد من يمثله لبحث القضايا العالقة بينهما، بعد أن أبلغه برحيله إلى مكة، ويبدو أن الأمير عبد الله وتحت ضغط والده في العشيرة[٢] كما تبين كان مضطرا للتوجه نحو الحدود حتى وصل إلى منطقة (البديع) بالقرب من الحدود متخذا منها مركزا لحركة قواته التي بدأت من هناك باستمالة القبائل أو تأديبها، فيما تحركت القوات النجدية بقيادة سلطان بن بجاد باتجاه الحدود وانضمت لقوات خالد بن لؤي وتمركزت في منطقة واحة تربة استعداداً للقتال، في حين تحرك ابن سعود من الرياض إلى تربة لدعم أتباعه. واتخذ منطقة (اللصة) القريبة من تربة مركزا له وظل على اتصال دائم بخالد بن لؤي[٣].

أما بالنسبة للأمير عبد الله فقد ترك منطقة البديع بناءً على أوامر والده المشددة، وتقدم نحو تربة وتمكن من احتلالها[٤]. وبدأ من هناك بإرسال رسله إلى شيوخ القبائل يدعوهم للانضمام تحت سيادة والده محذراً ومهدداً إياهم عاقبة المقاومة، وباحتلال منطقة تربة لم يبق لابن سعود ما يخفيه وتبادل مع الأمير عبد الله رسائل[٥] شابها التهديد والوعيد والتحذير متهما إياه بالكذب خلافاً لما جاء في رسالته السابقة عن عزمه العودة إلى مكة وأكد ابن سعود الدفاع عن أتباعه - ويقصد هنا الأمير خالد بن لؤي ـ دون أن

---

(١) عطار، المرجع السابق، ص ٢١٠. أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٥.

(٢) محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص ٢٧٥.

(٣) أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٩. عطار، المرجع السابق، ص٢٢٠-٢٢١.

(٤) عطار، المرجع نفسه، ص ٢١٦.

(٥) عبد الله بن الحسين، مذكراتي، ص ٢٠٥-٢٢٠. أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٦-٨٩.

يتجاهل إنهاء الأمر صلحا على أن ينسحب عبد الله إلى العشيرة ليتسنى له إرسال أحد أنجاله أو إخوته للتفاوض بهذا الأمر، فما كان من الامير عبد الله إلا الرد بنفس اللجهة معتبرا ما قام به من احتلال بعض المناطق إنما لتأديب قبائل تابعة للحجاز، ولا دخل لابن سعود بأمرها. وكرر ما أشار إليه ابن سعود في الدعوة إلى الصلح شريطة انسحاب ابن سعود إلى نجد، دون أن يلحق بأتباع الأخير أي ضرر. لم تكن هذه المراسلات بالأمر المجدي وأصبح السيف السلاح الوحيد لحل النزاع[١].

وبعد أيام فوجئ الأمير بجيش السعوديين يوم ١٤ أيار ١٩٢٠م ودارت معركة حاسمة بين الطرفين تمكن فيها خالد بن لؤي من تدمير القوات الحجازية بالكامل وكان النصر فيها حليف السعوديين، أما الأمير فقد تمكن من النجاة بصعوبة والتوجه إلى الطائف، لذا فزع الشريف للخبر وأرسل خمسمائة مقاتل بقيادة محمود القيسوني وزير الحربية لحمايته من تحركات السعوديين[٢].

أرسل الشريف إلى بريطانيا كي تتدخل لتوقف تحرك ابن سعود نحو مدن الحجاز، وقد أرسلت إلى ابن سعود بالعودة إلى نجد وقد تم ذلك بسبب المعاهدة التي وقعت بين الطرفين عام ١٩١٥م وهي (اتفاقية العقير)[٣]، ومن الواضح إن إصرار الشريف على مقاتلة ابن سعود[٤] يعود لوجود مذهب جديد في نجد يتبعه كثرة متعصبة من البدو، وهذا يزيد من شعبية ابن سعود الذي يعد منافساً قوياً وخطيرا على الشريف حسين داخل الجزيرة.

---

(١) أمين سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص ٨٦-٨٩. عطار، المرجع نفسه، ٢٢٠-٢٢١.

(٢) عطار، المرجع نفسه، ص٢١٦. عبد الله بن الحسين، مذكراتي، ص١٦٠-١٧١. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٣١٧-٣١٨.

(٣) موسى، الحركة، ص١٨١. أمين سعيد، أسرار الثورة، ص١١٤.

(٤) هنادي، المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٩.

والحقيقة أن تخوف ابن سعود على إمارته بدأ بعد تأسيس الممالك الهاشمية والتي تشكل خطراً حقيقياً عليه ففي العراق على الحدود الشمالية لإمارته أسست المملكة برئاسة الأمير فيصل، وفي الجهة الشمالية الغربية أسست إمارة شرقي الأردن برئاسة الأمير عبد الله، وعلى الحدود الغربية أسست المملكة الحجازية برئاسة الشريف حسين، لذا بدأ ابن سعود بمهاجمة الممالك الهاشمية الثلاث[1] فهاجم المملكة العراقية عام ١٩٢٢م، وإمارة شرقي الأردن عام ١٩٢٣م، وتحركت بريطانيا لتثبت حدود إمارة ابن سعود مع الممالك الثلاث لذا دعت إلى مؤتمر الكويت في تشرين الثاني ١٩٢٣م لكن الشريف تغيب عن المؤتمر ولم يرسل مندوبه، ففشل المؤتمر «وربح ابن سعود سياسياً»[2].

وبدأ ابن سعود بمهاجمة الممالك الهاشمية عسكرياً، لذا قام بثلاث حملات على التوالي[3] الأولى والثانية على العراق والأردن باءتا بالفشل، والثالثة على المملكة الحجازية وقد حققت النجاح فسقطت الطائف، وخرج الشريف من مكة خوفاً على أهلها إلى جدة، وعقد أهل الحل والعقد اجتماعاً في جدة، لبحث موضوع النزاع بين الطرفين، واتفق الجميع على أن يتنازل الشريف عن الحكم ويعود ابن سعود إلى نجد[4].

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٣٦١.

(٢) هنادي، المرجع نفسه، ص١٣٢. سعيد، الدولة السعودية، ج٢، ص١٣٠-١٣١. عطار، المرجع السابق ج٢، ص٢٧٥.

(٣) عطار، المرجع نفسه، ص٢٧٤. محمد عمر، المرجع السابق، ص٢٧٩-٢٨١. عبدالله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص١٧٩.

(٤) لمعرفة التفاصيل حول انتصارات ابن سعود على القوات الحجازية، انظر جريدة العاصمة، ع٣٦، ١٥ كانون الأول ١٩٢٢م. أمين سعيد، الدولة السعودية، ص٩٠-١٠٠. عطار، المرجع نفسه، ص٢٤٠-٢٧٠. القبلة، ع٦٨٠، ع٦٩٠، ١٩٢٣م. أمين سعيد، الثورة العربية، ج٣، ص١٥٣-١٥٤. وهيم، المرجع السابق، ص٣٤٨.

وبسبب المؤامرات السياسية والاستعمارية ونقض بريطانيا عهدها، تنازل الشريف عن الحكم في ٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ (٤ تشرين الثاني ١٩٢٤م) تاركاً الأمر للحجازيين لاختيار ما يرونه مناسباً فتمت مبايعة الأمير علي بن الحسين وأرسلت بريطانيا بلاغاً جاء فيه «انه بالنظر لتنازل الحسين عن العرش فليس في وسع الحكومة البريطانية أن تواصل المفاوضات بشأن المعاهدة مع الحجاز كما وضعها الحسين»[(١)] وهكذا خرج الشريف من مكة إلى جدة يوم الخميس ١٠ ربيع الأول ١٣٤٣هـ (٣ تشرين الأول ١٩٢٤م)، وأقام في جدة يومين ثم غادرها يوم الاثنين إلى العقبة ثم إلى قبرص[(٢)].

ويبدو واضحا أن الشريف لم يدرك اللعبة السياسية التي حيكت ضده وضد آماله وطموحاته وتطلعاته في إيجاد كيان عربي مستقل كيف لا وقد ظهرت في الأفق كيانات هاشمية في مناطق الجوار لو قدر لها وحققت نجاحها لكان لها دور في المستقبل يهدد المصالح الاستعمارية الطامعة، والحقيقة التاريخية التي نُغفلها هي الاعتماد الأساسي على قوى سياسية خارجية للمساعدة في إيجاد الوطن القومي العربي المنشود فالأجدر الاعتماد على النفس، وعلى القوى الداخلية لإحداث التغيير والنهوض بالبلاد وتحقيق آمال الشعوب العربية جميعها.

لقد كان الحسين كما يبدو عاجزاً عن تخطي العقلية القديمة ولم يتكيف كليا مع ظروف عصره، فظل يستصعب الجديد، ويدافع عن القديم، وهذا ما عهدناه في مواقفه السلبية من السياسة الاتحادية في عهد الامارة، مع الأخذ بالاعتبار طموحاته آنذاك. وقد ختم الحسين حياته السياسية بمعارضته الحكومة الدستورية التي ترأسها نجله

---

(١) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص٣٥٥-٣٥٦.

(٢) عبد الله بن الحسين، الاثار الكاملة، ص١٧٩-١٨٠. المختار، المرجع السابق، ص٣٠٧. الانصاري، المرجع السابق، ص١٨٧.

الأمير علي، بعد استقالته سنة ١٩٢٤م بناءً على طلب أعيان الحجاز. فقد اعتبر القيود المفروضة على سلطة الملك، والصيغة الدستورية الحديثة التي أقرها الأعيان أمراً منافياً للتعاليم الدينية التي يجب إبقاؤها دستوراً للبلاد.

لقد كان الحسين رجلاً طموحاً إلى السلطة والملك منذ البدء، ولم يكن نزاعه المستمر مع الدولة العثمانية منذ تسلمه الشرافة سنة ١٩٠٨م وحتى قيامه ضدها سنة ١٩١٦م، إلا تجسيداً لهذه التطلعات. وإذا كان هناك ما يعيقه حينها، فإن الوقت يبدو طبيعياً -وبعد انفصاله - لحكم الحجاز وفق ما يرتئيه دون اعتراض. وعلى أية حال فإن الفردية التي اتسم بها حكم الحسين لا تعني في حد ذاتها حكماً ملصقاً بالحسين وحده، وهي سمات تطغى على كل حكام الجزيرة آنذاك بحكم المدى الذي استقر عنده التطور السياسي في هذه المناطق، مع فارق واحد يتمثل في كون الحجاز أمسى مملكة ذات أبعاد متطورة قياساً بالدويلات المجاورة ويتطلب نظاماً سياسياً أكثر تقدماً مما هو عليه في السابق، وهو أمر لم يتقنه الحسين خلال فترة حكمه.

الخاتمة

لقد اتضح لنا أن العلاقات الشريفية - العثمانية اتسمت بالود والاحترام المتبادلين حتى مجيء الاتحاديين عام ١٩٠٩م، بل كشفت هذه المرحلة التحالف الإقليمي القائم على بناء مصالح مشتركة متبادلة بين أشراف مكة والعثمانيين منذ عام ١٥١٧م، إذ كان الأشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى، بهدف فرض سيادة الأمن والاستقرار الإقليمي والمحلي في إمارتهم، كما أن العثمانيين استفادوا من المكانة الدينية لطبقة الأشراف بغرض الاستحواذ على ولاء العالم الإسلامي قاطبة والعربي خاصة. أو بتعبير آخر أن حكم الأشراف مكة المكرمة قد سار جنباً إلى جنب مع السلطة الروحية القديمة التي كانوا يمارسونها، والتي تعززت من خلال العثمانيين بالسلطة الزمنية المحلية. ذلك أن أشراف مكة هم السلالة العربية الأولى التي اعتمد عليها الباب العالي وبشكل أساسي في الحجاز، لا سيما في مكة منذ بداية القرن السادس عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين لأنهم جزء مهم من بنية وأساس النظام العربي القديم الذي استطاع السلطان العثماني أن يوظفه لصالحه، وخصوصاً فيما يتعلق بشأن الأماكن الإسلامية المقدسة، وتبين أن العلاقات تكاد تكون ثابتة ومستقرة بين السلاطين العثمانيين وأشراف مكة، ما دام هؤلاء الأشراف لم يطالبوا بأية حقوق سلطوية عربية (كقرشيين عرب مطالبين بالخلافة) بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطة في الإسلام.

وعند تولي الشريف حسين منصب الشرافة وإمارة مكة المكرمة عام ١٩٠٨م حاول جاهداً المحافظة على السلطتين الروحية والزمنية للحجاز اللتين قلل من شأنهما العثمانيون، مستغلين بذلك سوء إدارة من سبقه من الاشراف للحجاز. وانتهج الاتحاديون عند بروزهم على الساحة السياسية عام ١٩٠٩م، سياسة التقليل من سلطات الشريف وفرض السلطة المركزية على إقليم الحجاز وجعله إقليماً حاله حال الأقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية، بتطبيق نظام الولايات العثمانية عليه فضلاً عن تطبيق التجنيد الإلزامي على سكانه، ومد سكك الحديد إلى مكة، وقد كشفت الدراسة هذه السياسة، كما أظهرت أيضاً استياء الشريف حسين وأولاده وبقية علماء ووجهاء الحجاز من هذه الإجراءات، فهم لا يرغبون رؤية الولاة العثمانيين وهم يغتصبون سلطات شريفهم وفرض النظام على إقليمهم، لأنهم يعدون الشريف حسين الحاكم التقليدي، وباستمرار حكمه تتم المحافظة على القيم والتقاليد الروحية الحية لديهم، فضلاً عن ذلك فقد كان الشريف يمثل رمزاً لكيانهم شبه المستقل، وحاميهم من سياسة الاتحاديين الطورانية، وكان معنى حرمانهم من سلطات حكم شريفهم ونفوذه إحكام سيطرة قبضة الاتحاديين على الحجاز، وكانت خطورة الاتحاديين تكمن أيضاً في تركيزهم على إثارة النزعات الأسرية التقليدية بين أشراف مكة وبالذات بين آل عون وآل زيد.

كان الشريف حسين منذ تعيينه أميراً على مكة عام ١٩٠٨م، موضع ثقة الدولة العثمانية ممثلة آنذاك بالسلطان عبد الحميد الثاني، وقد كان يحترم الخلافة والخليفة، وبذل ما يستطيع من أجل تدعيمها وحمايتها، حتى أنه قاتل العرب بالعرب عام ١٩١١م، من أجل الدولة العثمانية، وباسم الخليفة.

واتخذت هذه العلاقة طابعاً آخر عند إعلان الحرب العالمية الأولى، إذ اتسمت بالتودد والمجاملة والاستشارة والنصح والتحذير، فضلاً عن اللغة المزدوجة من قبل

الجانبين، وبالذات من الاتحاديين الذين رأوا في الشريف حسين ورقة رابحة يمكن الاستناد إليها عند دخولهم الحرب، لما يتمتع به الشريف من مكانة مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين، ولذلك رغب الاتحاديون بضرورة إعلانه الجهاد المقدس لتعبئة الشعور الإسلامي بجانبهم، لكن الشريف حسين أدرك أن سياسة الاتحاديين هذه مهادنة وقتية تقتضيها ظروف المرحلة التي تمر بها الدولة العثمانية، لذا لجأ إلى نصح العثمانيين بعدم دخول الحرب وحذرهم من مخاطرها ونصحهم بتأمين المستلزمات الأساسية للحيلولة دون امتداد آثارها على بقية أقاليم الدولة ومنها الحجاز. لكن دخول الدولة العثمانية الحرب حتم على الشريف حسين اتباع سياسة ترمي إلى نيل الأقاليم العربية استقلالها من الدولة، وهكذا بدأ اتصالاته بالبريطانيين لتنفيذ ذلك والتي توجها بعمله العسكري الجريء في ١٠ حزيران ١٩١٦م بإعلان ثورته على السياسة الاتحادية.

وجاءت الثورة كذلك لأسباب عدة كان أهمها: سيطرة الاتحاديين على السلطة في الدولة العثمانية، وتجاهلهم العرب والدين الإسلامي والخليفة العثماني، فضلاً عن سياسة التتريك التي انتهجوها ضد الشعوب العربية ولم يكن من ضمن أسباب الثورة العربية الكبرى أي رغبة للشريف حسين بالحصول على منصب الخلافة، وأعلن أن الثورة العربية جاءت ضد الاتحاديين ولحماية الخلافة العثمانية، واعترف بدور العثمانيين بالدفاع عن الدين الإسلامي واستمر الشريف في نهجه القومي حتى تحقيق النصر التام لثورته التي ساهمت بشكل مباشر وفعال في هزيمة الاتحاديين في الحرب العالمية الأولى.

وهكذا أعاد الشريف، بفضل ثورته، المجد لأمتنا العربية عن طريق اماطته اللثام عن حقيقة السياسة العثمانية الاتحادية المتسترة وراء الدين الإسلامي وإعلانهم ظلماً وبهتاناً امتداد الخلافة الإسلامية إليهم. أي إسقاطه أسطورة الخلافة العثمانية بإعلان ثورته الإسلامية العربية، وبالرغم من قطع الشريف حسين ذكر اسم السلطان العثماني

من الخُطب في الحجاز، فإنه أعلن لزوم تجنب تلقيبه بألقاب الخليفة العثماني، ولم يسع لإعلان نفسه خليفة في وجود الخلافة العثمانية، مع ما أصابها من ضعف وتراجع حتى ألغيت في ٣ آذار ١٩٢٤م.

كما اتضح لنا أن قيام المملكة الحجازية أولى المحاولات العملية الحقيقية للعرب في بعث كيانهم السياسي على أساس قومي بالرغم من عدم استيعاب الشريف حسين نفسه المفهوم القومي بالشكل الصائب، وهذا ما يلحظ من حيرته الواضحة بين القومية والإقليمية والملك والخلافة الإسلامية.

إن اتفاق الشريف حسين مع بعض أقطاب القومية العربية واعتماده على الدعم البريطاني لقيادة الثورة عبارة عن مزاوجة بين طموحه الشخصي في الحكم والسلطة من جهة وبين أهداف قادة القومية العربية آنذاك من جهة أخرى.

لقد استندت المملكة الحجازية منذ بدايتها على قواعد ضعيفة في شتى مجالات الحكم خاصة في المجالين الاقتصادي والعسكري، فبالنسبة للمجال الأول لم تكن للمملكة مواردها الاقتصادية التي تعينها على البقاء، وجل اعتمادها إنما كان على الإعانات البريطانية، وهذا ما أخل بوضوح بكيانها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى جراء انقطاع هذه الإعانات التي تعمدت الحكومة البريطانية إيقافها ضمن مناوراتها السياسية التي انتهجتها مع الشريف حسين بعد الحرب، اثر تردي علاقة الطرفين، أما بالنسبة للجانب العسكري، فكانت أغلب قواتها حجازية بدوية تنقصها الخبرات القتالية والمؤهلات الحديثة فضلا عن الاعتماد الكلي في الأسلحة على الدعم البريطاني الضعيف الذي انقطع وبشكل متعمد إثر نهاية الحرب.

هذا ولم يدرك الشريف حسين متاهات السياسة البريطانية تجاه العرب والمسلمين والتي تمثلت في التناقضات القائمة بين مدرستي القاهرة والهند وفشل في تفهم أبعاد

هذا الخلاف واستغلاله لصالحه رغم كونه من أبرز العوامل التي ساهمت في زعزعة مملكته إذ أن النزاع الدائر بينه وبين ابن سعود كان خاضعاً بهذا الشكل والمعنى أو ذلك للخلاف بين المدرستين المذكورتين، الهند وهي حليفة ابن سعود والقاهرة وهي حليفة الشريف حسين وكما أشرنا فإن هذا الخلاف اتجه بعد الحرب لصالح مدرسة الهند وبالتالي لحليفها ابن سعود على حساب الشريف ومملكته.

لذا بدت سياسة المملكة الحجازية لبريطانيا نشازاً في المنطقة ومتعارضة مع مخططاتها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ومن هنا جاء التزام بريطانيا وعلى ما يبدو بنغمة «الحياد» أثناء الهجوم الوهابي الأخير على مملكة الحجاز، منهية بذلك الفصل الأخير من مسرحيتها السياسية مع الشريف حسين، إذ أن الحياد كان في حقيقته إيذانا صريحاً بنبذها سياسة إسناد ومساعدة مملكة الحجاز وتركها لشأنها في مواجهة الضربات الوهابية التي أودت بحياتها. فضلاً عن ذلك فإن بريطانيا وجدت في الممالك الهاشمية الثلاث (شرقي الأردن والعراق والمملكة الحجازية) خطراً واضحاً ومميزاً على سياستها ووجودها في المنطقة وباسم الحياد منعت بريطانيا من جانبها دخول الأسلحة للحجاز أو شراء الأسلحة أو استخدام الطيارين الإنكليز في الجيش الحجازي.

وبانتهاء دور الشريف حسين للبريطانيين، أخرجته ليس من الحجاز فحسب، بل من كل الأرض العربية، وقد تبنت بريطانيا هذه العملية، محتجة بما يلوح لها من الحجج، فانتهى الأمر بالحسين ليعيش ما يقارب خمس سنوات في أواخر حياته منفياً في جزيرة قبرص، بعيداً عن السياسة، حتى توفاه الله، بعد نقله مريضاً إلى عمان في أيار عام ١٩٣١م، فمات في ٤ حزيران ١٩٣١م ودفن في القدس.

ليكن نضال الشريف حسين بن علي منارة ونبراساً لنا نحن الأمة العربية الذين نعاصر التحديات والمشكلات الكبيرة وأهمها التحدي الصهيوني الذي يستهدف تمزيق

الأمة العربية من أجل أن نرد على التحدي الصهيوني بالوحدة العربية فلا شيء غير الوحدة والتماسك العربي اللذين رفع رايتهما أبطال الثورة العربية الكبرى يمكن أن ينهضا بمواجهة التحديات السياسية ويعيدا الأمة العربية مرة أخرى إلى قمة التاريخ لتسهم في دعم الحضارة الإنسانية ولتكن الحامية بشرف ومصداقية ونبل ومسؤولية للشعوب المغلوبة على أمرها. وما ذلك على الله بعزيز.

ملحق رقم (١)

(أ)

الضرائب المعروفة برسوم الطوابع[١] - وتنقسم إلى:

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
أولا - الرسم المقطوع:		
١. تصاريح الاختراعات	-	٢٠
٢. التصاريح الخاصة بإنشاء المطابع والمعامل وما شابه ذلك	-	١٠٠
من المؤسسات الصناعية.	-	٥٠
٣. قوانين الشركات المساهمة الداخلية التي يجري قبولها	-	١
وتصديقها من قبل الحكومة.	-	١٠
٤. سندات إسهام الشركات.	-	٢
٥. المقاولات التي لم تحتو على مبلغ معين.		
٦. التعهدات غير المشتملة على مبلغ معين.	-	٣
٧. المقاولات المشتملة على مبلغ معين:	-	٥
أ. المحتوية على ١٠.٠٠٠ قرش.	-	١٠
ب. المحتوية على ١٠.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٢٠.٠٠٠ قرش.	-	١٥
ج. المحتوية على ٢٥.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٥٠.٠٠٠ قرش.	-	٢٠
د. المحتوية على ٥٠.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٧٥.٠٠٠ قرش.	-	٣٠
هـ. المحتوية على ٧٥.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ١٠٠.٠٠٠ قرش.	-	٥٠
و. المحتوية على ١٠٠.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ١٢٠.٠٠٠ قرش.		
ي. المحتوية أكثر من ١٥٠٠.٠٠ قرش.		
٨. سندات الإيجار والاستئجار:		
أ. المحتوية على ٢٠٠٠ قرش.	-	١
ب. المحتوية على ٢٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٥٠٠٠ قرش.	-	٢
ج. المحتوية على ٥٠٠٠ قرش فأكثر إلى ١٠.٠٠٠ قرش.	-	٣

(١) وهيم، المرجع السابق، ص ٤٠٧-٤١٤.

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
د. المحتوية على ١٠.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٢٥.٠٠٠ قرش.	-	٥
هـ. المحتوية على ٢٥.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٥٠.٠٠٠ قرش.	-	١٠
و. المحتوية على ٥٠.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ٧٥.٠٠٠ قرش.	-	١٥
ز. المحتوية على ٧٥.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ١٠٠.٠٠٠ قرش	-	٢٠
ح. المحتوية على ١٠٠.٠٠٠ قرش فأكثر إلى ١٥٠.٠٠٠ قرش.	-	٣٠
ط. المحتوية على ١٥٠.٠٠٠ فأكثر	-	٥٠
٩. الوصيات التي لم تحتو على مبلغ معين	-	٥٠
١٠. سندات الكفالة المحتوية على ٤٠.٠٠٠ قرش فأكثر	-	٢٥
١١. سندات التعهد المؤقتة التي تؤخذ ممن تستقر له المزايدات	-	١
والمناقصات الرسمية	-	١٠
١٢. سندات الكفالة غير الحاوية مبلغاً معيناً	-	١
١٣. الكفالات النفسية والكفالات التي تتعلق بالموظفين		
الذين يتقاضون راتباً شهريا قدره ٥٠٠ قرش فما دون	-	٢
ذلك.	٢٠	-
١٤. السندات التي تؤخذ على الأموال المرهونة والمحجوزة	١٠	-
وسندات الإعارة.	٢٠	-
١٥. الحوالات المشروط أداؤها.	-	١
١٦. أ.سندات التأمينات النقدية المحتوية على ١٠٠ قرش فما		
دونها.	-	٣
ب.سندات التأمينات النقدية المحتوية على ١٠٠ قرش فأكثر.		
ج.سندات التأمينات النقدية المحتوية على ٥٠٠ قرش إلى ١٠٠٠ قرش.		
د. سندات التأمينات النقدية المحتوية على ١٠٠٠ قرش فأكثر .		
هـ. سندات التأمينات النقدية التي لم تحتو على مبلغ		

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
معين.		
١٧. البيانات المتضمنة نوع ومقدار البضائع الواردة والتي تعرض على إدارات الرسوم العمومية.	-	٣
١٨. البيانات المحتوية على مقادير أصناف البضائع من السفن بالتدريج إلى إدارة الرسوم من قبل وكلاء شركة البواخر.	١٠	-
١٩. البيانات الموجهة لأصحاب البضائع من قبل وكلاء شركات البواخر الخاصة بالبضائع التي لم تدخل في مستودع الرسوم.	-	١
٢٠. العرائض المرفوعة إلى الأعتاب السنية الملوكية، لا المشتملة على طلب إحسان تكون معفاة من وضع الطابع.	-	٢
٢١. الاستدعاءات المقدمة للدوائر الرسمية.	-	١
٢٢. الأوراق المتضمنة تاريخ وعدد المخابرات التي تعطى	-	١
للأفراد بناء على طلبهم.	-	١
٢٣. أوراق الجلب.		
٢٤.		
أ. كافة الحجج والإعلانات الشرعية الصادرة من المحاكم الشرعية المحتوية على ٢٠٠ قرش.	١٠	-
ب. كافة الحجج والإعلانات الشرعية الصادرة المحتوية على ٢٠٠ قرش فأكثر إلى ٥٠٠٠ قرش	٢٠	-
ج. كافة الحجج والإعلانات الشرعية الصادرة المحتوية على	-	١
٥.٠٠٠ إلى ١٠.٠٠٠ قرش.	-	٣
د. كافة الحجج والإعلانات الشرعية الصادرة المحتوية على ١٠.٠٠٠ إلى ٥٠.٠٠٠ قرش.	-	٥
هـ. كافة الحجج والإعلانات الشرعية الصادرة المحتوية على ٥٠.٠٠٠ فأكثر		
٢٥. حجج الوصاية والنفقة.	-	١
٢٦. التقارير المتضمنة تعديل أو تخمين قيم الأملاك أو بدل	-	٥

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
إيجاراتها.	-	٢
٢٧. البيانات والشهادات والتصاديق التي تعطيها الدوائر	-	٥
الرسمية بناء على طلب الأفراد.		
٢٨. جداول الدول والتسليم والمضابط التي تتضمن براءة ذمة	-	٢٠
المأمورين المنفصلين.	-	١٠
٢٩. الشهادات التي تمنح لمتخرجي المدارس.	-	٥
أ. شهادة المدرسة العراقية.		
ب. شهادة المدرسة التحضيرية.		
ج. شهادة المدرسة الابتدائية.		
٣٠. صور البرقيات والدعوات المقدمة للدوائر الرسمية.	-	١
٣١. تذاكر التابعية.	-	١
٣٢. إجازات الزواج التي تعطى من قبل الحكام الموظفين.	-	١٠
٣٣. البيانات المتضمنة تسلم الأوراق المبلغة من الدوائر	٢٠	-
الرسمية إلى الأفراد.	١٠	-
٣٤. الإخباريات التي تعطى من قبل الدوائر الرسمية للأفراد.		
٣٥.		
أ. السندات المتضمنة القبض والتسلم والإبراء	١٠	-
المحتوية على ١٠٠قرش فأقل.	٢٠	-
ب. السندات المتضمنة على ١٠٠ قرش فأكثر والتي لم		
تحتو على مبلغ معين.		
٣٦.		
أ. السندات المتضمنة تسلم المبالغ المحكوم بها والتي		
تعطى لدوائر الرسمية المحتوية على ١٠٠ قرش فأقل.	١٠	-
ب. السندات المتضمنة تسلم المبالغ المحتوية على	٢٠	-
١٠٠ قرش فأكثر.		
٣٧. الإيصالات المتعلقة بأجور البرقيات والبريد	١٠	-

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
٣٨.		
أ. الإيصالات المتعلقة بقبض وتسلم الحوالات المسلمة لأصحابها من قبل الدوائر الرسمية المحتوية على ١٠٠ قرش فما دونها.	١٠	ـ
ب. من قبل الدوائر الرسمية المحتوية على ١٠٠ قرش فأكثر.	٢٠	ـ
٣٩. الإعلانات العائدة للأفراد والمنشورة على الجرائد	ـ	١
والرسائل.	ـ	٥
٤٠. صور وخلاصات الأوراق التابعة للرسم المقطوع أو النسبي بنسبة ٥ قروش فأكثر.		
٤١. نسخ خلاصات الأوراق والمتضمنة القيودات أو المقررات الرسمية التي تعطى للأفراد من قبل الدوائر الرسمية حسب طلبهم.	ـ	٥
٤٢. الضرائب المتنوعة نوع الإنشاءات المراد إجراؤها والتي تقرها الدوائر الرسمية.	ـ	٣
٤٣. الأوراق المتضمنة تراجم أحوال الموظفين.	ـ	٥
٤٤. صور الأوراق المثبتة التي يجري ربطها بالتراجم المذكورة إذا كانت مدرجة على ورقه واحدة	ـ	٥
٤٥.		
أ. المقررات النهائية المتضمنة إحالة المزايدات أو المناقصات إلى ملتزميها المحتوية على ١٠٠٠ قرش فما دون.	ـ	١
ب. المحتوية على ١٠٠٠ فأكثر.	ـ	٣
٤٦. الأوراق المحتوية على شروط الالتزام التي تعطى للمتلزم.	ـ	٢

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
٤٧. الاجازات التي تمنح لبائعي الطوابع.	ـ	٢٥
٤٨. الاجازات التي تمنح لنشر الكتب والرسائل والجرائد[1].	ـ	١٠
ثانيا: الرسم النسبي:		
١ ـ		
أ. الأوراق المحتوية على ١٠٠ قرش فما دونها.	١٠	ـ
ب. الأوراق المحتوية على ١٠٠ فأكثر إلى ١٠٠٠ قرش.	٢٠	ـ
ج. الأوراق المحتوية على ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ قرش.	ـ	١
د. الأوراق المحتوية على ٢٠٠٠ إلى ١٠.٠٠٠ قرش.	فيؤخذ على كل ٢٠٠٠ قرش وكسوراتها (٤٠) بارة	
هـ. الأوراق المحتوية على ١٠.٠٠٠ إلى ١٠٠.٠٠٠ قرش.	فيؤخذ على كل ٥٠٠٠ قرش وكسوراتها (١٠٠) بارة	
و. الأوراق المحتوية على ١٠٠.٠٠٠ فأكثر[2].	فيؤخذ على كل ١٠.٠٠٠ قرش وكسوراتها (٥) قروش	

(١) أنظر نص قانون رسوم الطوابع في جريدة القبلة عدد ٤٣٤، ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٠، العدد ٥١٣، الأول من أيلول ١٩٢١، وقد اتخذ هذا القانون دستورا للعمل به في هذا الجانب من تاريخ صدوره.

(٢) وقد أجازت الحكومة إلصاق عدة طوابع في الورقة الواحدة على أن يعادل ثمنها قيمة الرسم المفروض في الوقت الذي منعت فيه إلصاق الطابع الخاص بالرسم المقطوع على الأوراق التابعة للرسم النسبي وبالعكس أيضا. أما إبطال هذه الطوابع فيتم عن طريق الختم أو الإمضاء أو التاريخ على أن يكون قسم من الختم والإمضاء والتاريخ على قسم من الطوابع والورقة، وإذا لم يتم إبطال هذه الطوابع على ضوء ما ذكر فيجري إبطالها من قبل المأمور الذي تودع لديه بالختم الرسمي. أنظر: القبلة، عدد ٤٣٤، ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٠، عدد ٥١٣، الأول من أيلول ١٩٢١.

ثالثا: الجزاء النقدي:

فرضت حكومة الحجاز، على الأوراق والبيانات والإعلانات التي يجري تنظيمها من قبل مأموري الحكومة والتي لم ترسم وفق المواد السابقة جزاء نقديا حسب الدرجات المبينة أدناه علاوة على الرسم الأصلي المطلوب وفقا للجدول صفحة ٣٢٨ (جدول الجزاءات).

والجزاء النقدي المتعلق بالرسم النسبي يؤخذ باعتبار (٥) قروش في المائة، مع اعتبار كسورات الرقم الأخير مائة قرش. ويرقم مقدار هذا الجزاء على الطوابع التي يجري إلصاقها في مقابلة ثم تبطل بالختم الرسمي العائد للدائرة التي أخذت الرسم المذكور.

وقد فرضت الدولة على كافة رؤساء المحاكم والمجالس وأعضائها وجميع مأموري الحكومة في تنفيذ التعليمات المتعلقة بهذا الشأن وأن لا تقبل مختلف الأوراق سالفة الذكر ما لم تكن خاضعة لإجراءات المعاملة الرسمية، وقدر مبلغ نصف جنيه إنكليزي جزاء نقديا على الموظف جراء مخالفته ذلك[١].

وقد أكدت الحكومة على وزارة المالية بشكل خاص ومأموري الحكومة عموماً على التدقيق في حسابات هذه الواردات وفقا لما تضمنه القانون كما كان على وزارة المالية تعيين مفتش خاص لتعقّب جميع الأوراق والمستندات الخاضعة لهذه الرسوم وتدقيقها في الدوائر الرسمية ودوائر الشركات التجارية وعلى المفتش رفع تقرير خاص إلى وزارة المالية عن الأوراق التي تظهر مخالفتها التعليمات المدرجة أعلاه وفي أي دائرة والأسلوب الذي غايرت فيه هذه الأوراق المواد القانونية، لإجراء التحقيق اللازم في ذلك[٢].

---

(١) القبلة، العدد ٤٣٥/ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠، العدد ٥١٣ نفسه.

(٢) القبلة، العدد ٤٣٥، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠. والعدد ٥١٣ ، الأول من أيلول ١٩٢١.

جدول الجزاءات

المواد الخاضعة للجزاء النقدي	مقدار الجزاءات (بالقروش)
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (٥) بارات إلى	١٥٠
١٠ بارات.	٢٥٠
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (١٠) بارات	٣٠٠
إلى (٢٠) بارة.	٤٠٠
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (٢٠) بارة إلى	٥٠٠
(٤٠) بارة.	٧٠٠
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (٤٠) بارة إلى	٨٠٠
قرشين.	٩٠٠
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره قرشان فأكثر	١٠٠٠
إلى (٥) قروش.	
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (١٠) قروش	
فأكثر إلى (٢٥) قرشاً.	
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (٢٥) قرشاً	
فأكثر إلى (٥٠) قرشاً.	
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (٥٠) قرشاً	
فأكثر إلى (١٠٠) قرش.	
يؤخذ مقابل الرسم البالغ مقداره (١٠٠٠)	
فأكثر[1].	

(١) العددان نفسهما.

ملحق رقم (١)

(ب) ملحق بضرائب رسوم الطوابع[١].

المواد الخاضعة لدفع الرسوم	بارة	قرش
المواد الملحقة بالرسم المقطوع		
أضيف للمادة (٧) من الرسم المقطوع ما يلي:		
١. المقاولات المحتوية على مبلغ إلى ١٠٠.٠٠٠ قرش	ـ	٣
٢. المقاولات المحتوية على مبلغ ١٠.٠٠١ قرش إلى ٢٥.٠٠٠قرش، وأضيف للمادة (٩) من الرسم المقطوع ما يلي:	ـ	٥
أ. الوصايا التي لم تحتو على مبلغ معين.	ـ	٥٠
ب. الوصايا التي لم تحتو على مبلغ معين تابعة للرسم النسبي، وأضيف للمادة (١٠) من الرسم المقطوع ما يلي:		
١. مستندات الكفالات المحتوية على ٤٠.٠٠٠ قرش فأكثر	ـ	٢٥
٢. أما سندات الكفالات التي هي دون ٤٠.٠٠٠ قرش فتتبع الرسم النسبي، وأضيف للمادة (١١) من الرسم المقطوع ما يلي:		
أ. سندات التعهدات التي تؤخذ من المتعهدين في أثناء المزايدات والمناقصات الرسمية، وأضيف للمادة (١٤):	ـ	١
١. السندات التي تؤخذ عند توديع الأموال المرهونة والمحجوزة إلى شخص ثالث وسندات الإعارة والسند المعطى من المرتهن للراهن.	ـ	٢
٢. سندات التأمينات النقدية المحتوية على ١٠٠ قرش فما دونها.	ـ	١٠
٣. سندات التأمينات النقدية المحتوية على ١٠١ فأكثر إلى ٥٠٠ قرش.	ـ	٢٠
٤. سندات التأمينات النقدية المحتوية على ٥٠١ فأكثر إلى ١٠٠٠ قرش.	ـ	١

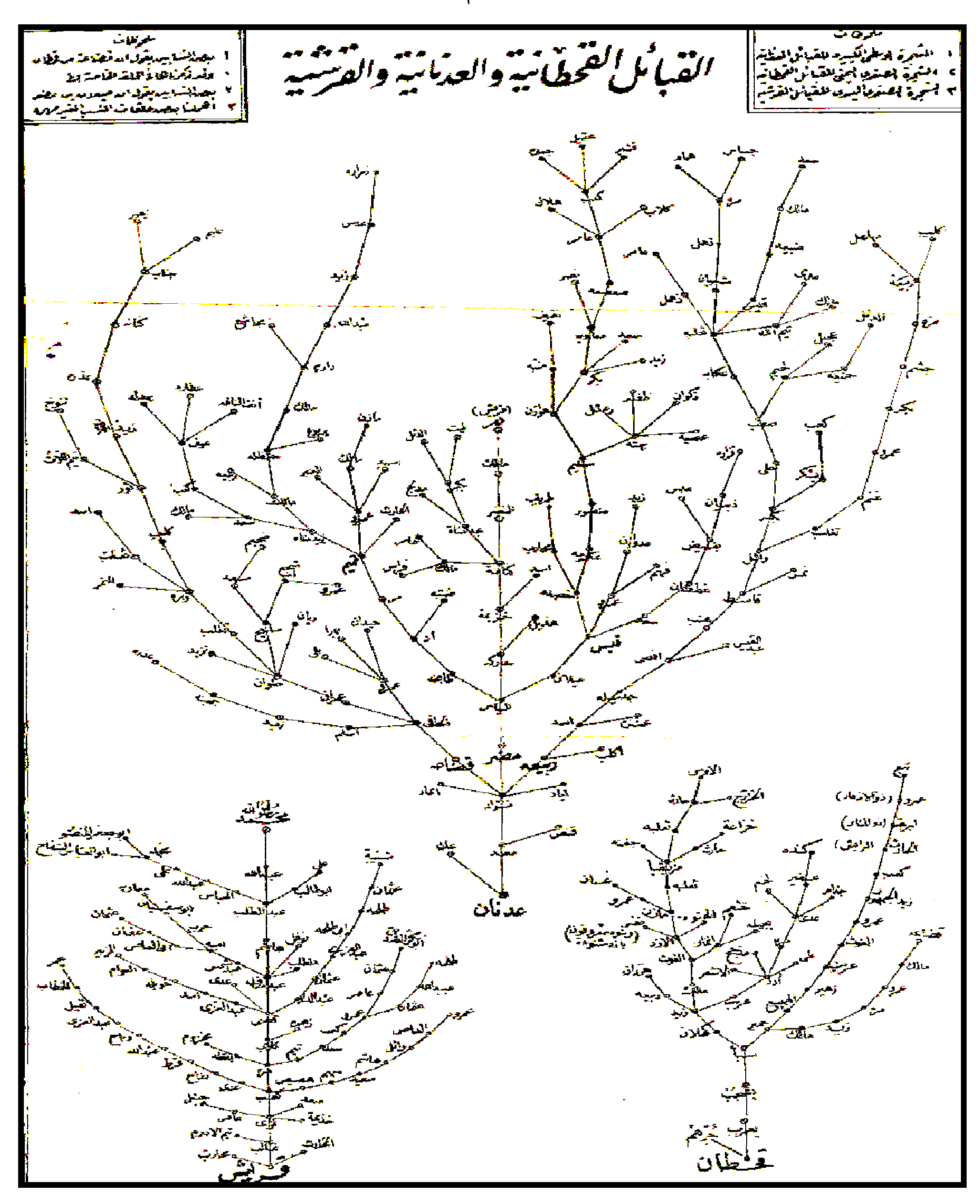
(٧) وهيم، المرجع السابق، ص ٤٠٧-٤١٩.

٥. سندات التأمينات النقدية المحتوية ١٠٠٠ قرش فأكثر وسندات التأمينات النقدية التي لم تحتو على مبالغ معينة، وألحق بالمادة (٢٧) ما يلي:	ـ	٣
أ. البيانات والشهادات والتصاديق التي تعطى من طرف الدوائر الرسمية بناء على طلب الأفراد، وألحق بالمادة (٤٠):	ـ	٢
١. صورة خلاصات الأفراد التي تبرز للدوائر الحكومية التابعة للرسم المقطوع أو النسبي بنسبة ٥ قروش فأكثر.	ـ	٥
٢. أما إذا كان رسمه أقل من ٥ قروش فيستوفي منه بقدر الرسم الأصلي وفيما يلي المواد الملحقة بالمادة (٤٨) من الرسم المقطوع:	٢٠	ـ
٤٩. كشوفات الحسابات التجارية		
٥٠. أوراق الشحن المعطاة من شركات البواخر لأصحاب البضائع المرسلة وأوراق شحن السكك الحديدية وأوراق النقل من باخرة إلى أخرى أو قطار لآخر.	ـ	١
٥١. أوراق أجرة الركاب (البليت)، ما كانت قيمته ١٠٠ قرش.	٢٠	ـ
٥٢. أوراق أجرة الركاب (البليت)، ما زادت قيمته على ١٠٠ قرش.	ـ	١
٥٣. شهادات وصول البضائع المرسلة من أسلكة إلى أخرى المصدقة من أوراق الرسوم	ـ ٢٠	٥ ـ
٥٤. أوراق الفسح، التي تعطى من إدارة الرسوم للبواب.		
٥٥. السندات التي تؤخذ على صاحب الأمانات الضائعة عند تسليمها له ما كان قيمته ١٠٠ قرش فما دونها.	٢٠	ـ
٥٦. السندات التي تؤخذ على صاحب الأمانات الضائعة عند تسليمها له ما كان قيمته أكثر من ١٠٠ قرش والتي لم تحتو على نقد.	ـ	١

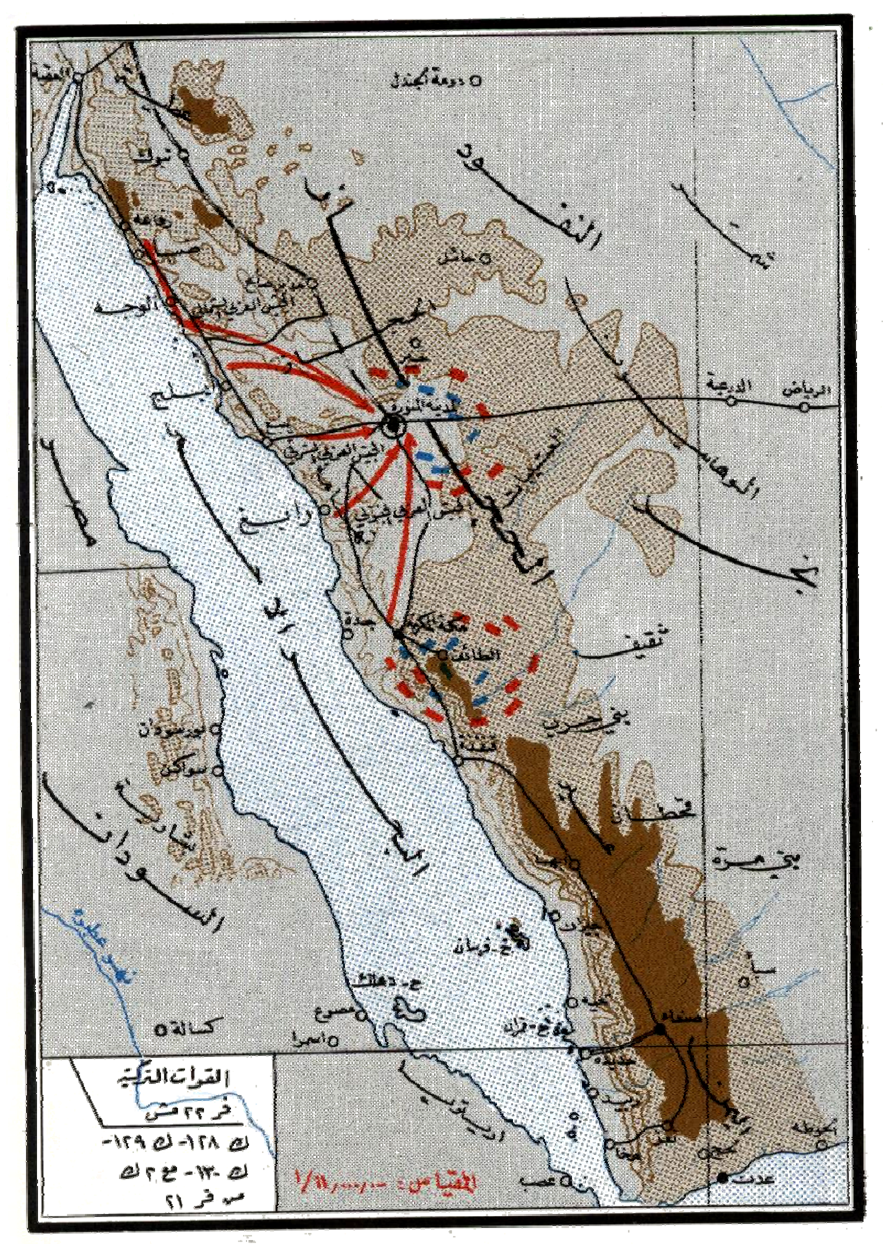
٥٧. سندات بدل اشتراك الجرائد والرسائل ما كان محتويا على ١٠٠ قرش	٢٠	-
فما دونها.	-	١
٥٨. وما كان محتويا على أكثر من ١٠٠ قرش.	-	١
٥٩. الوكالات المتضمنة استلام رواتب الأفراد يستوفى عن كل راتب.		
٦٠. كافة الحجج والإعلامات والوكالات والسندات المحتوية على مبالغ، وغير المحتوية على المبالغ الصادرة في الأقطار الأجنبية لدى إبرازها لدوائر الحكومة يوضع عليها طابع مقطوع بقيمة ٥ قروش.	-	٥
٦١. صكوك الشركات التي تحرر على نسختين أو نسخ متعددة ما كان منها محتويا على مبلغ معين فيكون اعتبار سمة على المائة قرش.	-	**نصف قرش**
٦٢. التي لم تحتو على مبلغ معين	-	٥٠
٦٣. الوكالات الشرعية المحررة أو المسجلة ما كان منها عمومياً.	-	٢٠
٦٤. الوكالات الشرعية المحررة أو المسجلة ما كان منها خصوصياً.	-	١٠
٦٥. الكفالات إذا كانت نفسية - أي (شخصية) كما يبدو ـ وتحتوي على مبلغ معين فيكون رسمها من الرسم المقطوع فيكون رسمها من الرسم النسبي بنسبة المبلغ المكفول به.	-	١
٦٦. الرخصة التي تعطى للغواصين والبحارة سنوياً.	-	١٠
٦٧. تصاريح السفن الشراعية بالسفر لكل خطرة.	-	٢
٦٨. صورة التذاكر التي تعطى بالتصريح للسفن للسفر لتقديمها لإدارة	-	١
المحاجر الصحية	-	٢
٦٩. السند البحري لمشتري السفينة.	-	١
٧٠. تذاكر الجوازات ذات القيمة وغير ذات القيمة	٢٠	-

٧١. التصديق على جوازات القادمين والمسافرين.	ـ	١٠
٧٢. الحجج والإعلامات الصادرة من المحاكم الشرعية غير المحتوية مبلغاً معيناً.	ـ	١
٧٣. أوراق الجلب إذا كانت على قسمين يوضع على كل قسم منها		
٧٤. جميع أوراق والسندات المحتوية على مبالغ معينة تكون عائدة للرسم النسبي ما عدا الرسم المقطوع المقرر عليها.		
٧٥. إذا الصقت طوابع بقيمة الرسم على السندات المؤقتة فلا لزوم لإعادة أخذ الرسم على السند الرسمي بل بوضع شرح من الإدارة على السند يفيد باستيفاء الرسم بالسندات المؤقتة.		
٧٦. كل نوع من الأوراق غير المدرجة في قائمة الرسوم المقطوعة وقائمة الأوراق أو المواد المعفاة من الرسوم ـ كما سيرد ذكرها ـ وبعد إبرازها لدوائر الحكومة عليه طابع مقطوع بقرش واحد وقد استثنى القانون بعض الأوراق من هذه الرسوم، وشملت جميع الأوراق والمعاملات الرسمية الخاصة بالدوائر الحكومية المختلفة والأوراق الصادرة من القضاة والمحاكم والدوائر الرسمية وأجوبتها إضافة إلى القرارات الصادرة عن مشايخ الحارات وأئمة القرى المرفوعة الدوائر الرسمية بشأن القضايا التي تهم الطرفين. كما أعفى القانون الأوراق المتعلقة بشؤون المساجد والمؤسسات الخيرية، والأوراق المتعلقة بدوائر البريد والبرق، أو المتعلقة منها بالأموال التي تصرفها الخزينة للدوائر الحكومية....		
انظر ملحق قانون رسوم الطوابع في جريدة القبلة، العدد ٥٤٩، ٥ كانون الثاني ١٩٢٣م.	ـ	١

ملحق رقم (٢)



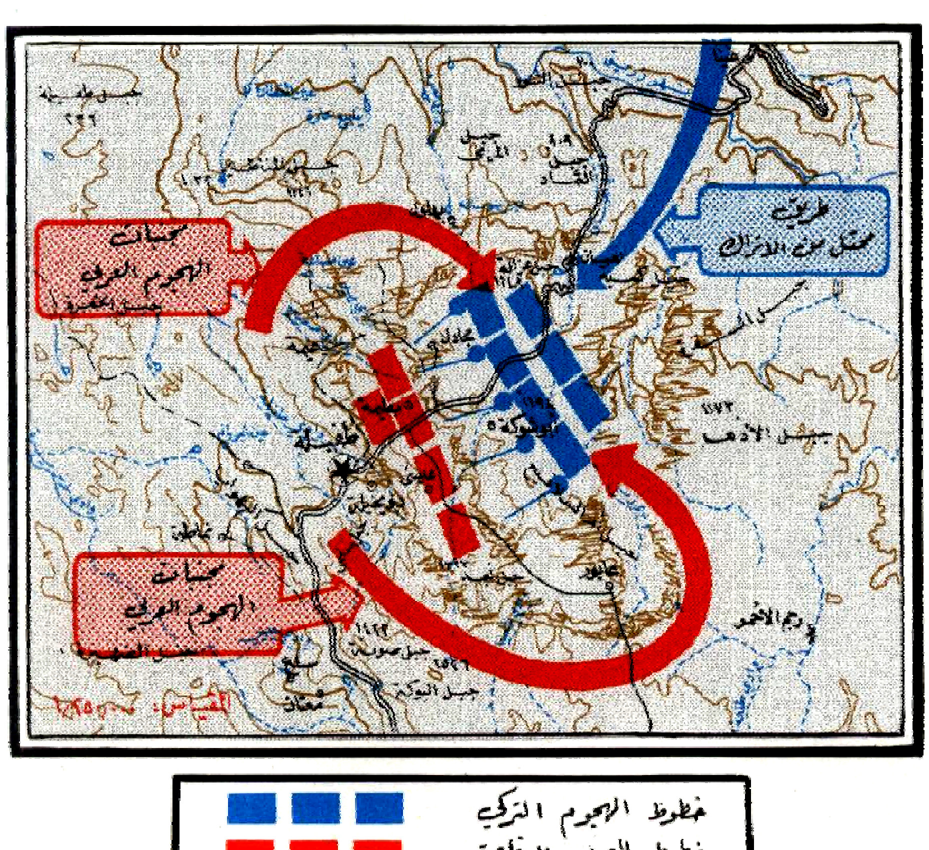
ملحق رقم (٣)



معركتي حصار واحتلال مدينتي

الطائف والمدينة المنورة من قبل القوات العربية

ملحق رقم (٤)



معركة الطفيلة

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الأجنبية غير المنشورة: وهي وثائق بريطانية موجودة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ومنها: وثائق وزارة الخارجية البريطانية

F.O. (Foreign Office)

F.O. 882/13.

F.O. 882/23.

F.O. 882/15.

F.O. 882/6.

ثانياً: المخطوطات العربية غير المنشورة:

- محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، جـ١، مخطوطه محفوظة في دار صدام، بغداد، برقم (٤٠١٤١).

ثالثاً: المذكرات:

١. أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية، مطابع ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦.

٢. تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٦.

٣. جعفر العسكري، مذكرات جعفر العسكري، تحقيق وتقديم نجدة فتحي صفوة، دار السلام، لندن، ١٩٨٨.

٤. جمال باشا السفاح، مذكرات جمال باشا السفاح، ترجمة علي أحمد شكري، دار البصري، بغداد، ١٩٦٣.

٥. عبد الله بن الحسين، مذكراتي، مكتبة برهومة، عمان، الأردن، ١٩٨٩.

٦. فائز الغصين، مذكراتي عن الثورة العربية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٦.

٧. الملك عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٩.

رابعاً : الكتب العربية والمترجمة :

١. إبراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٦٩.

٢. إبراهيم الشريقي، الثورة العربية الكبرى، دوافعها وحصادها، منشورات المؤسسة الدولية، ط١، مؤسسة العرب، لندن، ١٩٤٨.

٣. إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، جامعة الموصل، ١٩٨٣.

٤. إبراهيم سليم النجار، الملك فيصل الأول، بغداد، د.ت.

٥. إبراهيم صالح شكر، قلم وزير، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسوريه والعراق، عرض خالد محسن إسماعيل، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠.

٦. إبراهيم عبدو، انسان الجزيرة العربية، مكتبة الآداب الجماهرية، المطبعة النموذجية، ١٩٥٤.

٧. ابن إياس أبو البركات أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ٥، مطبعة بولاق، مصر، ١٣١١م/ ١٣١٣هـ.

٨. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦.

٩. أبو صالح بصير، جهاد وشعب فلسطين خلال نصف قرن، ط٢، دار الفتح، بيروت، ١٩٦٩.

١٠. أحمد السباعي، تاريخ مكة، مطابع دار قريش، مكة، ١٣٨٥هـ.

١١. أحمد بن زيني دحلان:

ـ امراء البلد الحرام، ط٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١م.

ـ تاريخ الدولة الإسلامية في الجداول المرضية، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م.

١٢. أحمد طربين، الوحدة العربية ١٩١٦ ـ١٩٥٨، دمشق، ١٩٦٦.

١٣. أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، جـ١، مطابع المؤسسة العربية، جدة، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

١٤. أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٧٠.

١٥. أحمد عيسى العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، جـ٢، طبع بمطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦١.

١٦. أحمد نجيب وأحمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٦٤.

١٧. أحمد نوري النعيمي، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، بغداد، ١٩٨٢.

١٨. ارسكين تشايلدز، فيصل الأول ملك العراق، ترجمة عمر أبو النصر، المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٣٤.

١٩. أسامة يوسف شهاب الدين، الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، دراسة الفكر السياسي للثورة العربية وثائق وأسانيد، مركز اللغات، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥.

٢٠. أسعد داغر، ثورة العرب، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٩١٦.

٢١. إسماعيل حقي أوزون جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمه عن التركية الدكتور خليل علي مراد، منشورات مركز الدراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦.

٢٢. السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية، ١٨٤٠ ـ ١٩٠٩، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

٢٣. أمين الريحاني:

ـ تاريخ نجد الحديث، بيروت، ١٩٢٨.

ـ ملوك العرب، بيروت، ١٩٢٩.

٢٤. أمين سعيد:

ـ أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ت.

ـ تاريخ الدولة السعودية، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ت.

ـ ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال القاهرة، دت.

ـ الثورة العربية، ج٣، مطبعة عيسى البابي وشركاه، مصر، د.ت.

٢٥. أنيس صايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ط١، منشورات دار الطليعة، بيروت، أيار ١٩٦٦.

٢٦. أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني: حياته وأحداث عصره، بغداد، ١٩٨٧م.

٢٧. ت. لورنس، أعمدة الحكمة السبعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

٢٨. تايلر، الصراع على السيادة في أوروبا، ١٨٤٨ ـ ١٩١٨، ترجمة كاظم هاشم نعمه ويوئيل يوسف عزيز، الموصل، ١٩٨٠.

٢٩. تركي بن مطلق القداح، دراسات حول قبيلة عتبة، دار الكتاب الحديثة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠. توفيق السويدي، مذكراتي.. نصف قرن من تاريخ العراق، والقضية العربية، دار الكاتب العربي، ط١، مطابع دار الغد، بيروت، ١٩٦٩.

٣١. توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري، ١٩٠٨ـ ١٩١٤، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

٣٢. جلال زواد فاخوري، الثورة العربية الكبرى في الميزان الاقتصادي، ١٩١٦ ـ ١٩٢٤، عمان، ١٩٩٦م.

٣٣. جمال الدين الألوسي، محمد كرد علي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦.

٣٤. جورج انطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦.

٣٥. جيمس موريس، الملوك الهاشميون، منشورات المكتب العالمي للترجمة والنشر، بيروت، د.ت.

٣٦. حافظ وهبة:

ـ جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

ـ خمسون عاما في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٦٠.

٣٧. حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٣.

٣٨. حسين محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره مطبعة خضير، مصر، ١٣٤٩هـ.

٣٩. حكمت فريحات:

ـ الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، ط١،مكتبة دار الثقافة، عمان، ١٩٩٠م.

ـ السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى، ١٩١٦ ـ ١٩٢٠، ط٢، دار المراتب الجامعية، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٠. حمد الجاسر، معجم القبائل الحجازية السعودية، قسم ١، ط١، النادي الأدبي في الرياض، ١٩٨١.

٤١. حمود بن خاوي القثامي، شمال الحجاز.. معجم المواضع والقبائل، ط٣، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

٤٢. خليل علي مراد، وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، الموصل، ١٩٨٨.

٤٣. خير الدين الزركلي:

ـ الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٩ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

ـ شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.

ـ ما رأيت وما سمعت، المطبعة العربية، مصر، ١٩٢٣.

٤٤. خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٠، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

٤٥. ريتشارد دنجتون، لورنس في البلاد العربية، تعريب محمود عزت موسى، الدار المصرية للترجمة والتأليف، القاهرة، ١٩٦٦.

٤٦. زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان بيروت، ١٩٧٧.

٤٧. ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٣، دار العلم للملايين، ١٩٦٥.

٤٨. سانت جون فيلبي:

ـ الذكرى العربية الذهبية، ترجمة مصطفى كمال فايد، ملتزم الطبع والنشر مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٨.

ـ تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب، تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٢.

٤٩. سعيد عوض باوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط١، توزيع مكتبة الثقافة بباب السلام، مكة، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، محمد حلمي المنياوي، ١٩٥٤م.

٥٠. سلمان حمود سيد محمد إبراهيم، تاريخ المملكة الحجازية السعودية في إطار تاريخ الوطن الكبير، ط١، مكتبة مصر، مطبعة السنة المحمدية، دت.

٥١. سليمان فيضي، التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية، المطبعة المحمودية في البصرة، ١٩١٣.

٥٢. سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز من بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣.

٥٣. سليمان موسى، ومنيب الماضي، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ١٩٠٠ ـ ١٩٥٩، ط٢، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٥٩م.

٥٤. سهيلة الريماوي، الاتجاهات الفكرية للثورة العربية من خلال جريدة القبلة، بيروت، ١٩٦٩.

٥٥. سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، من أجل بحث رؤية معاصر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٩.

٥٦. سيد علي العدروس، الجيش العربي الهاشمي، ١٩٠٨ ـ ١٩٧٩، ترجمة عبد العزيز سليمان المعايطة، ط١، جامعة اليرموك، ١٩٨٣.

٥٧. السيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، اليمن والامام يحيى، ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨، ط١، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٦٣.

٥٨. سيلمان الموسى:

ـ الثورة العربية الكبرى، الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨، عمان، ١٩٨٩.

ـ المراسلات التاريخية، م١، ط١، عمان، ١٩٧٣.

ـ الحركة العربية ـ سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ ـ ١٩٢٤، بيروت، دار النهار، ١٩٨٦.

ـ الحسين بن علي باعث النهضة العربية الحديثة، وزارة الشباب الأردنية، ط٢، عمان، ١٩٩٥.

ـ الحسين بن علي والثورة العربية، عمان، لجنة تاريخ الأردن، ط٢، ١٩٩٢.

ـ غربيون في بلاد العرب، منشورات دار الثقافة والفنون، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٦٩.

ـ لورنس والعرب، وجهة نظر عربية، عمان، الأردن، ١٩٦٢.

ـ مذكرات الأمير زيد، ط١، عمان، ١٩٧٦م.

٥٩. شريف عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ط٢، المكتبة الإسلامية، للطباعة والنشر دمشق، ١٩٦٤.
٦٠. شكري محمود نديم، حرب فلسطين، ط٤، شركة النبراس للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧٤.
٦١. شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، وقف على تصميمها وعلق على بعض حواشيها محمد رشيد رضا، منشئ مجلة المنار، ط١، مصر، القاهرة، ١٩٢٦.
٦٢. صادق حسن السوداني، العلاقات العراقية ـ السعودية، ١٩٢١ـ ١٩٣١، دراسة في العلاقات السياسية، دار الجاحظ، بغداد ، ١٩٧٥.
٦٣. صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٦٤. عارف عبد الغني، تاريخ أمراء مكه المكرمة من ٨هـ ـ ١٢٤٤هـ، مكتبة دار البشاير، القاهرة، ١٩٩٢.
٦٥. عاصم الدسوقي، تاريخ العرب الحديث المعاصر، ق١٦ ـ ق٢٠، ط٢، المشرق والمغرب مؤسسة ابن خلدون، القاهرة، ٢٠٠١م.
٦٦. عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، القاهرة، ١٩٥٥.
٦٧. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦.
٦٨. عبد القدوس الأنصاري، تاريخ مدينة جدة، مجلد ١، ط٢، مطابع الأصفهاني، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٤.
٦٩. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ١٥١٦ ـ ١٩١٦، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧٤.
٧٠. عبد الكريم غرايبة:
ـ الثورة العربية، بحث ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ العربي، مهداة للأستاذ نور الدين الحاطوم بمناسبة بلوغه السبعين من عمره، تحرير كاظم كلاس، دمشق، ١٩٩٢.
ـ مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ ـ ١٩١٩م، العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

٧١. عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٥٩م.
٧٢. عدنان الزبن، الثورة العربية من منظور إسلامي، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥م.
٧٣. عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى ١٩١٦، ط٢، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، ١٩٩١.
٧٤. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ملحق جـ٦، قصة الاشراف وابن سعود، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٩.
٧٥. علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، د ت.
٧٦. علي فؤاد، كيف غزونا مصر، ترجمة نجيب الارمنازي، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٦٢.
٧٧. علي فهمي، الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية، مجلة المنار، م١٣،ج٩ ـ ١٢، ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م.
٧٨. علي محافظة، دراسة أولية في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى، نشر ضمن كتاب النهضة العربية.
٧٩. عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٤م.
٨٠. فؤاد حمزة، قلب الجزيرة العربية، المطبعة السلفية، ط١، مكة المكرمة، ١٩٣٣.
٨١. فائق بكر الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٢٩٣ و١٣٣٤ / ١٨٧٦ و ١٩١٦، مكة المكرمة، ١٩٩٨.
٨٢. فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٨٦.
٨٣. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠.
٨٤. فائز الغصين، المظالم في سوريا والعراق والحجاز، د. م، د. ت.
٨٥. فتحي أبو عيانة، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.

٨٦. فتوح عبد المحسن الخترش، العلاقات السعودية اليمنية ١٩٢٦ ـ ١٩٣٤، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣.
٨٧. فلاديمير بوريد فيتش لوتكسي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة الدكتور عفيف البستاني، دار التقدم، موسكو، بيروت، ١٩٨٠.
٨٨. فيليب ناتيبلي وكولن سمسون، المخفي من حياة لورنس العرب، ترجمة ايلي إبراهيم العابد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧١.
٨٩. قدري القلعجي، جيل الفداء، قصة الثورة العربية الكبرى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.
٩٠. كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨ ـ ١٩١٨، عمان، ١٩٩٧.
٩١. كنث ـ وليمز، ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، تعريب كامل صموئيل مسبحة، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٣٤.
٩٢. لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعليق شكيب ارسلان، ترجمة عجاج نويهض، مكتبة ومطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ١٩٣٣.
٩٣. ليك كركبرايد، النهضة العربية، مذكرات الأمير زيد، إعداد سليمان موسى.
٩٤. محمد أسعد أطلس، تاريخ الأمة العربية، عصر الانبعاث، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٣.
٩٥. محمد الصبيحي، المعارك الأولى، ط١، لندن، ١٩٩١م.
٩٦. محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، ١٥١٤ـ ١٩١٤، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
٩٧. محمد بديع الشريف، وزكي المحاسنه وأحمد زكي عبدالكريم، دراسات تاريخية في النهضة الحديثة، دار اقرأ، ط٢، بيروت، ١٩٨٤.
٩٨. محمد بن عبد الله الأزرقي، تاريخ مكة، بيروت، ١٩٦٤.
٩٩. محمد بن منصور هاشم، قبائل الطائف وإشراف الحجاز، ط١، ١٤٠١هـ.
١٠٠. محمد بهجت البيطار، الرحلة النجدية الحجازية، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٦٧.

١٠١. محمد جميل بيهم، سورية ولبنان، ١٩١٨ ـ ١٩٢٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨.

١٠٢. محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩.

١٠٣. محمد رفعت رمضان، علي بك الكبير، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠.

١٠٤. محمد شفيق غربال، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥٤.

١٠٥. محمد صبيح، فيصل الأول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

١٠٦. محمد طالب وهيم، مملكة الحجاز (١٩١٦ ـ ١٩٢٥) دراسة في الأوضاع السياسية، البصرة، ١٩٨٢.

١٠٧. محمد طاهر العمري الموصلي، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ٣ مجلدات، مجلد١، ٢ مطبعة المكتبة، ج١، العصرية والفلاح، بغداد، ١٩٢٥.

١٠٨. محمد طه أبو العلاء، جغرافية شبه جزيرة العرب، جـ١، ط١، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٢.

١٠٩. محمد عابدين حمادة، وظبيان، ومحمد تيسير ظبيان، فيصل بن الحسين من المهد إلى اللحد، المطبعة العصرية، دمشق، ١٩٣٢.

١١٠. محمد عبد الباقي عشماوي، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية وعربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٨.

١١١. محمد عزة دروزة، نشأة الحركة القومية الحديثة المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧١.

١١٢. محمد عمر رفيع، مكة في القرن الرابع الهجري في المنتقى في أخبار أم القرى، تحقيق وتعليق وتعقيب محمد عبدالله مليباري، ط١، مكة المكرمة، ١٩٨١.

١١٣. محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، ط٢، المطبعة الجمالية، مصر، القاهرة، ١٣١٩هـ ـ ١٩١١م.

١١٤. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، جـ٦، أوفسيت دار مكتبة الحياة، بيروت، عن طبعة المطبعة الخيرية. مصر ١٣٠٧هـ.

١١٥. مدير شعبة فيلق قوات المرتبة الأولى في الحجاز، الثورة العربية على الدولة العثمانية، تعريب محيي الدين ميداني، بيروت، ١٩٣٣.

١١٦. مصطفى الشهابي:

ـ القومية العربية، ط٢، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠.

ـ محاضرات في الاستعمار، جزءان، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧.

١١٧. مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، مجلة الفكر العسكري، دمشق، ١٩٧٨.

١١٨. مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠.

١١٩. ممدوح الروسان، حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام، ١٩١٦ ـ ١٩١٨، مكتبة الكتاني، عمان، ١٩٨٦.

١٢٠. منيرة عبدالله العوينات، علاقات نجد، القوى المحيطة، ١٣١٩ ـ ١٣٣٢هـ/ ١٩٢٠ـ ١٩١٤م، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٠م.

١٢١. موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، ١٩٨٤م.

١٢٢. نازك زكي إبراهيم، التكوين السياسي والاجتماعي للملكة العربية السعودية ١٩٠٢ ـ ١٩٣٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

١٢٣. نضال المومني، الشريف الحسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٦م.

١٢٤. نقولا زيادة، أبعاد الثورة العربية: سلسلة تثقيف الشباب، تصدرها وزارة الشباب في الأردن، عمان، ١٩٨٨.

١٢٥. هارولد.ف يعقوب، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواجي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ـ صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٢٦. هنادي غوانمه، المملكة الهاشمية الحجازية، ط١، دار، الفكر، عمان، ١٩٨٩.

١٢٧. هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جوده، مطبعة السريان، ١٩٤٥.

١٢٨. يونغ: العربي المستقل، مذكرات الأمير زيد، م.ن.

خامساً: الرسائل الجامعية:

١. علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق ١٩٢٠ـ ١٩٣٦، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

سادساً: الدوريات العربية:

١. أحمد بن عمر الزيعلي، نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة، ٦٤٧ ـ ٩٢٣هـ ١٢٤٩ـ ١٥١٧م، مجلة الدارة.

٢. خالد حمود السعدون، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز.. أسبابها، تطورها، خلال عامي ١٣٢٦هـ ـ ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م ـ ١٩٠٩م، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الرابعة عشرة، آب، ١٩٨٨.

٣. طه شريف، الأحداث العربية في تاريخها الحديث، سلسلة اخترنا لك، العدد (٥١)، القاهرة، د.ت.

سابعاً ـ الموسوعات العربية

موسوعة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية.

ثامناً ـ الصحف العربية:

١. القبلة: جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع من مكة المكرمة خلال السنوات ١٩١٦ ـ ١٩٢٤م.

٢. المؤيد: جريدة يومية سياسية تجارية، تصدر من مصر خلال السنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٤.

٣. ألف باء: جريدة سورية تبحث في السياسة والأخلاق، تصدر من دمشق خلال السنوات ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣م.

٤. الاتحاد العثماني: جريدة قومية سياسية أدبية اجتماعية عمرانية طبعت في المطبعة الأهلية، صاحبها أحمد حسن طباره، بيروت، السنوات المستخدمة في الدراسة ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م.

تاسعا: المراجع الأجنبية:

1. Admiralty War staff،Intelligence Division،A hand Book of Arabia،May،1916،vol ,1.
2. Bullard. Sir Reader. The Camels Must go. London Faber and Faber,1961.
3. David George Hogarth،Hejaz before world war،Falcon،Oleander 1978.
4. David،Howgarth،the desert king. Ibn sau'd and his Arabia new York. 1964.
5. Dawn،Ernest ; From Ottomanism to Arabism. Essay on the Origins of Arab Nationalism Urbana University of III Unions،1937.
6. Elie Kedourie: The chatham House version and other Middle Eastern Studies،Weanfeld and Nicolson،London 1917.
7. Glubb (J.B) Britian and the Arabs،1908 - 1958،London.
8. Harry Stueme : Deux and De Guserre a Constantinople Reunies،Paris،1917.
9. John Robert Hadaw Sami،The Palestine Diary Heidelberg،Beirut,1970.
10. Lawrance T.E Seven Pillars of wisdom penguin book new work،1979.
11. Mr - Abir،The Arab Rebellion of Amir Ghalib of mecca 1788 - 1813 Middle Eastern studies Vo,. 7. No.2 may 1971.
12. Pandall Baker،king Husain And The kingdom of Hejaz. The oleander press Cambridge. 1979.
13. Philbly،Arabian jubiliee. London. 1952.
14. Philby Arabian days. Hale. London 1948.
15. Philby john. H. St. Saudi Arabia،Library of Lebanon،Raed Saleh Beirut،published in 1966.
16. Tiebaw Anglo - Arab Legion and Palestine Questio London 1978.
17. Zeine N. Zeine: The Emergence Of Arabe nationalism the catholic press Beirut.1960.